

مصر ما قبل الثورة

من أسرار الساسة والسياسيين

محمد التابعي

دار المعارف

مقــدمة

الأمانة الصحفية .. وسر المهنة

اقترح على كثيرون من الأصدقاء أن أكتب مذكراتى .. عن الساسة والزعماء والنساء والرجال الذين عرفتهم فى حياتى .. وعن الحوادث والأزمات .. الى آخره ..

ورفضت . وكانت حجتى اننى لم أدون مذكراتى الا فى فترات متقطعة .. متباعدة .. فالتسلسل مفقود ، والسياق مضطرب ، والدقة فى الرواية غير مأمونة أو مضمونة .

ثم شىء آخر وهو الأهم عندى .. من الذى يستطيع دائما أن يقول الحق . كل الحق ولا شىء غير الحق .

واذا نشرت مذكراتى فهل أقول فيها كل ما أعرف .. وكل ما سمعت . وكل ما رأيت .. وبين الذين سوف تتناولهم هذه المذكرات أشخاص قد انتقلوا الى رحمة الله . ونحن اليوم نحيطهم بهالة من الاجلال والاكبار ..

وبينهم من لا يزال على قيد الحياة ومن هو معدود من الاعلام والصفوة الممتازة فى هذا البلد .. هل أقول كل ما أعرف عن هؤلاء وهؤلاء ..

هل أروى مثلا حديث الزعيم فلان عن الزعيم فلان .. وهو حديث مملوء غيرة وحقدا ؟ وهل أروى مثلا وأصف صور الضعف والاستهتار .. صور الخنوع والذل والاستمساك بالحكم بأى

ثمن ..؟ وصور الطمع والجشع .. والنفاق وعدم الوفاء ...
وقصص الخلاعة والمجون وأبطالها زعماء وساسة مبرزون .

***

ثم مسألة أخرى ... ماهو الحد الفاصل بين ما يجوز نشره وما لا يجوز نشره ؟ والامانة الصحفية وسر المهنة ؟ .. ما هى حدود هذه الأمانة وهذه السرية .. ؟

لقد اشتغلت بالصحافة ثلاثين عاما . وعرفت فيها عشرات وعشرات من الزعماء والساسة وربطتنى ببعضهم أواصر الصداقة والثقة . وبوحي هذه الصداقة والثقة أفضى الى بعضهم بأسرار كثيرة .. وكشف أمامى بعضهم عن مكنون صدره بل وعن خفايا ضعفه .. فهل اروى اليوم كل ما سمعت أو بعض ما سمعت .

ورواية الكل قد تنفع المجموع .. وتؤذى الفرد .. ورواية البعض قد لا تفيد المجموع ولا تؤذي الفرد ، اى الزعيم المروى عنه .. واذن ما الفائدة وما الغاية من نشر رواية ناقصة او مبتورة ؟ وفى نشر الرواية كلها فضيحة او خيانة للامانة ..

وفى خلال هذه الثلاثين عاما التى اشتغلت فيها بالصحافة قابلت كثيرين من الساسة وقادة الرأى العام فى مصر وفى بلاد غير مصر . بل وقابلت رؤساء دول ورؤساء حكومات . وكثيرا ما تحدث الى الواحد منهم واطال الحديث ثم قال :

ـ تستطيع أن تنشر كذا وكذا .. ولكن لا تنشر كيت وكيت .

وبعض هذه الاحاديث قد مر عليها عشر سنوات أو عشرون سنة . . واتساءل اليوم : هل « حظر النشر » لا يزال قائما ؟

هل « سرية المهنة » سرية مطلقة مؤبدة ، أو موقوتة بفترة من الزمن . . وما طول هذه الفترة ؟ هل تكفى مثلا العشرة أعوام أو العشرون عاما لكى تحل الصحفى من وعده بعدم النشر ؟ اى هل أستطيع أن انشر اليوم ما وعدت منذ عشرين عاما بعدم نشره .

هل استطيع ان انشره دون أن يتهمنى احد بخيانة الامـــانة والخروج عن مبدأ سرية المهنة وهو المبدأ الذى تقدسه الصحافة ويحترمه الصحفيون ؟

***

ثم اعتراض رابع أو خامس هل يستطيع الصحفى أن يقــدم دائما واجب المهنة على كل اعتبار .. هل يستطيع أن يذكر دائما انه صحفى .. وينسى دائما انه انسان ..؟

لقد قابلت مثلا ملك الافغان الاسبق الملك امان الله .. قابلته مرتين .. فى سويسرا فى مــدينتى مونتريه وزيوريخ .. وكان امان الله فى المقابلتين رجلا كسير الخاطر محطم الآمـــال .. كان يمشي تحت وابل المطر .. يتسكع ــ كما قال هو نفسه ــ ليقتل الوقت ..

وكتبت عنه فى المرتين ورويت الحديث الذى دار بيننا..الا جزءا منه .. الا جزءا خاصا بزوجته السابقـــة الملكة ثريا ..

لقد أبقيته حتى اليوم فى صدرى . هذا الجزء من حديث الرجل الكسير الخاطر المحطم الآمال..كتمته ولم انشره لاننى لم استطع أن أنسى اننى ــ قبل أن أكون صحفيا ــ اننى انسان ..

***

وفاروق الطاغية .. فاروق هذا نفسه لا استطيع ان اكتب وأروى عنه كل ما أعرف لأننى .. انسان .

لقد قاومت طغيانه وحاربته قدر ما استطعت .. هـــو ملك وحاكم بأمره فكتبت مثلا مقالا عنوانه « يحيـــا الظلم » فى آخــر ساعة عدد ١١ اكتوبر سنة ١٩٥٠ .. قلت فيه بين ما قلت :

نعم .. يحيا الظلم .. ظلم كل جبـــار عاتيـــة معتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالى ، وظلم كل كبير فاسق وكل عظيم فاجر يسرق ولا يبالى ويختلس ولا يبالى .. ويثلم الاعراض

ولا يبالى . ويهدر الكرامات ودم الوطن ويجعل من مصر امشـولة السوء وبصقة كريهة فى فم الزمن .

نعم . يحيا الظلم .. ظلم كل مطـالب باحتـرام القـانون ولا يحترمه . وكل قادر على حماية القانون ولا يحميه .. وظلم كل عابث ماجن اباحى مستهتر يضرب للناس اسوأ الامثال ..

نعم . يحيا الظلم لانه خير مرب للنفوس .. ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعنى واحد .. لقد صبرنا طويلا ولن نصبر بعـد اليوم . وتحملنا كثيرا ولن نتحمل بعد اليوم ..

***

وقرا فاروق المقـال . واشر بالقلم على هذه العبارات .. ثم سأل بعض رجال ديوانه « الملكى » ـ ولا داعى لذكر اسمائهم ـ سألهم : « من العظيم الفاجر الذى يسرق ويعتدى على الأعراض» ؟

وسكتوا عن الرد . وعاد يسألهم : «من الذى يعنيه التابعى» ؟ ولم يجب أحد منهم . وابتسم فاروق ابتسامة صفراء لأنه عرف بكل تأكيد من سكوت رجال حاشيته .. انه هو المقصود .

***

وكتبت عن فاروق بعد خلعه وطرده .. كتبت ولم أرحمه ، واسهبت فى سرد قصص مخازيه وفضائحه . ومع ذلك فاننى لم انس فى كل ما كتبته اننى انسان .. فلم اذكر مثلا لماذا بكى ذات يوم فى دار صغيرة فى حي جناكليس برمل الاسكندرية فى صيف عام ١٩٣٧ .

وكان فاروق يومئذ لا يزال الملك المأمول.. لم تفسده الدنيا . ولم ينس ربه ودينه ، بكى كالطفل الصغير حتى بلل الدمع خديه .
لم أكتب ولم أذكر التفاصـيل .. لأن فاروق بكى ساعتئذ

كانسان .. لا كملك .. ولأننى لا أستطيع أن انسى دائما اننى .. انسان .

***

الذكريات كثيرة ..وما أعرفه كثير..وما وقع لى فى حياتى مختلف الألوان .. والصعوبة فى الاختيار .. أيها يصلح للنشر .. وأيها لا يصلح ..

أيها يجوز نشره .. وأيها لا يجوز .. وأيها يرضى أصحابه وأشخاصه وأبطاله ـ أو يسكتون عن نشره .. وأيها الذى لا يرضيهم نشره .. هل أروى مثلا ما سمعته من الدكتور محمد صلاح الدين أيام اشتداد الخلاف بين رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ؟

ومن هم الذين سعوا مخلصين لتسوية أسباب الخلاف والابقاء على وحدة الوفد..ومن هم الذين سعوا وعملوا على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ؟

وهؤلاء وهؤلاء من اعضاء الوفد أو من كبار الوفديين ..

وهل أستطيع مثلا أن أروى تفاصيل حديث دار فى مسكنى ذات مساء فى شهر مايو او يونية عام ١٩٤٢ بين فؤاد سراج الدين وبينى عن مكرم عبيد ؟ وهل من الصواب فصله الآن من الوفد .. او الانتظار او الاسباب « الوجيهة » التى ابداها الاستاذ فؤاد سراج الدين للتعجيل بفصل الاستاذ مكرم عبيد ؟

وهل أذكر الحديث الذى دار بالتليفون بين مصطفى النحاس وكان فى فندق مينا هاوس ومكرم عبيد وكان فى المنيا ذات مساء ابان الاستعداد للانتخابات التى جرت بعد قيام وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ .

وهل أروى ما سمعته من فم رئيس الوفد ورئيس الوزارة مصطفى النحاس عن « الملك » فاروق وموقف الوزارة منه ومن الانجليز .. ؟

وهل من الامانة الصحفية أن أروى حديثا أوكلاما لم يقـــله مصطفى النحاس باشا أمامى الا وهو مطمئن الى وواثق منى ..!

وهل أستطيع أن أروى كل ما أعـــرف وكل ما سمعته من صديق راحل كريم هو احمد محمد حسنين وللصداقة حقوق . وعليها واجبات ..

وهل مما يستقيم مع حقوق الصديق ولا يتنافى مع واجبات الصداقة ، أن أروى وأذكر كل ما عرفت وكل ما سمعت ..

***

هـــذه هى الصعوبة . بل هـــذا هـــو الصراع بين الصـــحفى والامانة الصحفية .. وبينه وبين سرية المهنة .. ثم الصراع بين الصحفى والانسان ..

الكتـــــاب الأول

أحمـــد محمد حســـنين

فى الحياة الخاصـــة

هذا الرجل الغامض ..

هل هو بطل ؟ هل هو خائن ؟

قلت فى المقدمة اننى لا أكتب هنا « مذكرات » بالمعنى المعروف بل هى صور وقصص من حياتى وحياة الآخرين .. صور وقصص بلا تسلسل أو ترتيب .

وقد أخترت ان أبدأ بصورة للمرحوم احمد حسنين باشا لا لسبب الا لأن شخصيته كانت موضوع خلاف بين الذين عرفوه

هل هو بطل ؟ ومصرى وطنى مخلص يقدم مصلحة بلاده على كل ماعداها ؟ .. أم هو خائن وصنيعة للانجليز ؟ ولا بأس من أن يضحى بمصلحة مصر فى سبيل مصلحة ذاتية يحققها له الاستعمار؟ هل هو السبب المباشر فى فساد الحكم وفساد فاروق ؟ وفساد الاسرة المالكة والفضائح التى وقعت فى السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة ؟

تباينت الآراء واختلفت فى هذا الرجل .. احمد محمد حسنين

احمد محمد حسنين ابن الشيخ الازهرى محمد حسنين .. ومع ذلك ! ومع ذلك فهو خريج جامعة اكسفورد .. وصهر الاسرة المالكة !

ولقد عدوها أعجوبة من عجائب العصر يوم تزوج سعد زغلول الازهرى النشأة وابن الفلاح المصرى من ابنة مصطفى فهمى باشا التركى الاصل . ورئيس الوزارة المصرية ..

وهاهو ذا مصرى آخر وابن فلاح وشيخ ازهرى يتزوج من ابنة الاميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد وحفيدة محمد على مؤسس الاسرة المالكة ! .

انها اذن أعجوبة العجائب ! وكانت اعجوبة اخرى ان هذا المصرى ـ ابن الفلاح ـ يطلق فيما بعد طواعية واختيارا زوجته هذه لطفية ابنة الاميرة شويكار التى كان مقدرا لها أن ترث الملايين .. وهو الفقير المعدم الغارق فى الديون !

كيف كان هذا ؟ ولماذا ؟

هل طلق حسنين زوجته كرها فيها ؟ .. وحبا فى نازلى ملكة مصر ؟ أم انه طلقها وهو يبكى وقلبه يقطر دما ؟ .. ولماذا طلقها اذن ؟ .

***

احمد محمد حسنين خريج جامعات انجلترا .. والمفتش بوزارة الداخلية ابان الحرب العالمية الاولى .. والسكرتير بسفارة مصر فى واشنجطون ، والامين الثانى للملك فؤاد ..

ورائد صاحب السمو الملكى الامير فاروق ولى العهد وامير الصعيد ..

والامين الاول لجلالة الملك ، ثم رئيس ديوان جلالة الملك فاروق والرجل الذى كان يمسك بخطوط السياسة المصرية فى فترة حرجة حالكة فى تاريخ مصر ما بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٤٦ .

الرجل الذى كان يقيم الوزارات ويسقط الوزارات .. وهو فى نفس الوقت حريص على أن يبدو فى تصرفاته واقواله كرجل لا يعرف شيئا مما يقع فى البلد ! ولا يد له فى أى أمر يقع . بل ويؤكد لمعارفه انه لا يفهم شيئا فى السياسة !

***

كان فى وقت ما بطل مصر فى « الشيش » أو المبارزة فى السيف ونازل ابطال هذه اللعبة فى اوروبا وانتصر على كثيرين منهم ..

وحاول فى يوم ما أن يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصة بمفرده من اوروبا الى مصر .. وسقطت به الطائرة مرتين .. فى

فرنسا وفى ايطاليا . ونجا من الموت فى المرتين . واصلح عطب الطائره واستانف طيرانه . . لولا ان الملك فؤاد أرسل اليه برقية يأمره فيها بالعدول عن الطيران الى مصر والعودة بأول باخرة .

وجاب مجاهل الصحراء الغربية مع الرحالة الانجليزية السيدة روزيتا فوربس ، وكان حسنين صاحب الفكرة ومنظم الرحلة وعقلها المدبر وقائدها .. وقد تستر على زميلته الانجليزية فزعم انها مسلمة وانها زوجته ، والبسها ثيابا عربية وأسدل على وجهها حجابا كثيفا .. والا لما كان زعماء القبائل سمحوا لهذه المسيحية الاجنبية بالتوغل فى مجال سلطانهم وأسرار الصحراء .

وعاش احمد حسنين مع روزيتا فوربس اسابيع عديدة فى مجاهل الصحراء . وكانا ينامان فى خيمة واحدة .. ولكنه لم يحاول ان ينال منها .. أما هى فقد حاولت .. ولكنه أبى واعرض .

وسألته مرة :

ــ وهل قدت قميصك من دبر ؟

وضحك رحمه الله وقال :

ــ كلا .. فان المسألة لم تصل الى هذا الحد ..

قلت : لكننى لا افهم !.. لقد كنت يومئذ فى عنفوان شبابك .. وروزيتا امرأة جميلة تشتهى .. وكنتما فى الصحراء أسابيع عديدة .. ووحدكما عشرات الليالى فى خيمة واحدة . وكان مرافقوك من البدو يعتقدون انها زوجتك .. وما أنت دائما بولى الله أو قديس .. اذن ماذا ؟ .

وضحك مرة اخرى وقال :

ــ لان الازهر انتصر فى هذه المرة على اكسفورد ..!

وكان أبوه الشيخ محمد حسنين من علماء الازهر الاجلاء .. والمعنى الذى أراده حسنين هو أن النشأة الدينية فى دار ابيه وما ورثه فى دمه عن ابيه العالم الازهرى المستمسك بأحكام دينه

الحنيف .. كل هذا انتصر على عوامل التحرر او التحلل التى تركتها فى نفسه دراسته فى جامعة أكسفورد ..
سألته :

ــ وهل انتصر الازهر دائما فى جميع المعارك الشبيهة التى نازلته فيها امرأة او تحدتك فيها امرأة ؟

قال : كلا .. ولكننى فى هذه المرة كنت حريصا على رضاء ربى ورحمته . فقد كنا فى صحراء مجهولة .. واسباب الهلاك تحيط بنا من كل جانب .. وكنت اعد نفسى مسئولا عن سلامة القافلة ونجاة افرادها ..
وضحكت بدورى وقلت :

ــ اذن فقد تأبيت واعرضت لا زهدا فى روزيتا .. وانما خوفا من ان يحل بك غضب الله وانت فى جوف الصحراء ..؟
قال : نعم ..
قلت : ولولا هذا .. ؟
قال : لا تكن لحوحا !

***

وعادت روزيتا الى انجلترا ووضعت كتابا عن الرحلة ، واشارت فيه اشارة عابرة ــ فى سطور ــ الى احمد حسنين وكيف انه كان اجيرها ومترجما لها اثناء الرحلة المذكورة .. وانه لم يكن يعنى الا ببيجامات نومه الحريرية وزجاجات الكولونيا التى حملها معه فى رحلته عبر الصحراء !

.. وانها هى كانت كل شىء وصاحبة الفضل فى كل شىء .. وهو لا شىء ! واخذت بروايتها صحف عديدة فى انجلترا واوروبا وامريكا .. وهكذا غلب كبرياء المرأة .. فضيلة الصدق !

والح بعض كبراء الانجليز من اصدقاء حسنين الذين كانوا يعرفون حقائق الرحلة ، وان حسنين هو صاحب الدور الرئيسى

وصاحب الفضل الاول والاخير فيها .. الحوا عليه أن يرد على روزيتا فوربس ويفند مزاعمها ، ولكنه رفض .

رفض أن ينازل امرأة .. أو « يقد قميصها من قبل ! » سكت اذن ونفسه مملوءة ألما وحزنا ومرارة .

ولكنه قام في العام التالى ــ وبمفرده ــ برحلة ثانية فى جوف الصحراء واكتشف واحة الكفرة.. وكان لاكتشافه الخطير دوى كبير فى جميع انحاء العالم واجتمعت الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن ومنحته مداليتها الذهبية وهى أسمى وسام يمكن للجمعية أن تقدمه لكبار المكتشفين .

وانهالت عليه الاوسمة والنياشين من مختلف الدول تقديرا لهذا الاكتشاف . ومنها وسام سان لازار الذى انعمت به عليه حكومة ايطاليا وهو من ارفع الاوسمة شأنا فى ايطاليا .

وفى حفلة ساهرة اقيمت فى روما التقى احمد محمد حسنين مع روزيتا فوربس .. وكان يعلق على صدر سترته وسام سان لازار الرفيع الشأن ..

واقتربت منه روزيتا وحيته ثم سألته ساخرة :

ــ هذا وسام سان لازار ..؟ ترى اى عمل استحققت عليه هذا الوسام ..؟

واجابها حسنين .. بالانجليزية طبعا :

for my chastity Rosita

اى استحققته بفضل طهارتى يا روزيتا !

وامتقع لون روزيتا فوربس .. وولته ظهرها ! فقد كانت الغمزة صريحة مكشوفة مفهومة !

وقال لى حسنين :

ــ نعم . لقد ثأرت لنفسى . ولكنه كان انتقاما خسيسا ندمت عليه فيما بعد ، بل ان العبارة لم تكد تخرج من بين شفتى حتى أدركت اننى تصرفت بخسة وفظاظة .. وندمت وفكرت فى ان

اعتذر اليها ولكنى اشفقت من ان اعتذارى قد يزيد فى جروحها والمهـا .

***

وسافر الى واشنجطون ليتـولى منصبه فى سفارة مصر ..
وعرضت عليه احدى الهيئات ان يقوم برحلة يطوف فيها ببعض المدن الامريكية الكبيرة ويلقى فيها محاضرات عن رحلته فى الصحراء.
وعرضوا عليه مبلغ خمسة وعشرين الف دولار وكانت تساوى وقتئذ خمسة آلاف جنيه وفى مقابل اثنتى عشرة محاضرة .
واشترطوا عليه ان يلقى هذه المحاضرات وهو يرتدى الثياب البدوية التى كان يرتديها فى الصحراء اثناء رحلة الاستكشاف .
ورفض أحمد حسنين هذا العرض .
وكان يومئذ – كما كان دائما – فقيرا ومدينا لاحد زملائه فى السفارة بمبلغ خمسين دولارا ! .
ولكنه رفض ان يكون « اراجوز » كما قال لى .. لكى يرضى فضول الامريكان ويكسب خمسة آلاف جنيه ..
وارتداء ثياب البدو فى الصحراء شىء .. والظهور بهـا على مسرح فى مدن امريكا شىء آخر .

***

هذه لمحات خاطفة – وتافهة ربما – من حياة حسنين ..
واذا كنت قد وقفت عندها بعض الوقت فما ذلك الا لانها – فى رايى – تلقى شيئا من الضوء على خلـق حسـنين وعقليتـه ونفسيته ومذهبه فى الحياة .
يرفض امراة ويتأبى عليها .. لانه يخاف غضب الله فى وقت كان فيه احوج ما يكون الى استرضاء الله واستجـلاب عطفـه ورحمته .. والا .. !
ويرفض أن ينازل امراة او يهاجمها او يكذبها علنا .. ولكنه –

فيما بينها وبينه ـ يجرحها ـ كما يقول هو نفسه ـ بخسة وفظاظة لانه ذكرها بأنها عرضت جسدها عليه ولكنه رفض وظل طاهرا .

ويرفض ـ وهو الفقير المدين ـ يرفض خمسة آلاف جنيه لأنه يأبى أن يظهر على المسرح فى ثياب قد تثير ضحك الامريكان ..

***

لمحات خاطفة .. وربما تافهة . ولكنها تساعد على رسم صورة لأحمد محمد حسنين الذى اختلفت فيه آراء الناس وتعددت الصور التى يرسمونها له ..

الذين عرفوه واحبوه..رسموا له صورة بطل ! وبعض الذين لم يعرفوه رسموا له صورة كريهة قاتمة .. صورة صنيعة الانجليز الخائن الذى يخدم مصلحة خصوم بلاده من المستعمرين !

وبعض الذين عرفوه وكرهوه .. أو لم يحبوه جعلوا منه شيطانا رجيما ، ومنافقا لئيما . ونفعيا وصوليا نهازا للفرص !

وغير هؤلاء وهؤلاء .. فريق من الساسة والصحفيين رسموا لاحمد محمد حسنين صورة الرجل المدين بكل شىء للصدفة.. الرجل العادى .. الكسول ... الذى يحب العيش الهنىء .. والذى لم يؤت من الذكاء والعلم الا قليلا ، ولا يفهم فى السياسة شيئا .. بل سار فى دروبها ليخبط خبط عشواء ..

وهذه الصورة هى الصورة التى كان حسنين باشا نفسه يحرص على أن يطبعها فى نفوس جميع الذين كان يلقاهم من الساسة والزعماء .! .

كان رحمه الله يحب أن يعتقد الناس فيه الغباء بل «الهبل» !. وانه رجل لا يخشى شره ..! او طرطور ..! أو ساعى بريد ينقل اليهم « الاوامر السامية » من جلالة الملك، أو « يرفع » آراءهم

ونصائحهم الى « السدة العلية الكريمة » .. ومن غير ان يكون له هو راى أو مشورة فى الموضوع .

وصدقه بعضهم فى أول الامر . ثم اكتشفوا الحقيقة وعرفوه .. وكرهوه !

وآخرون عرفوا الحقيقة عندما عرفوه .. فأحبوه ! وغير هؤلاء وهؤلاء فريق من الساسة الذين « كشفهم » حسنين باشا أمام فاروق . وكشف عن ألاعيبهم ومناوراتهم واطماعهم وأكاذيبهم ..

كشفهم وأضاع عليهم نفوذهم عند فاروق .. وفوت عليهم فرص الفوز بمقاعد الحكم وجاه السلطان :

ويبقى السؤال قائما .. هل كان احمد محمد حسنين بطلا ومصريا وطنيا وخادما أمينا لبلاده ؟ .

أم كان خائنا وصنيعة، او ذنبا من اذناب الاستعمار ؟ الرأى عندى انه ــ رحمه الله ــ لم يكن هذا ولا ذاك .

لم يكن بطلا .. ولم يكن خائنا لبلاده .. وانما كان رجلا ذا مطامع واسعة كثيرا ما أفلح فى اخفائها وراء قناع من الزهد فى المناصب .. والجهل بالسياسة وأسرارها ..

كان يطمع فى أن يكون رئيس الوزارة والرجل الاول فى الدولة

ولكنه لم يمض الى هذا الهدف مباشرة وفى خط مستقيم .. كلا . فان هذه لم تكن سياسة احمد محمد حسنين الذى كتب عنه مرة زميله فى الدراسة وصديقه حفنى محمود فقال : انه فاجأه مرة وهو يقرأ كتابا ما ..

وحاول حسنين أن يخفى الكتاب عن صديقه حفنى محمود . ولكن حفنى استطاع ان يقرأ عنوان الكتاب .

وكان الكتاب هو « الامير » لمؤلفه الفلورنتى الداهية

« ماكيافيللى » الذى وضع كتابه على أساس ان الغاية تبرر اتخاذ كل وسيلة ! وهكذا فضح حفنى محمود سياسة صديقه حسنين « السياسة الماكيافيللية ! » سياسة الخبث واللف والدوران .. وكل وسيلة مشروعة فى سبيل تحقيق الغرض والوصول الى الهدف !

وكل غرض شريف ما دام فى خدمة الامير .. اى الحاكم .

وكان الامير يومئذ هو الدولة .. والدولة هى الامير .

قصــــــة نــازلى

ملكــة مصــــر سـابقا

وأحمد محمــد حسنين

قلت ان حسنين باشا لم يكن بطلا معدودا من أبطال الوطنية المصرية .. ولم يكن خائنا لبلاده أو صنيعة للاستعمار كما اتهمه بعض خصومه .. وبعض الذين لم يعرفوه .. أو الذين عرفوه ولم يحبوه .

ولكنه كان رجلا ذا مطامع واسعة . وكان كل نجاح يلقاه يغريه بالتماس نجاح آخر .. وكل منصب يرقى اليه يغريه بالسعى وراء منصب آخر يفوقه سلطة ونفوذا ..

وكانت خطواته مطردة دائما .. الى الامام . لم يتعثر مرة واحدة . ولم يقف او يتقهقر أو يرتد الى الوراء مرة واحدة . دائما الى الامام .. والى ما هو اعلى واقوى واوسع نفوذا ..

كانت حياته سلسلة من الانتصارات .. ولم يعرف الهزيمة سوى مرة واحدة .. وكان ذلك فى حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ولكنه استطاع ان يثأر لنفسه بعد عامين يوم دبر اقالة وزارة مصطفى النحاس فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ .

وهكذا رد اللطمة للسفير البريطانى سير مايلز لامبسون او لورد أوف كيلرن .. كما ردها مضاعفة للسيد مصطفى النحاس .

***

وكان احمد محمد حسنين يضع خططه بدقة واحكام . وينفذها بكياسة ومهارة وحذر . ولا يضيق صدره ولا يخونه صبره مهما طال الاجل .. أو لاقى من صعوبات

وكانت الخطة الاولى أو الخطوة الاولى الواسعة فى طريق تحقيق مطامعه هى مصاهرة الاسرة المالكة ..

ولقد استطاع الشاب النحيل القامة الوسيم الطلعة الانيق فى ملبسه .. الساحر فى حديثه .. الرشيق فى حركاته . الرياضى البطل فى دنيا الرياضة والمغامرات . والرحالة الذى جاب مجاهل

الصحراء وواجه الموت مرارا فى رمالها المحرقة وفيافيها الجدباء والذى أغدقت عليه ضحف العالم من الثناء والاعجاب مالم تغدق مثله الا على قليلين من كبار المكتشفين .

استطاع هذا الشاب احمد محمد حسنين — ابن الشيخ محمد حسنين المدرس بصحن الازهر الشريف — استطاع ان يفتن ويخلب لب الفتاة لطفية كريمة صاحبة السمو الاميرة شويكار مطلقة الملك احمد فؤاد وأم ابنته صاحبة السمو الملكى الاميرة فوقية ..

وتزوج حسنين من لطفية وأصبح من أصهار الاسرة المالكة وزوجا لاخت الاميرة فوقية كريمة الملك فؤاد ..

وكان فؤاد قد تصالح قبل ذلك بسنوات مع مطلقته شويكار .

وهكذا عزز حسنين مركزه وثبت قدمه على أولى درجات السلطة فى دنيا المناصب والجاه والنفوذ . والا فأى رئيس او وزير بل وأمير كان يجسر يومئذ ان يتجاهل هذا الشاب — أحمد حسنين — صهر الاسرة المالكة وزوج كريمة الزوجة الاولى لصاحب العرش والتاج ؟ .

كانت هذه هى الخطة أو الخطوة الاولى ..

وقد اسميتها خطة أو خطوة لانها كانت مرسومة . ولان الزواج لم يكن مقصودا لذاته .. بل كان وسيلة للوصول الى غرض أو هدف مقصود فى طريق النجاح وتحقيق المطامع الواسعة ..

والدليل الذى لا يحتاج معه او بعده الى دليل آخر ان حسنين يوم تزوج من المغفور لها السيدة لطفية لم يكن يحبها ..

لقد استطاع ان يفتنها ويخلب لبها ويوقعها فى حبه . أما قلبه هو فكان خاليا من أى حب لها .

صحيح انه لم يكن يكرهها .. كلا . ولكنه لم يكن يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها ! . وبعد الزواج — لا قبله — وبعد المعاشرة او « العشرة » . وبعد ان انجبت له أولاده .. أحبها حسنين ..

أو كما قال لى هو نفسه : « ان لطفية كريمة رقيقة حنون تستحق كل حب وهى أم مثالية . ولقد احببتها بعد الزواج كما لم احب امرأه أخرى » !

والآن وقد عرفنا كيف ولماذا تزوج حسنين من لطفية ابنة الاميرة شويكار .. يبقى ان نعرف لماذا طلقها مع انه — باعترافه — كان يحبها كما لم يحب امرأة سواها ؟! ..

كان زواجه منها خطوة فى سبيل تحقيق مطامعه الواسعة .. وكان طلاقه لها خطوة أخرى فى نفس الطريق .. وسأذكر الطريق فيما بعــــد ..

***

ونعود الآن الى يوم توفى الملك أحمد فؤاد فى ٢٦ ابريل ١٩٣٦ .

لم تمض اسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس بين موظفى القصر وفى الاوساط الخاصة المتصلة به ، ان « السجينة » قد حطمت قيودها وانطلقت — وهى لا تزال بعد ترتدى ثياب الحداد — انطلقت تمرح وتحاول أن تعوض ما فاتها وتنهل من عيون الحياة وينابيعها .

وكانت « السجينة » المذكورة هى الملكة نازلى .. وهى نفسها التى كانت تقول لكل من يقابلها وتأمن جانبه : « أنا سجينة الملك فؤاد » .

ولقد تعددت الروايات واختلفت عن زواج « السلطان » أحمد فؤاد من نازلى كريمة المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا . ولكن الذى سمعته من رواة ثقات من اقاربها هو انها ارغمت على هذا الزواج .. وانها كانت تحب شابا من اقربائها واكتفى بذكر الحروف الاولى من اسمه (ش.ش) لانه لا يزال بيننا على قيد الحياة .

كانت نازلى تحب قريبها الشاب . وكان املها فى الزواج منه كبيرا الى أن خطبها « عظمة السلطان » احمد فؤاد من ابيها .

وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلى — فى الصباح الباكر — من قصر أبيها .. ولجأت الى حبيبها ش.ش ..

وراح الفتى يتنقل ـ وهى معه ـ طول اليوم من دار صديق الى دار صديق .. خوفا من مطارديه ، فقد انطلق الاقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عن خطيبة عظمة السلطان ..

وأخيرا أدرك الفتى أن لا فائدة ! ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش السلطان فأركبها عربة حنطور وأعادها الى قصر أبيها .. فى المساء ..

وعقد القران .. وأصبحت نازلى صاحبة العظمة السلطانة سلطانة .. ولكنها حبيسة القصر .. عليها فى كل ردهة وكل رواق وغرفة عيون وإرصاد ولا تغادر القصر الا باذن .. ولا تزور ولا تزار الا باذن .. فقد كان أحمـــد فؤاد شديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة .

ولقد أصاب نازلى من فؤاد عدة أمراض ليس أقلها شأنا تقيح اللثة أو « البيوري » ..

قال لى دكتور ستانكيفتش طبيب الاسنان . وهـــو روسى الاصل . وكان متزوجا من اميرة بولونية .. وكان طبيب الاسنان الخاص للملك فؤاد وأسرته قال لى مرة بعد وفاة الملك فؤاد أن فى فم الملكة نازلى تسع أسنان (عايمة) أو « ملخلخة » بسبب تقيح اللثة .. ولما كان يعرف أن الملك فؤاد عنده نفس الداء « تقيح اللثة » فقد سألها ذات يوم لكى يتأكد من أصل العدوى وسببها . سألها :

ـ هل جلالة الملك يقبلك فى فمك ؟

وضاقت عيناها قليلا وقد بدأ فيهما حقد وسخط وقالت :

ـ يقبلنى فى فمى ..؟ انه لا يكتفى بمجرد التقبيل !

وكانت عيناها وصوتها وقسمات وجههـــا تنطق بالاشمئزاز والكراهية . هذه رواية دكتور ستانكيفتش وقد أيدتها مصادر اخرى وهى أن نازلى لم تكن تحب زوجها أحمد فؤاد .

***

وبقيت نازلى سجينة القصر أو فى «قفص من ذهب» سبعة عشر عاما هى الربيع وخير ما فى العمر وسنوات الصبا والشباب .

واخيرا تحررت يوم مات « سجانها » الملك احمد فؤاد . وكان ربيع عمرها ولى ومن بعده الصيف أوشك كذلك أو يكاد .

وانطلقت نازلى ــ بشراهة ونهم ــ تنهل من عيون الحياة وتطفىء نار الظمأ الذى أحرق حشاها السنوات الطوال !

وكثر الهمس . وذكرت اسماء بعض ضباط الحرس وموظفى القصر . ثم تركزت الاشاعات حول اسمين اثنين وهما احمد محمد حسنين والياور « البكباشى يومئذ » عمر فتحى .

وما من شك فى أن ملكة مصر يومئذ ــ نازلى ــ كانت تريد أن تلهو بالرجلين وان تضرب او تضارب احدهما بالآخر وان تثير الغيرة فى صدر هذا ضد ذاك وان تتلذذ بمشاهدة الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم وضابط الحرس الرشيق .. وان تعبث وتلهو ..

ولقد سمعت من حسنين هذه الحكاية .. طلبت منه الملكة نازلى ذات يوم أن يمر عليها فى الساعة كذا لكى يصحبها الى حفلة ما فى المساء ..

وذهب حسنين فى الموعد المحدد ووقف ينتظر .. واخيرا سأل عن جلالة الملكة .. وطلب من احدى الوصيفات أن تذكر صاحبة الجلالة بموعد الحفلة وان حسنين فى الانتظار ..

وقالت الوصيفة : « ولكن جلالة الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلا الى الحفلة » ..

وسألها حسنين :

ــ ذهبت وحدها ؟

قالت الوصيفة :

ــ كلا .. فقد صحبها عمر فتحى بك !

***

روى لى حسنين هذه الواقعة وقال :

ــ ولقد سألت الوصيفة عما اذا كانت جلالة الملكة خرجت وحدها وأنا أعرف مقدما أن الجواب سيكون انها خرجت مع عمر .. فلم

تكن تلك أول مرة تحاول فيها ان توقع بيني وبين صديقي عمر فتحي ..

ومن ذلك أيضا أنها دعت مرة عمر فتحي لكي يصحبها الى « المكس » لتتناول طعام العشاء في مطعم هنـاك اشتهـر بطهي أصناف السمك . .

واعتذر عمر فتحي من عدم تلبية طلبها لان جلالة الملك متوعك المزاج وان عليه ــ على عمر فتحي ــ ان يلازمه هذا المساء .

وهزت نازلي كتفيها برشاقة ونظرت الى الياور عمـر فتحي بطرف عينها وقالت :

ــ على كيفك ..! اذا كنت مش فاضي .. حسنين دايما فاضي علشاني !

***

ولكن لعبتها لم تطل لأن أحد الرجلين ــ عمر فتحي ــ لم تكن له مطامع . ولانه طول خدمته في القصر كان حريصا دائما على أن يكون في « حاله » وأن يؤدي واجبات منصبه .. فقط.. ومن ثم فقد انسحب باختياره وترك الميدان خاليا أمام حسنين ..

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان احمد محمد حسنين كان أدهى بكثير مما قدرت نازلي ملكة مصر ..

لقد كان في قصر « كنري هاوس » بلندن في معية صاحـب السمو الملكي التلميذ الامير فاروق ولي العهد وامير الصعيد يوم جاءهم نبأ وفاة الملك فؤاد والمناداة بفاروق ملكا على مصر .

وعاد حسنين في صحبة الملك الجديد الى مصر وفي راسـه خطة مدروسة مرسومة محكمة التفاصيل ..

كان يعرف عن نازلي أكثر مما يعرف اي موظف آخر من موظفي القصر .. كان يعرف الكثير عن « سجنها » وعذابها وغيرة زوجها الملك فؤاد وحسرتها وتلهفها على الحياة المرحة الطليقة ، ومن هنا عاد الى مصر ــ والى القصر ــ وقد قرر في نفسه امرا .. أن يتركها ــ يترك نازلي ــ تشده وتصده .. وتعرض وتقبـل ..

وتروح وتعود .. وان تغازل هذا و « تستلطف » ذاك .. وهو دائما هادىء يبتسم .. لا يغار ولا يثور ..

وان يمد لها فى حبال الصبر كما يمد الصياد الماهر المجرب فى خيط الصنارة .. التى علقت بها سمكة عنيدة !

السمكة تشد وتجذب وتقفز .. وتغوص وتطفو..وتقاوم..

والصياد يرخى من خيط الصنارة حينا .. ويشده حينا..وهكذا الى ان تخور قوى السمكة وتستسلم .

وهكذا فعل حسنين ..

الى أن تعبت نازلى واستسلمت أو أسلمت قيادها لاحمد حسنين .. وبدأت هى التى تغار والتى تحاسب حسنين أين كان ! ومع من ! وماذا فعل ! وكيف امضى سهرته ! ..

الى آخر ما تفعله المرأة التى تحب بعد أن تكون قد جاوزت سن الشباب .

***

وهو ؟ .. هل كان يحب نازلى ؟

كلا . ولكنه كان حريصا على استرضاء « ملكة مصر » .. وام ملك مصر .. وصاحبة النفوذ الاعلى عند ابنها فاروق فقد كان فاروق يومئذ يحب امه ويحترمها بل ويخشاها ويخشى غضبها ويعمل لها حسابا ولا يخالف لها أمرا .. وكان حسنين يعرف هذا كله .. ويدرك أن الذى يسيطر على نازلى يستطيع - عن طريقها - أن يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق ..

***

عاد فاروق من انجلترا - حيث كان يبدأ دراسته - عاد فى الاسبوع الاول من شهر مايو ١٩٣٦ .

وكان هناك مجلس وصاية على العرش مؤلفا من صاحب السمو الملكى الامير محمد على توفيق وصاحبى المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا ومحمد شريف صبرى باشا خال فاروق .

وكانت الوزارة يومئذ وفدية برياسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس « باشا » .

واقترح الامير محمد على ــ وهذه شهادةحق اقررها للتاريخ ــ اقترح رفع سن الرشد للملك الى سن ٢٥ سنة وأن يعود فاروق الى انجلترا ليكمل دراسته .

ولكن الوزارة رفضت هذا الاقتراح . وأعلن السيد مصطفى النحاس أن وزارته تحترم وتستمسك بأحكام الشريعة والقانون والدستور .. وأن هذه جميعها تقرر أن سن الثامنة عشرة هلالية هى سن الرشد والبلوغ . وأن جلالة الملك يتولى ويمارس سلطاته الدستورية والحالة هذه فى يوم ٢٨ يوليو عام ١٩٣٧ .

ولم يكن الاستمساك بأحكام الشريعة والقانون والدستور سوى ذريعة او حجة . والحقيقة ان زعماء الوفد كانوا يعتقدون ــ بعد ان اراحهم الموت من خصمهم العنيد احمد فؤاد ــ كانوا يعتقدون أن فى امكانهم ان يضعوا فاروق الملك الشاب فى « جيوبهم » وأن يسيروه ويوجهوه كما يريدون ..

ما حاجتهم اذن لمجلس وصاية يمارس سلطات الملك سبع سنوات ؟ ما حاجتهم الى هذا المجلس الذى يرأسه امير من الطراز التركى القديم ؟.. أمير كثير الطلبات.. كثير المعارضة .. يخرف حينا .. ويثرثر حينا .. ولا يمل الحديث عن اجداده العظام .. واذا ذكرت حقوق الشعب أمامه تململ أو هز كتفيه استخفافا !..

كلا .. سن الرشد هى الثامنة عشرة .. وهلالية لا ميلادية.. ويتولى فاروق سلطاته كملك دستورى بعد عشرة شهور لا سبعة أعوام ..

***

وهنا رؤى أن يقوم الملك الشاب نصف الامى والذى لم يكمل دراسته ولم يحصل من العلم الا اقل القليل ، رؤى أن يقوم برحلة طويلة الى أوروبا لعل الرحلة تزيد فى تجاربه ومعلوماته ولو قليلا..

وتقرر أن يصحبه فى هذه الرحلة امه الملكة نازلى وشقيقاته

الاميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحية ومعهن المربيتان الانجليزيتان واستاذهن للغة العربية الرجل الطيب الإستاذ أحمد يوسف .
ومستر فورد مدرس التاريخ والجغرافيا للملك الشاب .
والسيدة الجليلة زينب ذو الفقار بصفتها « السيدة المرافقة » للملكة نازلى ، وكريمتها الآنسة صافيناز ذو الفقار ..
وخال الملك فاروق حسين باشا صبرى والسيدة الكريمة زوجته شهيرة الدرمللى ..
وعلى رأس الحاشية « رائد الملك » أحمد محمد حسنين . ومعه ياور الملك الخاص عمر فتحى « وقد انعم عليه برتبة القائمقام المحلية » وطبيب الخاصة الملكية دكتور عباس الكفراوى والامين الثالث على رشيد « وهو اليوم كبير الامناء » ودكتور حسين حسنى مساعد السكرتير الخاص للملك .
وأوفدت وزارة الداخلية اثنين من ضباط البوليس ليكونا فى حراسة الملك .. وهما اليوزباشى أحمد الطاهر واليوزباشى احمد كامل الذى أصبح فيما بعد الاميرالاى وقائد قوات بوليس السراى .
وتحدد يوم ٢٧ فبراير ١٩٣٧ السفر من بورسعيد على ظهر الباخرة « فايسروى أوف انديا » .
وكانت ثورة قد قامت فى بيت احمد محمد حسنين .

***

كان ترامى الى سمع زوجته الرقيقة الطيبة التى تحبه .. اشاعات وأخبار وروايات وحكايات عما بين ملكة مصر نازلى .. وبين زوجها احمد حسنين .
وطلبت لطفية من حسنين ان تسافر معه .. فى هذه الرحلة .. ووعدها حسنين بعرض الامر على فاروق .
ولكنه لم يعرض الأمر على فاروق بل تحدث فيه مع نازلى .. ورفضت نازلى طبعا . وعاد حسنين وأبلغ زوجته أن جلالة الملك لا يوافق على سفرها .. لأن الرحلة شبه رسمية ولا مكان فيها لزوجات الموظفين من رجال الحاشية ..

ولـكن لطفية ـ رحمهـــا الله ـ لم تقتنع . فذهبت تســأل وتستقصى الى أن علمت وتأكدت أن زوجها لم يحدث فاروق فى أمرها وان فاروق خالى الذهن تماما من هذا الموضوع ..

وهنا ادركت أن نازلى هى التى تعارض فى سفرها ! أو لعله هو ـ حسنين ـ الذى لا يريد أن تسافر معه .. مراعاة لخاطر الملكة ! ..

والاشاعات اذن صحيحة .. ونشبت الثورة .. وعلا الصراخ والبكاء فى بيت احمد محمد حسنين وانفجرت الزوجة الرقيقة الطيبة القلب .

***

وكان احمد محمد حسنين ـ كما قلت فى فصل سابق ـ يحب زوجته لطفية حبا أكيدا .. ولكنه كان يحب السلطة والمجد أكثر مما يحب زوجته . ولقـــد عـرفت حسنين أثنتى عشرة سنة واختلطت به عن قرب وكثيرا ما رفعنا « الكلفة » فى مناسبات عديدة وفتح كل منا قلبه لصاحبه..واستطيع اليوم ان اقول ان حسنين باشا رحمه الله لم يكن الرجل الذى يلبى نداء قلبه ويعرض عن حكم العقل ! كلا !

كان العقل عنده دائما مقدما على القلب ..

والخطة التى درسها ورسم خيوطها لا بد أن تنجح ولو كان الثمن على حساب حبه وحب زوجته ..

ومن أجل أن تنجح هذه الخطة كان لابد أن تبقى زوجته لطفية فى مصر .. بل لو ان الملكة نازلى نفسها كانت طلبت من حسنين أن تصحبه زوجته فى هذه الرحلة ولو من باب التعمية وذر الرماد فى العيون لكان حسنين رفض طلب نازلى وأصر على أن تبقى زوجته فى مصر . ذلك لانه كان يعرف زوجته حق المعرفة ويعرف مقدار حبها له وغيرتها عليه . وانها ـ وهى ابنة الاميرة شويكار ومن أفراد البيت المالك ـ لن تبالى اذا اضطرمت نار غيرتها ان تقذف بالاتهام فى وجه نازلى ملكة مصر !.. وبعد ! من تكون نازلى هذه ؟ ابنة

عبد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المنوفية ! أما هى — لطفية — فانها ابنة شويكار وحفيدة محمد علي ..!

وهذا كلام سبق أن سمعه حسنين من فم زوجته لطفية ! ماذا يحدث اذن لو أنه سمح لها بالسفر معه الى أوروبا .. ولاحظت هى .. باحساس الغيرة المرهف وعينى الزوجة المفتوحتين — ماذا يحدث لو لاحظت ماهنالك أو بعض ماهنالك بين نازلى وحسنين ؟

سوف تكون فضيحة ومشهداً مثيرا .. وتفشل الخطة التى رسمها ليحقق مطامعه وهى أن يصبح الرجل الاول فى الدولة .. بعد الملك .. وان يسيطر على الملك فاروق عن طريق امه نازلى !..

كلا ، لا بد ان تبقى لطفية فى مصر ..

وهكذا كان . وخرج حسنين من داره فى يوم ٢٧ فبراير ١٩٣٧ ليرافق الملك فى القطار الخاص الى بورسعيد . والباخرة .. وأوروبا ، وترك وراءه زوجة ثائرة تسب وتشتم وتهدد وتتوعد بأنها لن تسكت على نازلى .. كلا .. ولا الف مثل نازلى !

***

وكان الوزراء ورئيسهم « رفعة » مصطفى النحاس باشا قد رافقوا فاروق فى القطار الخاص الى بورسعيد ثم صعدوا الى ظهر الباخرة وودعوه ..

وفوجىء النحاس باشا ومكرم باشا برؤيتى على ظهر الباخرة مع أفراد الحاشية التى ترافق فاروق فى رحلته الى أوروبا ..

وصاح النحاس باشا بلهجته المعروفة :

— تسافر ! .. ازاى الكلام ده .. ازاى .. ازاى ..

وكررها نحو عشر مرات ..

وسايب الجرنال لمين ؟

قلت : البركة فى محمود وكريم ..

وقال : « رفعته » : محمود وكريم !.. محمود وكريم !.. لا .. لا .. لا .. يا سى التابعى .. لا .. يا سى التابعى

وكررها نحـو عشر مرات .. وتدخل مكرم باشا وقال وهـو يهدىء من غضب رئيس الوفد :

ـ صحيح الاستاذ التابعى غلطان ... كان يجب ان يقول لنا ويستأذن من رفعتك .. لكن انت تعرف ياباشا ان الاستاذ التابعى يحب السفر والتهييص.. قال هذا وهو يضحك ويربت على كتفى.

ولكن النحاس باشا انطلق مرة اخرى يقول :

ـ التهييص .. التهييص .. تهييص ايه ..؟ تهييص ايه ..؟

وكررها نحو عشر مرات .. ثم عاد وانطلق .

ـ والجرنال .. والجرنال يا مكرم ؟

ذلك لان النحاس باشا لم تكن له يومئذ اقل ثقة فى صـدق او اخـلاص وفدية شريكى الاثنين محمـود ابو الفتح وكريم ثابت ـ وخصوصا محمود ـ وكنا نحن الثلاثة قد أصدرنا فى شهر أكتوبر السابق أى منذ نحو خمسة أشـهر جـريدة « المصرى » على « مبادىء وسياسية الوفد المصرى » ..

والتفت رفعته يسألنى مرة أخرى ..

ـ ومسافر وسايب الجرنال لمحمود وكريم ؟! وعاوزنى أقول لك ايه ؟! أقول لك مع السلامة ياسى التابعى ؟! طيب مع السلامة ياسى التابعى ..! آه .. مع السلامة .. مع السلامة .. آه .. وآدى كمان بوسة يا سى التابعى ..

وعانقنى الرجل الطيب القلب وقبلنى .. وغادر « رفعتـه » والوزراء والمودعون السفينة ..

وبعد منتصف الليل بقليل تحركت السفينة « فايسروى أوف أنديا » وغادرت الميناء .

***

وكان على واجب يجب أن أؤديه ..

كانت « المصرى » قـد أوفدت ـ فيمـا أذكر ـ الاسـتاذ عبد الحليم الغمراوى ليوافيها بأنباء الرحلة الملكية من القاهرة الى ساعة قيام الباخرة من بورسعيد ..

وكان على أن أوافى الجريدة بأنباء الرحلة بعد قيام الباخرة .. وماذا فعل الملك والملكة والاميرات وأين تناولوا العشاء وكيف امضوا السهرة الأولى على ظهر الباخرة .. الى آخره ..

ورحت أطوف بالباخرة واجمع المعلومات والتفاصيل بعضها بالمشاهدة وبعضها الآخر من رجال الحاشية .. ثم كتبت البرقية التى كان على أن ارسلها فورا عن طريق اللاسلكى الى جريدة المصرى لتظهر فى عدد الصباح .

ولكن أين مكتب اللاسلكى فى هذه الباخرة الضخمة وهى من عابرات المحيط وكانت قادمة من استراليا وفى طريقها الى انجلترا ؟

وسألت .. وقيل لى انه فى أعلى سطح السفينة .. حيث توجد غرفة القيادة وغرفة نوم القبطان .. وبعض زوارق النجاة .. ولا شىء آخر ..

وتسلقت عددا كبيرا من السلالم الضيقة ـ ذات الدرجات الحديدية بين سطح وسطح وسطح ـ الى أن وصلت الى السطح الاعلى .. مكتب تلغراف اللاسلكى ..

وكان الظلام تاما وشاملا الا من نور خافت ينبعث من غرفة

ودخلت وناولت البرقية الى عامل اللاسلكى وانتظرت حتى قرأها .. وخرجت .. ووقفت قليلا ريثما تعتاد عيناى الظلام ..

وهنا تبينت ـ على مسافة غير بعيدة ـ شبحين مستندين الى حاجز الباخرة ، وكأنهما كانا يتفرجان على أنوار بورسعيد وهى تومض من بعيد .. وكانا الملكة نازلى واحمد حسنين ..! ولم يكن فى وقفتهما معا شىء يريب ..؟ الملكة تريد أن تتفرج على بورسعيد من على ظهر الباخرة .. أو لعلها كانت تريد أن تلقى نظرة أخيرة على شاطىء الوطن ! ويصاحبها كبير الحاشية ورائد ابنها الملك .

لا شىء عجيب أو مريب فى هذا كله .. فقط !

فقط كانت الملكة تتكىء على حاجز السفينة .. وكانت يد حسنين تتكىء على كتفها !

وكانت هذه أول « علامة » أكدت عندى صدق الاشاعات !

وحدث ذات مساء ـ أثناء رحلتنا بالباخرة وكنا فى قاعة الرقص ـ ان تقدم انجليزى كان قد تناول من الخمر اكثر مما يحتمل راسه ـ وكانت الباخرة مزدحمة بالانجليز العائدين من أستراليا والهند وعدن ـ تقدم هذا الانجليزى المخمور من السيدة زينب ذو الفقاروانحنى أمامها باحترام وهو يكاد يفقد توازنه من فرط السكر والتمس من « جلالتها » أن تسمح له بهذه الرقصة !

وكانت أوركسترا الباخرة تعزف موسيقى رقص .. وتلفتت زينب هانم حولها .. كأنها تبحث عن منقذ أو منفذ للنجـــاة .. فلم تجد !

وكان الرجل مخمورا كما قلت .. ولحوحا ولو ان الحاحه كان فى أدب يليق بمن يقفه أمام « صاحبة الجلالة ملكة مصر » ..!

ورأت زينب هانم انه من الافضل الا تثير ضجة أو تلفت الانظار فقامت وراقصت الرجل .. ثم غادرت القاعة فورا ..

هذا والرجل يعتقد واصحابه يعتقدون أن السيدة التى رقص معها هى ملكة مصر !

واتصل الخبر بفاروق فغضب غضبا شديدا وتساءل أين كان حسنين ؟ ولماذا لم يتدخل ويوقف الرجل عند حده أو يأمر ضباط السفينة بطرده من القاعة ..؟ الى آخره .

ولكن حسنين كان كالعادة يلازم الملكة نازلى . .أو يتنزه معهـا فى مكان ما أو ركن ما على ظهر الباخرة الضخمة !

وفى الصباح ذهب حسنين الى الانجليزى المذكور ـ وكان قد فاق من سكره ـ وقال له امام أصحابه انه أخطأ مرتين ..

اولا ـ اخطأ لانه الح على سيدة ما بأن ترقص معه ..

وثانيا ـ اخطأ لأن هذه السيدة ليست ملكة مصر كما يعتقد .. بل هى السيدة المرافقة لجلالة ملكة مصر !

واعتذر الرجل .. وعرض ان يقدم اعتذاره لملكة مصر ، وللسيدة التى رقص معها ، ولكن حسنين أكتفى بقبول الاعتذار بالنيابة عنهما .

وعاد حسنين وأبلغ فاروق النتيجة .. وغضب فاروق وصاح فى حسنين :

ـ كان لازم تضربه قلمين !

وأجاب حسنين ..

ـ وهل كان يسكت على القلمين ؟ أبدا ، كان يضربنى بوكس ! وكنت ضربته بوكس ووقعنا فى خناقة وفضيحة على ظهر الباخرة ! وكان الخبر طار باللاسلكي الى صحف أوروبا وامريكا .. والحكاية كبرت .. والاشاعات كثرت عن سبب الخناقة .. وكانت ألف حكاية وحكاية خرجت تتحدث وتروى ما حدث وما لم يحدث عن الرجل السكران الذى رقص مع ملكة مصر !

***

وكانت أول مرحلة فى الرحلة الملكية سويسرا .. وسان موريتز التى كانت تغطيها الثلوج فقد كنا لا نزال فى موسم الشتاء .

وحاول فاروق فى أول الأمر أن يتعلم « السكى » SKI أى الزحلقة على الجليد ولكنه وجدها رياضة شاقة وخطرة فانصرف عنها .. الى اللهو ومغازلة من فى الفندق ـ فندق سوفريتا ـ من فتيات . ولكنه كان غزل اطفال واشهد أن وجه فاروق كان يومئذ يعرف الحياء والاحمرار .. وكان يرتبك اذا أبتسمت له فتاة . أو وقفت تتحدث اليه .. وكان لا يعرف ماذا يفعل بيديه ! فكان يشبك أصابعهما حينا .. ثم يضع أحداهما فى جيب البنطلون .. ثم يخرجها ويمسك بأصبعين منها طرف جيب الصديرى .. هذا وهو يضع ثقله حينا على قدمه اليمنى .. وحينا آخر على قدمه اليسرى .. وهكذا !

وكانت أول غزوة له مع شقيقتين من نبيــلات السويد فكان يخرج معهما للنزهة على ظهــور الجيــاد ..

وبعد أن سافرت الشقيقتان السويديتان .. أخذ « يلتفت » الى فتاة مجرية ، ولكنه لم يلبث ان سئمها وتضايق منها لأنهـا كانت تلاحقه فى كل مكان يذهب اليه .

وكان حسنين باشا يرى ويسمع ويراقب ، ولكن فى حذر شديد بل كان يتظاهر ــ وأمام فاروق ــ بأنه لا يرى ولا يسمع ولا يعرف شيئا عن مغازلات ومغامرات صاحب الجلالة .

وقال لى مرة :

ــ ان الملك لا يزال ينظر الى ــ ومنذ أيامنا فى لنــدن ــ نظرة التلميذ الى الاستاذ .. وبيننا الآن ما يكون بين الاثنين من كلفــة وتحفظ . وهذا كما أعتقد من مصلحته ومصلحتى ؛ ويوم يشعر فاروق اننى أعرف كل شىء عن مغازلاته ومغامراته هو يوم تزول الكلفة ويخرج على المكشوف ويفقد كل احترامه لى ولا يبالى بعدها بشىء .

وفى مرة أخرى قال لى وعلى فمه ابتسامة ساخرة ..

ــ عقب وفاة الملك فؤاد وعودتنا من لندن اتصلت بى سيدات كثيرات من هوانم مصر وبنات أعرق الاسر فيها ، أتصلن بى وتحدثن الى فى لباقة ودبلوماسية رفيعة عن الملك .. الشاب الممتلئة عروقه بدم الشباب الحار .. وعن صحته وماتتطلبه هذه الصحة الغالية ، وتحدثن كذلك عن السن الحرجة ــ سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة ــ وعن المتعة الصحية التى لابد منها لشاب موفور الصحة مثل « مولانا الملك » .. وعرضن بكل لباقة ورقة وكياسة ــ وبكل أمانة وحرص وحذر ــ عرضن خدماتهن على جلالة الملك ، وأبدين استعدادهن لأن يقدمن « البضاعة الصحية » اما فى قصورهن .. او الى القصر الملكى مباشرة . كما يشاء ..!

وروى لى حسنين رحمه الله تفاصيل كثيرة وأسماء كثيرة .. الى آخر مالا يمكن ولا يجوز أن يشار اليه ولو تلميحا أو من بعيد ..

وقال :

ــ وكنت أقول لهؤلاء الهوانم أن « مولانا الملك » لن يرضى ولن يوافق اذا عرف أن لى دخلا فى هذا الموضوع أو اننى مطلع على أسراره « الصحية » وان الافضل والحالة هذه ان يحاولن الاتصال بجلالة الملك وعرض خدماتهن عليه من طريق آخر غير طريقى .

***

ولعل رجولة احمد حسنين ــ وما من أحد حتى من خصومه أنكر عليه رجولته ــ أقول لعل رجولته نفرت وأبت عليه أن ينزل الى القيام بمثل هذا الدور أو هذه الوساطة ..

وبعد .. لقد كانت خطة حسنين تفرض عليه ــ اذا قدر لها النجاح ــ أن يكون قائد الملك .. لا قواده ..! أن يكون الرجل القوى الذى يوجه الملك ويرشده ويسيطر عليه ــ عن طريق أمه الملكة نازلى ــ لا الرجل الدليل الرخيص الذى يشترك فى « توريد البضاعة أو المتعة الصحية » للملك الشاب !

وهل كانت نازلى كامرأة لها كبرياؤها .. هل كانت ترضى عن حسنين وتخضع له وتأتمر بأوامره ، لو انه قام لابنها بدور القواد .. لا دور القائد ؟

كل شىء اذن .. وكل مصلحة .. وكل سبب .. فضلا عن دواعى الرجولة والخلق القوى .. كل شىء اذن كان يفرض على أحمد حسنين أن يبتعد عن هذا الجانب من حياة فاروق .

ولعل فى هذه الصفحة الموجزة ردا على الذين زعموا ان حسنين هو الذى علم فاروق الفسق والفجور .

***

وكان حسنين طول هذه الرحلة حريصا على مقامه واحترامه فى نفس فاروق .. وحريصا فى نفس الوقت على تقوية قبضته على نازلى الملكة وأم فاروق ..

وكانت الاميرات الشقيقات قد بدأن يتعلمن فى ساحة الفندق المغطاة بالجليد .. الزحلقة بالقبقاب Skating وكانت أكثرهن حماسة ورغبة فى التعليم فتحية التى كانت لاتزال يومئذ فى السابعة من عمرها .. ولم تكن تبالى أن تقع عشرة أو عشرين مرة فى كل صباح ..

وذات يوم نزلت الملكة نازلى نفسها تريد ان تتعلم هى أيضا .. وامسك المدرب بذراعيها .. وأحاط خصرها بيده .. وراح يعلمها كيف تنقل قدميها والقبقاب فوق الجليد ..

وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل .. والمصورون يلتقطون لها الصور فى هذه الأوضاع !

ووقف حسنين على درج السلم الخشبى الموصل بين الشرفة وساحة الزحلقة .. ومضت دقائق والملكة نازلى تحاول أن تتعلم وتمشى بالقبقاب .. وتحفظ توازنها .. وتضحك .. وأخيرا عادت ادراجها وخلعت قبقابها ..

هذا وحسنين واقف ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمى البصر من وهج الثلوج .

وأقبلت نازلى ..

وانفجر حسنين .. ولكن صوته لم يعل عن طبقته العادية ـ لا .. لا .. مش كده يا ست ..! مش كده أبدا .. بكره راح نسمع كلام فارغ كثير بسببك !

ولم تزد هى ـ صاحبة الجلالة ـ عن أن تبتسم فى وجهه .. وهى تصعد اليه درجات السلم الخشبى .. حتى اذا وصلت أخذت بذراعه وهى تقول :

ـ طيب خلاص .. مرة وفاتت !

وعجبت لهذه اللهجة التى يخاطب بها موظف القصر صاحبة الجلالة الملكة وأم ملك مصر ..

وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة ..! فهى لم تغضب .. بل اعتذرت .. وتابت !

***

وكان ماخاف حسنين أن يكون .. ونشرت صحف مصر بعض هذه الصور التى ظهرت فيها الملكة نازلى وهى تتزحلق على الجليد .

وقامت مظاهرة من طلبة الازهر الشريف وتعالت فيها أصوات الاحتجاج والمناداة بالحياء والحشمة .

وبادر رئيس مجلس الوصاية وولى العهد الامير محمد على توفيق وأرسل الى حسنين باشا خطابا شديد اللهجة يوبخه فيه بقسوة

على سماحه للمصورين بالتقاط هذه الصور . وعلى سماحه لملكة مصر بالزحلقة على الجليد .. وعلى .. وعلى .. الخ ..

وهز فاروق كتفيه .. وقهقه ضاحكا .. أما نازلى فقد غضبت وثارت وعلا صوتها وهي تصيح :

ــ كفاية بأه .. كفاية سبعتاشر سنة وانا محبوسة .. ! خذوا الكورونا من على رأسى .. مش عايزاها .. « والكورونا معناها التــاج » ..!

غضبت الملكة نازلى من خطاب الامير محمد على توفيق وأعلنت انها وقد أمضت فى سجن الملك فؤاد سبعة عشر عاما تريد اليوم أن تكون حرة .. والا فانها لا تريد هذا التاج على رأسها ثم انطلقت تسب الازهر والازهريين وتدعو الله أن يصيب « البرنس » محمد على بكذا وكذا وكيت ..

ولزمت صاحبة الجلالة جناحها الخاص بالفندق يومين غاضبة . وانقطعت عن تلقى دروسها فى الزحلقة على الجليد ..

وفى نفس الوقت تلقيت « أمرا ملكيا » من فاروق أن أكتب الى زملائي الصحفيين فى مصر وأطلب منهم أن يكفوا عن نشر أية صور لجلالة الملكة نازلى .. اللهم الا الصور التى تظهر فيها مع جلالة الملك فاروق .

أما صورها وحدها أو مع الاميرات فممنوع النشر ، وصدعت بالامر الملكى وكتبت فى هذا المعنى خطابات خاصة الى « الاهرام والمقطم والمصرى ودار الهلال واللطائف المصورة » الى آخره ..

واستجاب الزملاء لرجائى ولم ينشر احــد منهم الى خطابى الخاص ، ماعدا المرحوم اسكندر مكاريوس صاحب مجلة اللطائف المصورة فقد نشر على صفحة كاملة من مجلته خلاصة لخطابى الخاص وتعليقا له قال فيه : ان الصحافة حرة فى حدود القانون واننا فى القرن العشرين وعصر الديمقراطية وحقوق الانسان وان « صاحبة الجلالة » الصحافة حرة فى نشر مايحلو لها من صور أصحاب وصاحبات الجلالة .. ولتفعل بنا القوة ما تشاء ..!

وكلاما فخما كثيرا فى هذا المعنى ! ومـــن يومها حـــرمت « اللطائف » وصاحبها من العطف الملكى السامى ! فلم تدع أو يدع صاحبها الى اية حفلة من الحفلات التى كانت تدعى اليها الصحف وأصحابها ورؤساء تحريرها فى قصر عابدين .

***

غضبت الملكة نازلى .. ولزمت جناحها الخاص .. وشكا جميع من كانوا معها من « عصبيتها » وحدة لسانها ..

وذات صباح تلقى فاروق من مصر برقية تقول ان صـاحب السمو الملكى الامير محمد على قد أصيب بذبحة صدرية وأن حالته خطرة .

وهنا عادت الابتسامة الى شفتى الملكة نازلى وقالت لمن حولها : «أبواب السما كانت مفتوحة لما دعيت عليه !..دنا دعاياماينزلش الارض ! » ..

وغادرنا سان موريتز فى مساء ٢٥ مارس الى جنيف . فوصلنا اليها صباح اليوم التالى ٢٦ مارس ..

وجنيف مدينة تتوافر فيها أسباب اللهو لمن يريد أن يلهو .. وفيها أركان منعزلة .. ومحلات أنيقة لتناول الشاى وصالونات خاصة .. ونزهات بالسيارة خارج المدينة .. أو بزورق بخارى فى بحيرة ليمان الشهيرة ..

وفى جنيف بدأنا نلاحظ كثرة خروج احمد حسنين مع الملكة نازلى وحدهما .. وأحيانا معهما السيدةالجليلة زينب ذو الفقار.

ثم فوجئنا بخبر سفر حسين صبرى باشا خال فاروق مـع السيدة الكريمة زوجته عائدين الى مصر مع انه كان مقررا انهما سيلازمان الملك والملكة طول الرحلة فى أوروبا . .

ودار همس خفى بأنهما سافرا لانهما غير راضيين عن سلوك الملكة نازلى معهما ! .. فقط ؟ أم هناك شىء آخر ؟..

لا أعرف . ولقد بقى السر معهما حتى اليوم ..

***

وهكذا .. أقمنا أياما فى مدينة جنيف .. وكان احمد حسنين يخرج مع الملكة !

والقائمقام عمر فتحى يخرج مع الملك !

ولم يخرج الأربعة معا الا فيما ندر !

وذات صباح ـ وكنا وقوفا في بهو الفندق ننتظر نزول صاحب الجلالة من جناحه الخاص ـ أقبل علينا فاروق وعلى وجهه مسحة من الحزن والجد وألقى علينا تحية الصباح ثم قال :

ـ البقية فى حياتكم .. الأمير محمد على مات !

واسدل كل منا على وجهه نقابا من الحزن.. وأطرقنا برءوسنا كما كان ينبغى أن نفعل .. وتمتم بعضنا بعبارات العزاء والدعاء لله أن يطيل فى عمر مولانا ..

وتسللت أنا على أطراف أصابعى الى غرفة مجاورة فيها مكتب وأدوات للكتابة وجلست أكتب صيغة برقية الى جريدة (المصرى) وأصف فيها وقع الخبر الأليم فى نفس جلالة الملك وماذا فعل وماذا قال وكيف قدم اليه أفراد الحاشية عزاءهم ضارعين الى الله أن .. الى آخره .

وبينما أنا كذلك دخل على حسنين باشا وسألنى ماذا أفعل ؟ وعلى وجهه ابتسامة .. وقلت اننى أكتب برقية للمصرى بما حدث !

قال رحمه الله :

ـ برقية ايه يا مدب ..! مولانا ضحك عليكم والنهاردة أول ابريل ! ..

***

وفى نفس اليوم ـ على ما أذكر ـ استأذنت من فاروق في السفر الى « مونتريه » لكى أوافى جريدة المصرى بأخبار مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية ريثما يصل الاستاذ محمود ابو الفتح الذى كان قد أرسل لى برقية يقول فيها أنه مضطر للبقاء فى مدينة ميلانو بضعة أيام بسبب اصابته بعرق النسا !

وادن لى فاروق بالسفر وطلب منى أن أبلغ تحياته الى «رفعة» النحاس باشا وزملائه وتمنيات جلالته لهم بالتوفيق .

وسافرت الى « مونتريه » وبقيت فيها عشرة ايام .. وكان عجيبا حقا أن أسمع هناك لاول مرة — ومن الدكتور احمد ماهر رحمه الله — اول اشاعة تربط بين اسم فاروق واسم صافيناز .. فقد خرجنا ذات مساء — أنا والدكتور احمد ماهر وجورج دوماني بك وكلاهما عضو فى وفد مصر لدى مؤتمر الغـاء الامتيـازات الاجنبية — خرجنا نتمشى على ضفة بحيرة ليمان فى الطـريق الى « فيفيه » وسألنى أحمد ماهر :

— صحيح جلالة الملك راح يتجوز الآنسة صافيناز ؟

ودهشت . وعجبت من أين جاءت هذه الاشاعة فقد كان مضى على شهر كامل أرى فى كل يوم فيه الملك فاروق والآنسة صافيناز ذو الفقار دون أن الاحظ شيئا ..

كان فاروق يعاملها كما يعامل شقيقاته الصغيرات ، وكان أفراد الحاشية — وانا معهم — يعاملونها بأدب جم ولكن بدون كلفة ..

كنا مثلا نبتسم اذا لقيناها ونحييها ..

— بونجور مدموازيل ! أو بونجور « فافيت » !

و « فافيت » تدليع صافيناز .. وكانت هى ترد التحية بأدب واحتشام وتقول :

— بونجور اكسلانس .. أو بونجور يا أستاذ !

ولم يخطر ببال أحدنا — أو ببالى أنا على الاقل — أن هنـاك شيئا ما بين فاروق وصـافيناز .. أو أن « فافيت » هى ملـكة مصر القادمة !!

دهشت اذن وعجبت : سألت الدكتور أحمـد ماهر من أين سمع هذا الخبر ؟

وضحك رحمه الله وقد ظن اننى وقد وقفت على هذا السر بحكم ملازمتى لحاشية الملك أرى من واجبى أن أكتم سر الملك وصافيناز .

وضحك وقال :

ــ طيب ما تعملش عبيط !.. الحكاية سمعناها فى مصر .
أى أن الخبر طار الى مصر من قبل أن نلاحظ شيئا نحن الذين كنا مع فاروق وصافيناز ؟

والتفسير الوحيد عندى هو أن حسين صبرى خال الملك والسيدة زوجته هما اللذان اذاعا السر فى مصر .

***

وكان فاروق ومن معه قد غادروا جنيف الى مدينة برن ..

وفى برن ــ كما علمت فيما بعد من أصدقائى رجال الحاشية ــ بدت من فاروق أول اشارة تدل على حقيقة عواطفه نحو الآنسة صافيناز ..

كانت صافيناز تتناول طعامها دائما مع الاميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحية .. ثم تنسحب معهن بعد تناول العشاء مباشرة لتأوى كل منهن الى غرفتها .

وكان غير مسموح لهن بالسهر ..

ولكن حدث فى برن ــ ولأول ــ أن نزلت الآنسة صافيناز وهى ترتدى ثوبا من ثياب السهرة .

ولم تنسحب بعد تناول العشاء مع الاميرات كما كانت تفعل ، بل بقيت فى قاعة الفندق الكبرى .

ثم دعاها فاروق للرقص معه .. ورقص الاثنان معا أكثر من مرة فى تلك السهرة .. وكانت تلك أول مرة كما قلت .. وكانت هذه أول اشارة او أول خطوة خطاها فاروق الى صافيناز ..

ولم تحدث هذه الاشارة أو هذه الخطوة الا فى « برن » ، ولكن اشاعة الزواج كانت فى مصر قبل أن يصل فاروق وصافيناز الى برن وقبل أن يرقصا معا ! ..

***

وانهيت ماموريتى فى مونتريه ولحقت بفاروق وحاشيته فى مدينة زيوريخ ، وبعد أيام سافرنا الى باريس ..! باريس التى كانت نازلى ــ كما قالت مرارا ــ تشتهى أن تزورها قبل أن تموت ..!

وكنا جميعا قد انتهينا الى تقرير امرين او حقيقتين وهما .
فاروق يحب صافيناز ..
نازلى تحب حسنين ..
وحسنين ..لا هل كان يحب نازلى ؟
لا اعتقد ولا احد غيرى كان يعتقد هذا .. الحقيقة ان الاثر الذى انطبع يومئذ فى نفوسنا هو ان نازلى هى التى تجرى وراء حسنين .. وان حسنين « تقيل » ! ثم لعله كان يتعمد أن يثير غيرتها عليه فى بعض الظروف .. فقد لاحظت أن حسنين كان يحرص على التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق .. اذا كانت الملكة نازلى موجودة !
.. بل كان يطلب منا اذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات بالفندق .. كان يطلب منا أن نقدمه اليها .. ثم يدعوها للرقص او لتناول شراب ما ..
كل هذا اذا كانت الملكة نازلى موجودة .. ترى وتسجل وتنقر بأصابعها على المائدة الصغيرة أو على ذراعى المقعد بغضب وعصبية!
أما اذا لم تكن موجودة فان حسنين كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات .. وكان لا يتحرك لدخول أية جميلة مهما كان جمالها يبهر الابصار أو يلفت الانظار !
وحدث مرة ـ وكنا لا نزال فى سان موريتز ـ ان قام حسنين يراقص فتاة المانية كنت أعرفها واسمها « جوى جيجل » وكانت معدودة يومئذ من أبطال التنس فى المانيا وحسنين راقص رشيق بارع .
والفتاة الالمانية طويلة القامة هيفاء العود .
وطال رقص الاثنين ..
وانتفضت الملكة نازلى واقفة .. ونادت بصوت ينم عن الغضب ..
ــ حسنين !
وارخى حسنين على الفور ذراعه التى كانت تطوق خصر الفتاة وأسرع الى الملكة نازلى .

ـ افندم ماجستيه ..
اى افندم يا صاحبة الجلالة ..
وخرجت « ماجستيه » من قاعة الرقص .. ووراءها أحمد حسنين ؟
وتبادل بعضنا النظرات ..
أما فاروق فكان يرقص ساعتئذ مع شهيرة هانم زوجة خاله حسين صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئا ..
وأكبر ظنى ان فاروق لم يكن يومئذ يخامره اى شك فى سلوك أمه أو فى حقيقة علاقتها بأحمد حسنين ..
كان فاروق يومئذ لا يزال يحسن الظن بأمه .. ويحسن الظن برائده أحمد حسنين ..

***

قلت ان أحدا منا لم يكن يعتقد أن حسنين باشا ممثل بارع . وان كل اشارة منه بحساب وكل خطوة بحساب وكل نظرة وكل عبارة موزونة بالدرهم والمثقال .. وانه ـ فى كلمة واحدة ـ لا يفعل شيئا اعتباطا أو « لوجه الله » ..
انه لم يكن يحب نازلى . وهذا أمر كان مفروغا منه عند الذين يعرفون أحمد حسنين .
ولكنه كان حريصا على ان تحبه هى .. ومن هنا كان يتعمد ـ كما ذكرت ـ أن يثير غيرتها ..
لماذا ؟ لماذا يحملها على أن تحبه .. بينما هو لا يحبها ؟ لكى يخضعها لارادته .. ويسيطر عليها .. وقديما قالوا : « ان الاقوى بين كل محبين اثنين هو الذى يحب أقل من صاحبه » .. والذى يسيطر على نازلى يسهل عليه أن يسيطر ـ من ورائها ـ على فاروق ..
وكان الامر واضحا لكل ذى عينين ومنذ كنا فى أوروبا فى صيف عام ١٩٣٧ .

***

وكان حسنين يعامل نازلى امامنا معاملة الموظف المرءوس لصاحبة الجلالة .. أى بكل الاحترام والطاعة والادب ..

رغم ذلك كانت تبدو منه ـ ربما عفوا ـ بعض الاشارات او العبارات التى وان كانت لا تتنافى مع الاحترام والادب الا أنها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة .. أو السيطرة .. وانه هو الاقوى .. وان كلمته هى التى يجب أن تنفذ !

دخلت عليه مرة ذات صباح فى غرفته بفندق « بلاتزا اتنيه » حيث كان ينزل الملك والملكة والاميرات والحاشية ـ وكان حسنين مسترخيا فى فراشه يتناول قهوة الصباح . وجلست فى مقعد الى جانب الفراش ..

وكنا فى أوائل شهر يونيه .. وهو من اجمل شهور السنة فى باريس ..

وكان اليوم يوم « احد » .. وراح حسنين يحدثنى عن أيام شبابه وذكرياته فى باريس يوم أقام فيها وعدل عن الدراسة فى اكسفورد .. وقرر أن يدرس فن الرسم فى الحى اللاتينى .

وحسنين ـ حين يريد ـ كان يستطيع أن يتحدث كشاعر وأن يحلق بسامعه فى سماوات الاحلام ..

ودق جرس التليفون الموضوع بجانب السرير .. وتناول حسنين السماعة .. وسمعت صوتا نسائيا .. واعتدل حسنين فى فراشه ، وقال :

ـ صباح الخير ماجستيه ..

وأدركت أن التى تكلمه هى الملكة نازلى .. ووقفت أريد الانسحاب ، ولكنه أشار الى بيده أن أجلس .. فجلست .

وكان صوت الملكة نازلى مسموعا وواضحا تماما كما يحدث احيانا فى بعض آلات التليفون .

وكانت جلالتها تريد أن تذهب مع « البنات » ـ كما كانت تسمى الاميرات ـ الى ملهى « لونابارك » .

وقال حسنين :

ـ مستحيل ماجستيه ..!

ومضى يقول ان اليوم « الاحد » وان لونابارك سيكون مزدحما بمختلف طبقات الشعب وكل من هب ودب .. فكيف تذهب ملكة مصر وصاحبات السمو الملكى شقيقات ملك مصر الى ملهى شعبى كهذا فى يوم الاحد ؟

وسمعت الملكة تضحك وهى تقول :

ـ يظهر انك عجزت خلاص يا حسنين ..

والحت فى الذهاب ..

واصر هو على الرفض ..؟

وكان له ما اراد .. وعدلت نازلى عن الذهاب الى لونابارك !

ولكن هل كان اعتراض حسنين على ذهاب نازلى الى ملهى لونابارك بوحى من اخلاصه وواجبه كرائد لابنها الملك ورئيس للحاشية حريص على سلامتها وسلامة الاميرات .. وحريص على مكانتها كملكة مصر ..

أم ان اعتراضه كان لمجرد الاعتراض .. ومجرد الرفض .. ومجرد خلق فرصة أو مناسبة يقول فيها : «لا» .. ويرغمها ـ ملكة مصر ـ على أن تخضع وتقول له : « نعم » ؟!

كان هذا هو الواقع .. واعتراض حسنين كان من باب «الترويض»

كانت نازلى ـ كما قلت ـ تتحرق شوقا الى باريس ، ومشاهده كل ما فى باريس .. ومن هنا كانت تضيق أحيانا بمعارضة حسنين وتغضب وتثور ..

وكان هو اذا رأى أن ثورتها توشك أن تنفجر .. فتح قبضة يده وأرخى لها الزمام .. حتى اذا تعبت من العدو عاد وجمع الزمام فى قبضة يده القوية .

وهكذا رأيت حسنين الذى عارض فى ذهاب الملكة الى لونابارك رأيته يصحبها بنفسه الى ما هو شر بكثير من لونابارك .. رأيته يصحبها الى سهرات فى حانات و « صناديق الليل » فى أحياء مونمارتر ومونبارناس .

وكان يوجد وقتئـــذ فى حى مونبارناس ملهى أو على الاصح « ماخورة » اسمها « سفنكس » .. ترقص فيهـا فتيـات وهن عاريات الجسد تماما حتى من ورقة شجرة التوت !

وذهبت ذات مساء مع صـــديقين من رجال الحاشـــية الى « سفنكس » المذكور .. وأشهد أن نفوسنا اشمأزت مما رأيناه فغادرنا الملهى أو الماخورة مسرعين ..

ولكنى سمعت بعـد ذلك أن « سفنكس » كان من بين ملاهى مونبارس التى زارتها صاحبة الجلالة ملكة مصر ، وفى معيتهـا أحمد حسنين ؟!

والذى يستطيع أن يفهم .. يستطيع أن يعذر !

كانت نازلى بطبعها وطبيعتها ميالة للمرح والاستمتاع بكل ماقى الدنيا وكل ما فى سنوات الصبا والشباب ..

ولقد حرمت من الشاب الذى أحبته وحرمت كذلك من حق شبابها وصباها ..

وامضيت أحلى سنوات العمر سجينة فى قفص .. أو فى قصر فخم منيف سجانه الملك فؤاد ..

ومات السجان .. وتحررت السجينة .. وانطلقت ــ كما سبق ان قلت ــ انطلقت تنهل ملء راحتيها من عيون الحياة ... وهى تشعر انه لم يبق لها من سنوات « ما بعد الصبا » الا القليل .. ولم يبق بينها وبين الكهولة المرة الباردة الا القليل .

وكان حسنين الخبير بطباع النفوس يعرف هـذا ويقدره .. ويعمل له حسابا . ولو أنه كان وقف دائما فى وجههـا يعترض ويقول : « لا » .. لانتهى الأمر بثورة عاصفة جامحة . ومن هنـا كان يشد حينا ويرخى حينا .. وهكذا أستطاع أن يحفظ المظاهر ــ ولو الى حد ما ــ وان ينقذ ملكة مصر من انهيار خلقى نفسانى فظيـع .

ولسوف يقول التاريخ الحق ان نازلى ملكة مصر لم تنفجـر و « تفجر » الا بعد موت مروضها أحمد محمد حسنين .

وذات مساء ذهب فاروق ــ ومعـــه بعض رجال الحاشية ــ الى ملهى « بال تابران » فى مونمارتر ولم يجدوا مقصورة خاليه أو مقاعد من مقاعد الدرجة الاولى او الثانية ..

فقد كان الملهى المذكور كعادته مكتظا بالمئات ..

واخيرا وقف فاروق وأصحابه فى المحل المخصص للدرجة الثالثة

وفى صباح اليوم التالى صـــــدرت جـــريدة باريسية وهى « انتراسيجان » وفيها « ريبورتاج » أو وصف مسهب التفاصيل لزيارة ملك مصر للملهى بال تابران ..

وعنوان المقال مقتبس من قصة فيكتور هيجو المشهورة « الملك يلهو » Le roi s'amuse وكنت جالسا ــ فى نفس الصباح فى بهو فندق « بلاتزا اتنيه » مع اليوزباشى احمـــد الطاهر ونزل المصعدالكهربائى .. وفتح بابه .. وخرجت منه الملكة نازلىووراءها وصيفتها الفرنسية وفى يدهاعدد جريدة « الانتراسيجان » .

اذن فقد قرأت صاحبة الجلالة مقال الصحيفة الباريسية عن ابنها .. الملك يلهو !

واذا كان فاروق .. الشاب الذى لا تزال الحيـــاة أمامـــه فسيحة ممتدة .. اذا كان ينتهز فرصة وجـــوده بباريس ليلهـــو ويلعب فأولى بها هى ــ بل ومن حقها أن تلهـــو وتلعب ولم يبق بينها وبين الكهولة وسن اليأس الا القليل .

لعل شيئا من هذا كان يدور برأسها حين تقدم منها احمـــــد الطاهر وانحنى .. ومدت اليه يدها فقبلها ..

وسمعته يقول :

ــ كل عام ومولاتنا بخير ..

وابتسمت هى وقالت :

ــ خلاص يا كابتن عجزنا .. ولا بقاش الا القليل !

وكنت قد وقفت بدورى .. ولكننى بقيت واقفا حيث كنت .. « زى اللوح » .. ولم أتحرك .. ولم اقـــدم لجـــلالتها التهانى لسبب بسيط وهو اننى لم أكن أعرف مناسبة التهنئة !

وقال يوزباشي أحمد الطاهر :

ـ النهارده عيد ميلاد الملكة نازلي ..

***

وقد دار الطاهر يومئذ على سيدات ورجال الحاشية يسأل كلا منهم وكلا منهن عن عدد الشموع التي يضعها في «الطورطة» عيد مولد صاحبة الجلالة ، وكل شمعة بسنة من سنى حياتهاالمديدة .

وتهربوا جميعا من الرجل .. ومر السؤال

واخيرا قيل له : « ضع نفس عـدد الشموع التى وضعتها فى العـام الماضى » ..

وكان عددها اربعة واربعين ! اى أن الملكة نازلى كان عمرها فى صيف ١٩٣٧ خمسة واربعين عاما !

لا عجب !

وحدث اثناء اقامتنا فى باريس أن وصل وفد مصر لدي مؤتمر الغاء الامتيازات فى مونتريه بعد توفيقه فى مهمته وهي موافقـــة الدول الاجنبية ذات الشأن على الغاء الامتيـازات والتنـازل عن جميع حقوقها لسلطات القضاء المصرى .

وكان الوفد المذكور ـ كما ذكرت فى المقال السابق ـ برئاســة رئيس الوزارة يومئذ مصطفى النحاس باشا وكان من بين أعضاء الوفد الاستاذان مكرم عبيد باشا ودكتور احمد ماهر .

ونزل النحاس باشا والسيدة قرينته فى جناح كبير بفنـــدق جورج الخـامس .

ونزل معه فى نفس الفندق الاستاذ مكرم عبيد والسيدة قرينته أما دكتور احمد ماهر فقد أختار رحمه الله فنـدقا من فنـادق الدرجة الثانية بميدان « بيراميد » ـ اى الاهرام ـ المقام فيــه تمثال لجان دارك .. بشارع ريفولى . وهو فندق ريجينا ونزل به مع صديقة المرحوم السيد عبد الحميد البنان .

وطلب منى حسنين باشا ان ادبر له اجتماعا مع مكرم عبيــد باشا .. وكلمت الاستاذ مكرم فوافق ورحب بالاجتماع بحسنين . ولكنه سألنى :

ـ ما تعرفش عايز يقابلنى ليه ؟

قلت : لا أعرف .. ولكن لعله يريد أن يقـول لك ما سبق أن قاله لى مرارا وهو أن الملك فؤاد مات .. وان من حسن السياسة أن يدفن الوفد خصومته القديمة للملك فؤاد وأن ينسى مخاوفه وشكوكه من القصر ورجال القصر .. لأن العهد قد تغير ..

واجتمع الرجلان بعد ظهـــر أحـــد الايام فى مطعم ـ مقهى « البافيون ده روز » بشارع الشانزلزيه ..

وصح ماتوقعته وبدأحسنين الحديث عن فاروق وكيف انه وطنى ومؤمن بحقوق بلاده وحقوق شعبه ، ومتحمس « لمصر وكل ماهو مصرى » .. الى آخره .. ورجا من الوفد فى شخص مكرم عبيد ـ أن ينسى الماضى وما كان فيه من خصومات .. وأن يبـــدأ مع الملك والقصر ورجال القصر عهدا جديدا يقوم على التعاون فى خدمة مصر واحترام ما للشعب من حقوق وما للملك من حقوق .

ثم قال حسنين انه يعتقد ان لا شيء أعظم وأجدى من الصراحة .. وانه شخصيا ليس من رجال السياسة ولا يفهم فى السياسة بل ولا يريد أن يفهم فيها أو يشتغل بها ولكنه مع ذلك يقول انه اذا قدر عليه ـ لا قدر الله ـ ان يشتغل فى يوم ما بالسياسة فانه سوف يجعل الصراحة مبدأه الذى لا يحيد عنه .. ولهـذا فانه يرجو من رجال الوفد ـ من مكرم باشا بالذات ـ ان يصارحوا القصر ورجـال الملك دائمـا بما يريدون وما يقترحـون وبأية ملاحظات لهم . وانه ـ أى حسنين ـ يعد بأنه من جانبه سوف يكون دائما معهم فى منتهى الصراحة .. وسوف يعمل من جانبه على تحاشى كل سبب من أسباب الخلاف ويحرص على تسوية كل مشكلة وكل نزاع على أساس احترام حقوق الشعب وحقوق الملك كما حددها الدستور ..

هذا ـ وحسنين يفرد يديه أمامه تواضـعا واستصغارا لشأن نفسه وشأن منصبه ..

ثم يقول :

ـ ولو انني كما قلت لا أشتغل بالسياسة ولا افهم فيها كما ان منصبي فى القصر ليس من المناصب السياسية والحمد لله ..!

ورد مكرم باشا فقال ما خلاصته ان الوفد قد دفن الماضى ونسى خصوماته حتى ومن قبل وفاة المرحوم الملك فؤاد .. وان النحاس باشا فى آخر مقابلة له مع الملك فؤاد وهو على فراش الموت أكد له اخلاص الوفد للعرش وان الملك فؤاد قال يومئذ للنحاس باشا انه تأكد الآن من أن مصطفى النحاس هو أخلص رجل له فى مصر .. الى آخـره ..

.. وان النحاس باشا وجميع أعضاء الوفد يحبون الملك فاروق ويستبشرون خيرا على يديه .. وانهم يخلصون له كل الاخلاص وليس أدل على أخلاصـهم لشخصه الكريم من أن الوزارة ـ « وزارة الوفد » ـ رفضت الاقتراح الذى تقدم به البرنس محمد على رئيس مجلس الوصاية برفع سن الرشد للملك من ١٨ الى ٢٥ عاما .. وعودة الملك فاروق الى انجلترا ليستأنف دراسته الى أن يبلغ سن الخامسة والعشرين ..

وقال مكرم انه يعد حسنين بأنه هو أيضا من جانبـه سيعمل دائما بصراحة واخلاص من أجل تسوية كل مشكلة وكل نزاع قد يقوم فى المستقبل بين القصر والحكومة الدستورية النيابيـة .. الى آخره .. الى آخره .

وافترق الرجلان وهما يبتسمان ويؤكدان ـ كل منهما لصاحبه ـ ان كل شيء سوف يسير باذن الله على ما يرام !

وانصرف حسنين . وتركنى مع مكرم عبيد .. وقال مكرم وهو يطلق ضحكته التهكمية القصيرة :

ـ ايه .. حسنين عايز يفهمنى انه عبيط خالص ولا يعـرفش حاجة أبدا فى السياسة ؟

قلت : جايز .

قال : لـكن غرضه ايه ؟

قلت : الذى فهمته من حديثه انه خائف منكم على الملك فاروق

ويريد أن يطمئن على حسن نواياكم ..

وقال مكرم : طيبوايه حكاية التعاون دي بيننا وبينه ؟

قلت : ولم لا ؟ انه الآن رائد الملك وأقرب رجال القصر اليه .. بل هو صاحب النفوذ الاول فى القصر ..

وعاد مكرم وأطلق مرة أخرى ضحكته القصيرة ، وقال وهو يضغط على ذراعى بيده :

ـ والملكة نازلى . .هيه ؟

قلت : نعم .. والحكاية معروفة .. وحسنين باشا كما قلت معاليك صاحب النفوذ الأول عند الملكة نازلى .

***

وأعترف اننى لم أفهم تماما غرض حسنين باشا من مقابلة مكرم باشا الا فى ضوء الحوادث التالية .. وسوف أعرض لها فى الوقت المناسب ولكننى لا أرى بأسا فى أن أكشف السر منذ الآن وأقول ان حسنين باشا رحمه الله كان يمهد السبيل للحصول على منصب رئيس الديوان .. وهو المنصب الذى كان بقى شاغرا منذ استقالة احمد زيور باشا فى حياة الملك فؤاد ..

كان يمهد السبيل عن طريق اقناع مكرم عبيد ـ سكرتير الوفد والرجل الأول فى الوفد وصاحب الكلمة التى لا ترد عند رئيس الوفد مصطفى النحاس ، كما كان يعرف الجميع .. عن طريق اقناع مكرم عبيد بأنه ـ أى حسنين ـ رجل لا يفهم فى السياسة .. هذا أولا . وثانيا انه رجل مسالم حريص على حسن العلاقات بين حكومة الاغلبية الوفدية والقصر .. وثالثا ان عهد الملك فؤاد قد مضى وراح بخصوماته ومؤامراته ودسائسه .. وان العهد الجديد شىء آخر ورجاله ـ الذين فى القصر ـ رجال آخرون لا يتمنون شيئا أكثر من احترام حقوق الشعب .. والمحافظة على حقوق الملك التى كفلها الدستور ولا شىء آخر .

وهذا ما كان يتمناه الوفديون ويطالبون به من زمن طويل .. وها هو ذا حسنين يعرض عليهم خدماته ..! حسنين « العبيط »

الذى لا يفهم فى السياسة فهو اذن رجـــل مأمون لا يخشى شره ويمكن الوثوق به والاطمئنان اليه :

ولكنه ــ كما حرص على أن يقول لمكرم ــ فى منصب ليس من المناصب السياسية التى تجيز له الاشتغال بالسياسة أو التدخل فى الشئون أو المشاكل السياسية !

وأفهم اذن يا مكرم باشا ..! ضعوا حسنين فى منصب سياسى بالقصر وهو كفيل بالعمل على احترام الدستور واحترام حقوق الشعب والبرلمان والحكومة الدستورية .. واحترام حقوق الملك فى الحدود التى رسمها الدستور !

وفى كلمة واحدة .. سوف يضمن لـكم احمـد محمد حسنين سياسة التعاون المخلص الصريح التى كنتم تتمنونها من زمن طويل !

وحسنين قادر على الوفاء بوعده لأنه ــ كما لا بد أن سمعتم يا زعماء الوفد ــ صاحب النفوذ الاول عند فاروق .. وعند الملكة نازلى وهى بدورها صاحبة النفوذ الاول يومئذ عند ابنها الملك فاروق .

كان هذا هو تقدير حسنين باشا ولا شك انه تقـــدير سليم أو تقدير مقبول عند الساسة المسالمين أو الزعماء الذين لا يعتدون كثيرا بقوتهم او بحقوقهم التى ينص عليها الدستور ..

ولكن ــ كما اننى لم أفهم يومئذ غرض حسنين من هذه المقابلة ومن حديثه الطويل . كذلك مكرم لم يفهم قصد حسنين ..

ويوم فهم الوفد ــ ومكرم باشا بالذات ــ غرض حسنين وهو انه يرشح نفسه لمنصب رئيس ديوان جلالة الملك .

رفض الوفد أن يزكى هذا الترشيح بحجة أن حسنين لم يدرس القانون .. ورئيس الديوان يجب أن يكون من رجال القانون !

وحجة أخرى وهى أن حسنين ليس من رجال السياسة وهو باعترافه لا يفهم فى السياسة .. ورئيس الديوان يجب أن يكون من رجال السياسة ..!

ومع ذلك .. فانه اذا كانت مصر قد انجبت سياسيا واحـدا

من الطراز الاول بعد عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى .. فان هذا السياسى هو أحمد محمد حسنين .. ولكنه ـ كما قلت ـ كان دائما حريصا على أن يقول لكل من يلقاه انه لا يفهم فى السياسة ولا يريد أن يفهم فيها أو يشتغل بها من باب التمويه والتضليل ولكى يحمل الساسة والزعماء على أن يطمئنوا اليه ولا يحسبوا له حسابا !

وكان حسنين رحمه الله يسر كثيرا ويفرك يديه فرحا عندما يسمع ان فلانا من الزعماء أو الساسة يقول عنه انه « عبيط » .

***

وقرر فاروق أن يسافر الى لندن ..

وفى نفس الوقت تقرر ان يعود وفد مصر برئاسة النحاس « باشا » الى سويسرا لكى يشهد اجتماع « المرحومة » عصبة الامم فى جنيف ويقدم طلبا بانضمام مصر الى الهيئة المذكورة .

وتحدد موعد « يتشرف » فيه النحاس « باشا » وأصحابه أعضاء وفد مصر بمقابلة جلالة الملك .. بمناسبة سفرهم الى جنيف .

وفى الموعد المحدد أقبل فاروق على « الصالون » الخاص الملحق بجناحه فى الفندق ووقف حوله كبار رجال حاشيته .. فى انتظار وصول رئيس الوزراء .

ولكن النحاس باشا ـ كعادته ـ تأخر نحو ربع ساعة .. وكان فاروق يتأفف ويظهر غضبه ويقول انه قرأ مرة أن دقة المواعيد من آداب الملوك .. ولكنه يريد أن يقرأ أن اخلاف المواعيد يعد قلة أدب من رؤساء الوزارات ..!

وفى هذا المعنى بالذات ـ وبعد شهرين اثنين أو ثلاثة شهور ـ كتبت جريدة « البلاغ » أكثر من مقال واحد بامضاء صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا .. وكان رحمه الله يومئذ لسان حال القصر بعد أن بدأت أسباب الخصومة والخلاف تتعدد وتشتد بين القصر ورجاله من جانب وعلى رأسهم رئيس الديوان على ماهر باشا ، وبين حكومة الاغلبية الوفدية ورئيسها مصطفى النحاس .

ولكننى أسرع الخطى واستبق التاريخ ..

***

أقبل النحاس باشا متأخرا عن الموعد المحـدد نحو ربع ساعة واستقبله فاروق .

ولم أشهد بطبيعة الحال هذه المقابلة لأننى كنت واقفا انتظر فى غرفة أخرى ملحقة بالصالون مع بعض أفراد الحاشية ..

ولم تطل المقابلة أكثر من دقائق ..

وفتح باب « الصالون » وخرج منه النحاس ومكرم ومن معهما .

وكان النحاس « باشا » متجهم الوجه مقطب الحـاجبين ..

ولم يكد يرانى حتى أشار الى أن أتبعه ..

ونزلت معهم الى بهو الفندق وأخذ النحاس « باشا » بذراعى وقال :

ـ اللعب بدا من دلوقت ..

قلت : خيرا يا رفعة الباشا ..

قال : لا .. مش خير أبدا .. أبدا .. الملك كلمنى عن حفلات التولية التى ستقام بعد عودته الى مصر وعايز حفـلة تقـام فى القلعة .. آه فى القلعة .. وشيخ الازهر .. سامع ياسى التابعى ! شيخ الازهر يقلده فيها .. فى الحفلة دى سيف جده محمـد على .. آه .. محمد على .. والامراء .. الامراء يكونون حاضرين الحفلة ولابسين الهدوم اللى كان جدودهم بيلبسوها أيام محمـد على .. وفى الحفلة دى مش عارف مين ومين رايحين يقسموا له يمين الولاء والاخلاص ..! ايوه يا سيدى .. حفلة فى القلعة .. انت عارف يا سى التابعى الدستور بيقول ايه ؟

ولم تسعفنى ذاكرتى بأحـكام الدستور ونصوصه فى هـذا الموضوع وقلت :

ـ لا .. ما اعرفش يا رفعة الباشا ..

وقال رفعته :

ما تعرفش ..؟ طيب انا اقول لك .. الدستور بيقول ان الملك

قبل أن يتولى سلطاته ويباشرها يقسم اليمـــين الدستورية امام الهيئة المشتركة من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب .. اه ..
اهو ده اللى بيقوله الدستور .. ولا فيش حاجة فيه عن سيف جده محمد على .. ولا عن الامراء وهدوم الامـــراء .. ولا عن شيخ الازهر .. وانا مش فاهم شيخ الازهر ماله ومال مباشره الملك لسلطاته الدستورية !

وكان شيخ الازهـــر يومئذ المغفـــور له الشيخ المراغى ولم يكن العلاقات بينه وبين الوفديين فى اى يوم .. على ما يرام .. فقـــد كانوا يخشونه . وكان هو من جانبه لا يحسن الظن بهم .

وتدخل مكرم باشا فى الحديث ، وقال :

ـ البركة فى الاستاذ التابعى .. يحل لنا الاشكال ده ..

وقال النحاس باشا وهو يتجه الى السيارة الفخمة التى كانت تنتظره أمام الفندق :

ـ أيوه خلص لنا الحكاية دى .. وزى ما قلت مفيش غير اداء اليمين الدستورية ، تحت قبة البرلمان . ولا قلعة ولا سيف محمد على .. ولا امـــراء ولا حـــاجة من دى ابدا .. آه .. اللى فى الدستور وبس .

واخذت مكرم باشا الى جانب وقلت له :

ـ ولكن الملك يسافر اليوم الى لندن .. وانا قاعد فى باريس .. لأن لنا مراسلا فى لندن يمكنه أن يوافى « المصرى » بأخبار الملك والرحلة الملكية فى انجلترا .

وقال مكرم :

ـ معلهش علشان خاطرنا تسافر لنـــدن وتسوى لنـــا هـــذه المشكلة .. واحنا عارفين ان جلالة الملك يحبك ويثق فيك .

***

وكانت حكاية القلعة وسيف محمد على الذى يقدمه شيخ الازهر الى فاروق .. ووقوف امراء أسرة محمـــد على فى صفين وهم مرتدون ثياب الامارة فى القرن التاسع عشر الى آخـــره .. كانت هذه كلها « تقليعة » من تقاليع الامير محمد على رئيس مجـــلس

الوصاية وقد أفضى بها الى صحفى يعمل فى جريدة الاهـــرام فنشرها .. وغذاها .. وقوى الدعاية لها .. وكبرت الفكرة فى رأس الامير محمد على وبقية الامراء .

ولا أعرف هل كان الامير محمد على كتب الى فاروق فى هـذا الموضوع أم ان فاروق قرأ الموضوع فى جريدة الاهرام فطابت له الفكرة ، وكانت الصحف والمجلات ترسـل من مصر بالطـائرة وبانتظام الى فاروق وكان سكرتيره الخاص دكتور حسنى يقرأها ويعرض عليه ما يرى وجوب عرضه ..

أما أنا فقد كان ذهنى خاليا تمامـا من الموضوع لاننى لم اكـن اطلع على صحف مصر ! حتى جريدة « المصرى » التى كنت يومئذ احد أصحابها ومجلة « آخر ساعة » التى كنت صـاحبها ، لم تكونا ترسلان الى فى أوروبا ، لأننى لم أطلبهما ..!

***

وسافر فاروق الى لندن هو وأمه وشقيقاته وجميـــع أفراد الحاشية .. ونزل فاروق وافراد الحاشية من الرجال ــ ما عدا الإستاذ احمد يوسف مدرس اللغة العربية للاميرات ــ نزلوا فى قصر « كنرى هاوس » فى كنجستون ، وهو القصر الذى كان يقيم فيه فاروق أيام دراسته القصيرة فى انجلترا .

أما الملكة نازلى وبناتها الاميرات وسيدات الحاشية ومنهـــن السيدة زينب ذو الفقار وكريمتها الانسة صافيناز ، فقد نزلن فى قصر أستؤجر خصيصا لهن واسمه قصر « بالاردكوم » ويبعـد عن قصر « كنرى هاوس » نحو كيلومترين ..

وأقام معهن فى القصر المذكور الاستاذ أحمد يوسف . وسافرت الى لندن بعد أيام قليلة ، ونزلت فى فندق « اثانيوم كورت » فى حى بيكاديللى .

واتصلت بالتليفون فور وصولى بحسنين باشا ..

وذهبت الى « كنرى هاوس » وعرضت عليه المسألة ووجهـة نظر مصطفى النحاس باشا .

وقال حسنين ان هذه مسألة سياسية ولا شأن له بالسياسة واقترح على أن اتحدث فى الموضوع مع دكتور حسنى بك سكرتير الملك .

وكان هذا شأن حسنين دائما ..! كان يتحاشى المسائل الشائكة التى لا مصلحة له فيها . وقد كان الموضوع ولا شك شائكا .. فهو اقتراح من الامير محمد على أكبر الامراء سنا ومقاما .. والملك فاروق متحمس للفكرة وللموضوع ، ورئيس الوزراء وزعيم الاغلبية البرلمانية يعارض ويرفض العمل بالاقتراح .. هو اذن موضوع شائك . ولا مصلحة فيه لحسنين .

اذا هو لم يستطع اقناع الملك بالتخلى عن حفلة القلعة اغضب الوفديين وزعيمهم مصطفى النحاس .

واذا هو نجح فى تسوية المسألة واقناع فاروق .. فانه يغضب الامير محمد على ..

***

وتحدثت مع دكتور حسنى فى الموضوع ، وكان مما قلته ان هذه الحفلة ومراسيمها ليست من مصلحة جلالة الملك لأنها شبيهة بتتويج ملوك المسيحية . وخصوصا حفلة تتويج ملك انجلترا .. « وكان تتويج ملك انجلترا الراحل جورج السادس فى نفس الشهر وتفاصيل الحفلات التى أقيمت عالقة بالاذهان » . وقلت :

ـ ومن ذلك القلعة ويقابلها فى حفلة جورج السادس كنيسة « وستمنستر آبى » .. ورئيس أساقفة كنتربرى ويقابله عندنا شيخ الازهر ..

كلا .. يا حسنى .. هذه الحفلة ليست فى مصلحة « مولانا » .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان الوزارة الوفدية متمسكة بأحكام الدستور ، وهذه الحفلة مخالفة سافرة لأحكام الدستور .. الخ ..

***

وفى اليوم التالى عدت الى « كنرى هاوس » ..!

ونزلت من التاكسى عند « البوابة » الخارجيـــة للقصر وكان يحرسها جندى من رجال بوليس لنـــدن . واستوقفنى كالعـادة ليتحقق من شخصيتى قبل أن يأذن لى بالدخول .

وفى هذه اللحظة رأيت فاروق راكبـا دراجـة « بسكليت » وصافيناز فوق دراجة أخرى والاثنان ينطلقان فى الطريق الى المروج الخضراء الممتدة بين كنرى هاوس وقصر بالارد كوم .

اذن فقصة الحب التى بدأت فى برن « سويسرا » تسير سيرا طبيعيا . ولقد سررت كثيرا . فقد كنا جميعـــا نحترم ونكبر الصفات الممتازة التى تتحلى بها الآنسة صافيناز ذو الفقار .

وتناولت الغداء مع رجال الحاشية . وبعد ان انتهينا خرجت مع حسنى نتمشى فى حدائق القصر الواسعة . .

وقال حسنى انه نجح ، والحمد لله ، وان « مولانا » قد تنازل عن فكرة القلعة وان برنامج حفـلات التولية سوف تقتصر على حفلة اداء اليمين الدستورية أمام أعضاء البرلمان .

وفى مساء نفس اليوم تقام حفلة عشاء تعقبها حفـلة ساهرة فى قصر عابدين .

واليوم التالى حفلة استعراض الجيش . .

ثم يستقبل الملك فى اليوم الثـــالث الأمراء ورجال السلك السياسى والوزراء الحاليين والسابقين والشيوخ والنواب وكبار الموظفين وطوائف وهيئات من اعيان البلاد واطبائها ومحاميهـا وصحفييها . . الى آخره . . الى آخره . .

وفى اول يوم جمعة يؤدى جلالة الملك صلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف . .

هذا هو البرنامج .

وقلت أنا . . عال . . ولا اظن أن لأى أحد أقل اعتراض عليه ؟

ولكننى كنت استبق الحوادث . ومتفائلا أكثر مما ينبغى . .

وكان حسنى بك لم ينته بعد من كلامه . . فقد قال : ان « مولانا » سوف يسره جدا أن يقدم له الشعب تاجا ، وان تقام حفلة تتويج

كبرى يدعى لحضورها ملوك ورؤساء دول العالم ..

ومضى حسنى فى شرح الفكرة أو المشروع ، فقال :

ـ ولما كان جلالة الملك ديمقراطيا بطبعه ، وحريصا على أحكام الدستور التى تقول أن الامة مصدر السلطات فانه يرى ان تكتتب جميع طبقات الامة بثمن هذا التاج ، وان الذى يضع التاج على راسه هو رئيس مجلس الشيوخ .. ويضعه باسم الامة .. وهكذا يكون التاج من الامة ، ويوضع على رأس جلالة الملك باسم الامة ..

واعترف اننى تحمست يومئذ لهذا المشروع ، ووعدت دكتور حسنى بتأييده ..

***

واسرعت عائدا الى الفندق وطلبت بالتليفون مكرم عبيد باشا فى فندق « ده برج » فى جنيف وابلغته تنازل الملك فاروق عن فكرة الحفلة الدينية فى القلعة التى يقلده فيها شيخ الازهر سيف جده محمد على .. وقلت ان صاحب الجلالة يقترح ان تقتصر حفلات التولية على أداء اليمين الدستورية أمام شيوخ ونواب الامة واقامة مادبة عشاء تعقبها حفلة ساهرة فى قصر عابدين .. الى آخر البرنامج الذى ذكرته .

وانطلق مكرم باشا ـ وفى صوته رنين الفرح ـ انطلق يهنئنى على توفيقى فى مهمتى ويقول :

ـ عظيم .. عظيم خالص .. ده توفيق من الله .. وكلنا نشكرك يا استاذ تابعى ..

قلت :

ـ ولكن حسنى بك كلمنى فى مشروع آخر وانا وافقت عليه ووعدته بتأييد المشروع عندكم ..

وسألنى الاستاذ مكرم .. وما هو المشروع ..؟

ورويت له حديث الدكتور حسنى عن التاج الذى تكتتب بثمنه جميع طبقات الامة . .ثم يضعه رئيس مجلس الشيوخ باسم الامة على رأس فاروق فى حفلة يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول .. الى آخره .

وقلت اننى أعتقد أن جلالة الملك نفسه هو صاحب فكرة التاج وانه فرح جدا بفكرته هذه وخصوصا بعد أن عرضها على رجال حاشيته فتحمسوا لها ووافقوه عليها .

ورويت لمكرم ما سمعته فى معرض التأييد وهو أن مصر الفرعونية القديمة كان لها « تاج » . . لا تزال آثارها وجدران هياكلهاومسلاتها تحمل رسومه . . وقد فقدت مصر « تاجها » بعد ان فقدت استقلالها . . أما اليوم وقد استردت مصر استقلالها بعد عشرات القرون فقد وجب أن تسترد مصر تاجها القديم . الى آخره . .

وكانت الاشارة الى « استقلال » مصر الذى استردته بعد عشرات القرون اشارة الى معاهدة ١٩٣٦ أو معاهدة الشرف والاستقلال كما قيل عنها يومئذ !

واصغى مكرم باشا الى حديثى ، ثم قال :

ــ وهو كذلك . .

وهنا سألته :

ــ يعنى أقول لهم ان معاليك موافق ؟

قال : مفيش مانع !

قلت : ومسألة اخرى . ان الضجة لا تزال قائمة فى الصحف الوفدية حول الحفلة الدينية فى القلعة وانا أخشى ان هى استمرت أن تفسد الجو فأرجوكم أن تعملوا على ايقافها .

قال : طبعا . . طبعا . .

ثم اتفقنا على أن أرسل الى جريدة « المصرى » برقية تضع حدا لهذه الضجة وللجدل القائم حول هذه الحفلة الدينية بين الصحف التى تؤيد اقامة هذه الحفلة ــ وهى الصحف التى كانت متصلة بالامير محمد على توفيق وكانت تعمل وتكتب بوحى منه ــ وبين الصحف الوفدية التى كانت تعارض فى اقامة الحفلة فى القلعة .

. . وان أقول فى برقيتى الى جريدة « المصرى » اننى اتصلت برفعة الرئيس وبمعالى مكرم باشا فى جنيف وسألتهما عن رأيهما

فى جدل الصحف المصرية حول هذه الحفلة الدينية ففوضا الى ان اذيع أن هذا الجدل أصبح لا معنى له ولا سبب .. وان الوزارة حريصة على تحقيق رغبات جلالة الملك وان الثقة والتفاهم الكامل متبادلان لحسن الحظ بين جلالة الملك « المحبـــوب » ووزرائه المخلصين !

وارسلت فعلا هذه البرقية الى « المصرى » .

ولكن الحملة أستمرت مع ذلك .. كما سترى فيما بعد وأعود الى أصل الحديث ..

انتهى حديثى بالتليفون مع مكرم باشا وبادرت وأبلغت حسنى بك فى قصر « كنرى هاوس » خبر موافقة مكرم باشا على مشروع التاج . ودعوته هو وزميله من رجال الحاشـــية على رشيد بك « وهو الآن كبير الامناء فى القصر الجمهـورى » لتمضية السهرة معى فى لندن .

واجتمعنا فى المساء وعلمت من حسنى بك انه ذهب مبـــاشرة عقب محادثتى التليفونية وأبلغ « مولانا » موافقـــة مكرم باشا على مشروع التاج ، وان فاروق سر جدا بهذا الخبر .

وسمعت بين ما سمعته أثناء السهرة ان جلالة الملكة نازلى قد كرهت لندن وانها ضيقة الصدر وعصبية المزاج فى هذه الايام .. وانها تشكو من وحدتها فى قصر « بالاردكوم » مع « البنات » ـــ أى الاميرات ـــ وان أحدا لا يعنى بهـــا أو يهتم بالسؤال عنهــــا أو الخروج معها .. وان جلالة الملك ابنها يكتفى بالسؤال عنهـــا بالتليفون .. لأنه مشغول بصافيناز .. أو بنزهاته فى سيارته .. والقائمقام عمر فتحى مريض طريح الفراش فى أحد المستشفيات .. وأما حسنين باشا ..؟

وهنا تقول الملـكة نازلى :

ـــ حسنين مش فاضى لنا دلوقت .. لأنه مشغول مع حبايبه فى لندن وعلى راى المثل « من يلقى أحبابه ينسى أصـــحابه » .. وحبايب حسنين فى لندن كثير ..!

ولم يكن عجيبا ان يجد حسنين باشا فى لندن وتواديه ومنتدياتها ودور كبرائها .. أو فى الريف الانجليزى الجميل القريب من لندن.. لم يكن عجيبا ان يجد حسنين فى هذا كله ما يشغله ويملأ وقته ويصرفه عن الاهتمام بالملكة نازلى وارضاء نزواتها .. ذلك ان حسنين كان ــ كما ذكرت فى الفصول السابقة ــ قد أمضى أحلى سنى الشباب فى لندن أيام كان يتلقى دراسته فى جامعة أكسفورد .. ولقد كانت له صداقات كثيرة ومعارف أكثر فى لندن وفى الاسر الانجليزية الكبيرة التى تعيش فى الريف القريب من لندن ..

ومن هنا انصرف حسنين عن الملكة نازلى .. لكى يعيش فى ذكريات أيام الدراسة والشباب الخالية ..

***

اما القائمقام عمر فتحى بك فقد اصيب ذات مساء ــ اثناء السهرة مع بعض رجال الحاشية فى احد نوادى لندن الليلية ــ أصيب لأول مرة بالذبحة الصدرية .

وحملوه الى أحــــد المستشفيات .. ولما سمع فاروق بالخبر أسرع الى المستشفى وأمضى الليل الى جانب فراش ياوره الخاص الامين وهو يبكى !

وكان فاروق لا يزال وقتئذ رقيق الاحساس والشعور .

***

وتناولت طعام الغداء فى اليوم التالى فى قصر « كنرى هاوس » .. وبعد الغداء صحبنى الدكتور عباس الكفراوى ــ طبيب الملك الخاص ، وكانت له مكانة خاصة عند فاروق ــ صحبنى الى حديقة القصر لــكى يتحــدث الى عن منصب رئيس الديوان الذى كان شاغرا منذ استقالة صاحب الدولة احمد زيور باشا .

وقال الدكتور الكفراوى كلاما كثيرا لا أذكره بحروفه وكلماته ولكنه فى هذا المعنى .. قال :

ــ ان جلالة الملك كما تعلم لا يزال صغير السن قليل الخبرة وهو فى حالته هذه فى حاجة الى رئيس ديوان يكون له بمثابة المرشد والمعلم .. رئيس ديوان واسع الخبرة متعدد الكفاءات . تقلب بين

مناصب الحكومة المختلفة من ادارية وقضائية ومالية وسياسية. ولست أعرف رجلا تتوافر فيه جميع هذه الصفات خيرا من نجيب الهلالى بك .. فما رأيك ؟

قلت : أنا لا اعرف الهلالى بك شخصيا ولكننى سمعت عنه كل خير ..

قال : اذن هل تكلم مكرم باشا فى هذا الموضوع ؟

قلت : وهو كذلك .

وكان المعروف يومئذ ان الاستاذ مكرم باشا سكرتير الوفد والذراع اليمنى لرئيس الوفد ورئيس الحكومة .. هو كل شىء فى الوفد وفى الحكومة وانه صاحب الكلمة العليا فى الوفد وفى الحكومة !

***

وعدت الى الفندق .. ومرة أخرى طلبت بالتليفون مكرم باشا بفندق « ده برج » فى جنيف .. ولكنه لم يكد يسمع صوتى حتى قال :

ــ عملت طيب يا استاذ تابعى اللى كلمتنى بالتليفون ..! انا كنت رايح أطلبك حالا دلوقت بالتليفون ..

قلت : خيرا يا باشا ..؟

قال : حكاية التاج دى اصرف نظر عنها ..! رفعة الرئيس « يقصد النحاس باشا » ! زعل منها جدا وهاج .. واخواننا كلهم هنا مش موافقين عليها : حتى على باشا الشمسى حضر لزيارتنا اليوم ولما سمع بها قال : « ده كلام فارغ ..! » وانا اضطررت أن ادافع عنك عند النحاس باشا ، فقلت له ان الاستاذ التابعى أحرجوه ووسطوه .. فمن فضلك شوف لك طريقة تقفل بها حكاية التاج دى ..

وأسقط فى يدى .. ماذا افعل ؟

وقلت لمكرم باشا وبصوت كان فيه شىء كثير من الغيظ والحرج ــ طريقة ايه ياباشا .. يعنى عايزنى أروح كنرى هاوس أقول

لهم ايه ..! اقول لهم أنا كذبت عليكم عندما قلت لكم ان مكرم باشا موافق ..!

وضحك مكرم باشا ضحكته القصيرة اياها .. وقال :

ـ لا .. لا .. لا سمح الله . ولكن قل لهم ان مكرم مش كل حاجة ..! وان موافقة مكرم ليست كل شيء فهناك رئيس الوفد والحكومة .. وهناك زملاؤنا الوزراء واخواننا أعضاء الوفد .. وحكاية التاج دى ليست من المسائل السهلة التي يجوز لى أن أقطع فيها برأى .. وأنا قلت لك ان أخواننا هنا كلهم ضدها .. ومصطفى باشا زعلان جدا منها ..

وقلت أنا :

ـ ومن الذى يصدقنى هنا اذا قلت ان مكرم باشا ليس كل شيء وان موافقته ليست كل شيء ..؟ ولا أحد من رجال الملك سوف يصدق هذا الكلام ! وانت تعرف يا باشا انهم جميعا يعتقدون انك تستطيع دائما ان تقنع النحاس باشا بكل رأى تراه ، فاذا ذهبت اليوم وقلت لهم ان النحاس باشا لا يوافق فانهم سوف يفهمون من هذا اما انك عدت وعدلت عن موافقتك لسبب مجهول .. أو انك لم تحاول اقناع رفعة الرئيس برأيك لأنك لا تهتم بتلبية رغبة جلالة الملك مع اننى قلت لمعاليك ان فكرة التاج فكرته وانه مهتم جدا بها ..

وقال مكرم :

ـ معرفش ! أنا قلت الموقف ايه هنا .. وانت تتصرف ..

وقلت أنا :

ـ لن أقول شيئا .. ولن أفعل شيئا .. ولقد ابلغتهم بالامس خبر موافقتك فاذا شئت معاليك أن تتصل بهم فى كنرى هاوس مباشرة وتبلغهم ما قلته لى الان .. فافعل ..! اما أنا فلن اقول شيئا !

وانتهى حديثنا بالتليفون .

وكان موضوع الاستاذ نجيب الهلالى وترشيحه لمنصب رئيس الديوان قد طار من رأسى تماما !

وعدت الى باريس ..

وبعد أيام عاد فاروق ومن معه الى باريس لكي يراس حفلة افتتاح القسم المصرى فى معرض باريس الدولى وبحضور رئيس جمهورية فرنسا مسيو لوبران .

وتنفست الملكة نازلى الصعداء بعد ان عادت الى باريس التى تحبها ..واستأنفت حياة المرح والسهر فى ملاهى باريس .. مع حسنين باشا اذا أمكن ! ومع غير حسنين باشا اذا لزم الأمر ..!

وهنا بدت على « جلالتها » أعراض مرض التصابى ..! فقد انطلقت تزور « صالونات » التجميل وصبغ الشعر تجرب فى كل يومين تقريبا صبغة جديدة ولونا جديدا لشعرها الذى كانت قد بدأت تظهر فيه شعرات بيضاء !!

ولاحظنا نحن أن حسنين بدأ يقتصد ـ الى حد ما ـ فى « اخلاصه وتفانيه » فى خدمة الملكة نازلى والسير فى ركابها حيث تريد فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ..

وهكذا أصبحنا نراه بيننا ـ ومعنا ـ أكثر من أى وقت مضى فى هذه الرحلة .

لماذا ؟ هل كان يخشى افتضاح علاقته بالملكة الوالدة .. وان يسمع ابنها الملك أو يلاحظ شيئا مريبا على أمه ورائده الامين ؟

أم ترى حسنين قد رأى ان الوقت قد حان لكي ينتقل من الفصل الاول ، الى الفصل الثانى .. اى من اظهار الحب والتفانى .. الى اظهار « التقل » والتحفظ والبرود ..؟ وهى السياسة التى كان حسنين ـ رحمه الله ـ يجيد تطبيقها كل الاجادة مع هذا الصنف من النساء ؟ النساء اللاتى جاوزن مرحلة الشباب وأخذن فى استقبال شمس المغيب !

وهذا الفصل الثانى ـ فصل التقل والتحفظ والبرود ـ يزيد الوجد والشوق ويشعل فى صدر المراة نارا فوق نار ..! نارا تأكل ما بقى للمرأة من عزةوكبرياء. حتى اذا عاد اليها الرجل.. اسلمته قيادها فى خضوع واستسلام ؟

هذا هو الرأى الارجح ؟

***

وعرفنا ونحن فى باريس ان عصبة الامم قد قبلت مصر عضوا فى هيئتها .. وان وفد مصر برئاسة «النحاس باشا» قد عاد الى القاهرة .

وذات صباح قال لى دكتور حسنى بك ان جلالة الملك متألم من استمرار الصحف الوفدية فى الكتابة عن الحفلة الدينية فى القلعة مع أن هذه الكتابة اصبحت غير ذات موضوع بعد تنازل جلالته عن اقامة هذه الحفلة .. وأضاف حسنى بك ان مكرم باشا لم يف بوعده لى بالتليفون وهو وقف هذه الحملات الصحفية .. وخصوصا فى جريدة « المصرى » كبرى صحف الوفد وقتئذ .

ثم قال بلهجة ذات معنى :

ــ وانا شخصيا أعرف انك لا شأن لك بما يكتب الآن وينشر فى جريدة المصرى لانك معنا هنا وغائب عن مصر..ولكن من الصعب ان يقتنع جلالة الملك بانك وانت احد اصحاب الجريدة لا تستطيع وقف هذه الحملات فى جريدتك ..

وأرسلت يومئذ برقية الى محمود ابو الفتح أطلب فيها الكف تماما عن الكتابة فى امر هذه الحفلة الدينية وأقول اننى فى حرج شديد وان « المصرى » لم تراع الوضع الذى أنا فيه بوصفى الصحفى الوحيد المرافق للملك فاروق فى رحلته .

ومع ذلك .. استمرت الحملة فى « المصرى » وغيرها من صحف الوفد ..

وتلقيت خطابا من أبو الفتح يعتذر فيه عن استمرار هذه الحملة ويقول ان لا شأن له بها وانه عاجز عن وقفها وان القائم بهذه الحملة فى « المصرى » والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية هو شريكنا الثالث الاستاذ كريم ثابت .. وان كريم يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة من الاستاذ يوسف الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية .. وانه ــ أى محمود ابو الفتح ــ لايمكنه

ان يرفض نشر مقالات موعز بنشرها من وفدى كبير مثـل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل وزارة ومفروض فيه انه ينفذ تعليمات سياسة الوزارة العليا !

وسكت . ولم أطلع أحـدا على هذا الخطاب .. واستمرت الحملة ! واليوم أعجب ــ وتعجبون معى ــ لسخرية القدر !

كريم ثابت الذى أغضبت مقـــالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ .. يختاره فاروق صديقا له فى عام ١٩٤٣ .. ثم يعينـــه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦ .

***

وحل يوم السفر ــ ٢٧ يونية ــ من باريس الى « فيشى » مدينة المياه المعدنية المشهورة . وقيل يومئذ اننا نذهب الى فيشى لان جلالة الملكة نازلى تريد ان تعالج كليتها المريضة ..

وركبنا قطارا خاصا .. وذهبت الى عربة « البولمان » الخالية وجلست الى احدى الموائد .. ثم حضر حسنين باشا وجلس فى المقعد المقابل . وبعد قليل انضم الينا محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض يومئذ فى فرنسا وسويسرا .

ودار بيننا الحديث عن مصر وسير الامـور فيها وقال حسنين باشا ان الحملة على الحفلة الدينية فى القلعـة لا تزال مستمرة وانها قد امتدت وتناولت تأدية « مولانا » لصلاة الجمعة فى مسجد الأزهر الشريف .. الى آخره .

وبينمـا نحن كذلك دخل فاروق عـــربة « البولمان » ووراءه « اليوزباشى » احمد الطاهر .

واقبل فاروق علينا ووقف أمام مائدتنا فوقفنا احتراما . وكان بيده رزمة من صحف مصر كانت قد وصلت فى صباح نفس اليوم . ورمى بها امامى على المائدة وهو يقول :

ــ الاستاذ التابعى قرا الكلام المكتوب فى جريدة المصرى ؟

وكان من علامات « الرضا السامى » أن يناديني فاروق باسمى مجردا من لقب أستاذ .

ومن علامات « الغضب الملكى » ان ينادينى يا أستاذ تابعى !

وسكت .. ولكنى القيت نظرة على المصرى وقرأت على صفحتها الاولى — وبالبنط الكبير — عبارة فحواها أن مصدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية .

واتجه فاروق الى المائدة المحاذية لمائدتنا فى الجانب الآخر من العربة وجلس اليها وهو يقول :

— الحالة فى مصر بأت صلطة ..

وقال فخرى باشا :

— صلطة خالص يا فندم .

وقال فاروق :

— أيوه .. صلطة وعليها سكر ..

وهنا قال حسنين :

— ان شاء الله يا « مولانا » تصبح الحالة كلها سكر ..

والتفت الى فاروق من مقعده .. وسألنى بسخرية :

— هيه .. والاستاذ التابعى جاى معنا برضه فيشى ؟

واحسست ان الدم صعد الى راسى .. فقد كان المعنى واضحا سافرا وهو ان الملك غاضب على ولا يريد ان اسافر معهم الى فيشى ..

ومع ذلك فاننى لم أكلفه ولم أكلف حكومته او خاصته الملكية مليما واحدا من نفقاتى طول الرحلة لاننى كنت أدفع جميع نفقاتى فى الفنادق وغيرها .. بل وثمن تذكرتى فى القطار الخاص كنت أدفعه الى مندوب شركة «كوك» التى كانت تتولى شئون الرحلة وتنقلاتنا فى اوروبا .. وجميع أفراد الحاشية كانوا يعرفون هذا .. وكدت أسأل « جلالته » هل هو يظن اننى أسافر معهم على حسابه او على حساب الحكومة ؟

ولكننى سكت تأدبا واحتراما .

والواقع أن جميع نفقاتى فى تلك الرحلة التى دامت نحو خمسة اشهر كانت من جيبى الخاص .. حتى جريدة « المصرى » التى سافرت من اجلها لم تدفع لى قرشا واحدا .. لان ماليتها لم تكن

تسمح يومئذ وفى أول عام من حياتها بدفع نفقاتى فى رحلة كهذه .. سكت اذن ولكن الجالسين لاحظوا ولا شك امتقاع لون وجهى واحمرار اذنى ..

ووقف حسنين باشا .. واستأذن من مولانا وانسحب من عربة البولمان ولعله ذهب الى صالون جلالة الملكة والاميرات ..

ومن بعده .. انسحب فخرى باشا بعد ان انحنى ومشى خطوات بظهره الى الوراء ..

وبقيت وحدى فى مقعدى ، وفاروق جالس الى مائدته .. ومن خلفه احمد الطاهر جالس الى مائدة أخرى ..

وساد الصمت بضع دقائق .. وكان فاروق يتسلى بعد حفنة من اوراق « البنكنوت » الفرنسية .. كان يعدها ويضعها فى جيب سترته .. ثم يخرجها ويعدها مرة أخرى وهكذا ..

واخيرا وقف .. ووقفنا .

والتفت الى .. وقال :

ـ اظن نروح باه عربة الاكل علشان الغداء .

ولما لم ارد قال :

ـ مش جاى تتغدى ..؟

قلت : انشاء الله يا افندم ..

وغادر العربة ، ووراءه يوزباشى احمد الطاهر ..

وادركت انا أن فاروق قد احس بأنه جرحنى وانه اراد بدعوتى لتناول الغداء ان يطيب خاطرى » .

ولكنى كنت نويت امرا وهـــو أن أؤدى واجبى الصحفى فى « فيشى » فارسل برقيتى الى « المصرى » بوصف استقبـال الملك والملكة ثم اغادر فيشى على الفور .

وتناولت طعام الغداء بمفردى فى عربة البولمان .

***

وصلنا « فيشى » فى الساعة الرابعة بعد الظهر .. وارسـلت برقيتى الى «المصرى » بوصف الاستقبال .

ثم ذهبت الى مكتب « كوك » واشتريت تذاكر السفر اللازمة الى « فيينا » فى النمسا .. وأبدلت مبلغا من المال بالعملة النمسوية ..الى آخره ..

وعرف حسنين باشا ورجال الحاشية بالخبر فاقبلوا يطيبون خاطرى ويؤكدون لى أن « مولانا » لم يقصد اهانتى .. الخ ..

ولكننى صممت على السفر ..

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ركبت القطار الى زيوريخ ومنها الى فيينا .

وغادرت مدينة « فيشى » بقطار الصباح وصحبنى الى المحطة الاستاذان على رشيد واحمد يوسف .. وعاود الاثنان الكرة لكى يحملانى على العدول عن السفر . واخيرا قلت لهما اننى فى الحقيقة أريد ان اتحرى فى « فيينا » حكاية توفيق نسيم باشا والفتاة النمسوية مارى هوبنر لكى اوافى جريدة « المصرى » بالتفاصيل .

وكانت الاخبار قد جاءتنا ان توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء الاسبق – رحمه الله – قد احب فتاة نمسوية من عامة الشعب وهى ابنة صاحب فندق صغير وانه ينوى الاقتران بها .

وتمنى لى الصديقان سفرا سعيدا موفقا .

***

ووصلت « فيينا » بعد ظهر اليوم التالى . وكانت « فيينا » يومئذ عاصمة بلا دولة . أو كانت هناك دويلة صغيرة ، فقد كانت النمسا خرجت من الحرب العالمية الاولى فقيرة مفلسة . فقدت امبراطوريتها الواسعة وفقدت معها كل شيء .. وبعد ان كانت « فيينا » عاصمة لامبراطورية تضم نحو سبعين مليونا من السكان ..امست عاصمة لدولة مقصوصة الاطراف يسكنها نحو ستة ملايين ...

وكان يسكن « فيينا » ثلاثة من هذه الملايين الستة . وكان الزائر الاجنبى يشهد مظاهر الفقر والبؤس والجوع فى كل ركن من اركان المدينة الجميلة الانيقة المشرقة .. مدينة الموسيقى والهوى والجمال

وبالمال .. قليل من المال كان الزائر يستطيـع ان يشترى كل شيء واى شيء بثمن رخيص .. او ثمن معقول مقبول ..

حتى الجمال والشباب كانت « أسعارهما » فى العاصمة الجميلة الفقيرة رخيصة اذا قيست بأسعار لندن وباريس !

وكنا لا نزال فى شهر يولية ١٩٣٧ اى قبل أن يزحف هتلر على النمسا ويعلن ضمها الى الرايخ الثالث أو المانياالكبرى ، وهوالامر الذى وقع بعد ذلك بثمانية شهور ، أى فى شهر مارس ١٩٣٨ .

***

ولم تطل اقامتى فى « فيينا » أكثر من بضعة ايام..كذلك لم احاول أن اتحرى أو أستقصى شيئا عن حكاية توفيق نسيم باشـا والفتاة مارى هوبنر .. ولكنى تذكرت حديث الدكتور عبـاس الكفراوى وترشيحه للاستاذ نجيب الهلالى ليـكون رئيسا لديوان الملك فكتبت خطابا لمكرم عبيد باشا رويت فيه تفاصيل الحديث وارسلت الخطاب الى عنوانه فى رمل الاسكندرية لاننى كنت اعرف انه والنحاس باشا وزملاءهما قد عادوا الى مصر .. ولا بد انهم يقضون الصيف فى بولكلى برمل الاسكندرية .

وغادرت « فيينا » وذهبت الى الريف بالقرب من مدينة « لنز» مسقط راس هتلر وأقمت فى فندق بسيط بقـرية صغيرة نحـو اسبوع .. ثم ركبت القطار عائدا الى « فيشى » فقد كان على ان أؤدى واجبى الصحفى حتى النهاية وان اصحب الملك فاروق فى عودته من رحلته الى مصر .

ووصلت « فيشى » ونزلت فى فندق « ماجستيك » الذى كان يقيم فيه فاروق وامه وحاشيته .

وفى المساء نزلت الى بهو الفندق وجلست فى مقعد .. وكان يجلس فى مواجهتى السيد عبد الحميد الشواربى والسيدةالكريمة زوجته .. وكان يوجد يومئذ فى « فيشى » عدد كبير من المصريين الذين يزورون مدينة المياه المعدنية للأستشفاء .

ـ واقبل فاروق من باب فى صدر البهو ووراءه يوزباشي احمد كامل ..

ورآنى « صاحب الجلالة » فابتسم ولوح بيده .. واقبل نحوى ووقفت ..

تقدم مني ووضع يده على كتفي وقال : حمد الله ع السلامة ..

قلت : الله يسلمك يا افندم ..

قال : لسه زعلان ؟

قلت : أستغفر الله يا افندم .. !

قال : وايه حكاية توفيق باشا نسيم .. صحيحة الحكاية ؟

قلت : أيوه .. صحيحة ..

ولم ازد لانني ـ كما قلت ـ لم احاول ان اتحرى عن التفاصيل .

قال : وهو ينظر من طرف عينه الى فتاة شقراء جميلة كانت ترتدى ثوب السهرة ، وكانت جالسة فى مقعد قريب مني ولعله ظن انها جالسة معى .. قال :

ـ طيب .. بعد العشا نبقى نشوفك .. يوجد هنا محل لطيف اسمه « لوازيه » (أى الواحة) فيه مزيكة ورقص .. قريب من اللوكاندة .. نشوفك فيه بعد العشا ..

قلت : ان شاء الله يا افندم .

ولكنى لم أذهب ..

***

وكان « القائمقام » عمر فتحى بك الذى كنا تركناه مريضا فى أحد مستشفيات لندن قد شفى ولحق بالركب الملكى فى فيشى ، ومعه السيدة زوجته التي كانت طارت الى لندن عندما سمعت بخبر مرضه واقامت بجانبه .

واجتمعت بعمر فتحى وبأصدقائى من افراد الحاشية وجلسنا نتحدث عن مصر واخبار مصر . وعرفت منهم أن مراد محسن باشا حضر الى فيشى ـ أثناء غيابى فى النمسا ـ وقابل فاروق .. ثم عاد الى مصر ..

لماذا حضر ..؟
ما هى التفاصيل ..

***

قلت : ان فاروق رمى برزمة من صحف مصر على المائدة امامى ونحن فى القطار فى طريقنا الى فيشى وسألنى ما اذا كنت قرأت « الكلام المكتوب فى جريدة المصرى » ..؟

.. واننى ألقيت نظرة على « المصرى » فقرأت على صفحتها الاولى ـ وبالبنط الكبير ـ عبارة فحواها أن مصدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية ..

وقد عد فاروق هذا الالحاح فى النشر تحرشا به وتحديا لسلطاته .. فانه ـ أولا ـ لم يطلب بصفة رسمية اقامة حفلة دينية. ثم هو ثانيا قد تنازل عن فكرة اقامة هذه الحفلة وابلغ رئيس الحكومة خبر هذا التنازل . وابلغه فى نفس الوقت برنامج الحفلات التى تقام بمناسبة توليه سلطاته الدستورية وليس فى هذا البرنامج ذكر لاقامة حفلة دينية .. فعلى من اذن كان المصدر الكبير الرسمى الذى اشارت اليه جريدة « المصرى » لسان حال الوفد والحكومة على من كان يرد بتصريحه المذكور ..؟

وما هى الجهة الرسمية التى كانت تقدمت بطلب رسمى لاقامة حفلة دينية حتى تتخذ الوزارة قرارها هذا وتنشره فى صدر صحيفتها بالبنط الكبير ..

أم ترى كانت الوزارة النحاسية الوفدية تريد أن تعلن عن قوتها وشدة بأسها بهذا القرار فتوهم الناس ان هناك اصرارا من احدى الجهات على اقامة الحفلة الدينية ، ولكن لما كانت الوزارة هى وحدها التى تقرر ما تريد وترفض ما تريد بدون مراجعة او تعقيب فانها رأت ان تتخذ هذا القرار ..؟

هذا هو الذى فهمه فاروق ورجال حاشيته ..

وقامت الازمة .. وطار خبرها الى مصر .. واضطربت الوزارة .

اضطربت لان النحاس باشا كان لاحظ هو وأصحابه بعد عودتهم من اوروبا ان الامور لا تسير - بالنسبة لهم على ما يرام .. فالازهر هائج مضطرب . واحزاب المعارضة - الاحرار الدستوريون والحزب الوطنى وحزب الاتحاد ، اذ لم يكن هناك يومئذ شىء اسمه الحزب السعدى - احزاب المعارضة وخصوم الوفد يحركون خيوط الفتنة هنا وهناك .

.. وصاحب السمو الامير محمد على توفيق رئيس مجلس الوصاية يصر على اقامة حفلة دينية وحفلة مبايعة يقلد فيها الملك فاروق سيف جده الاكبر محمد على باشا . وتتبع فى هذه الحفلة طقوس وتقاليد جديدة لم تعرف من قبل ..

وقد تبين بعدئذ انه لا يوجد سيف لمحمد على الكبير باقيا حتى اليوم ..؟

واخيرا ذهب النحاس باشا وقابل الامير محمد على توفيق وقال له انه لم يبق موجب لاستمرار الحديث فى هذه الحفلة الدينية لان جلالة الملك لم يطلبها ولا يتمسك بها ، وان جلالته قد ابلغ الوزاره برنامج الاحتفال وليس فى هذا البرنامج شىء عن اقامة حفلة دينية.

ولكن الامير محمد على أصر مع ذلك على طلبه وأعلن انه حتى ولو كان الملك فاروق قد تنازل عن اقامة هذه الحفلة فان هذه المسألة تهم الاسرة المالكة كلها وان سموه بصفته الشخصية وبصفته نائبا عن افراد الاسرة يرى أن يسن هذا التقليد الجديد وأن تقام حفلة دينية وحفلة مبايعة يتقلد فيها فاروق سيف جده الاكبر محمد على .

***

وكان موقف محمد على توفيق - رحمه الله - وعناده واصراره على برنامج معين يخالف البرنامج الذى وافق عليه فاروق وابلغته انا للوزارة .. هذا الموقف من جانب الامير رئيس مجلس الوصاية زاد فى سوء الحالة وتفاقم الازمة ..

وكانت هناك صحف - غير وفدية - على اتصال بالامير ورجال دائرته ..

.. وكانت الصحف المذكورة تؤكد للجمهور فى كل يوم ان هنـاك حفلة دينية سوف تقام شاءت الوزارة او لم تشأ ..!

وتجمعت السحب فى الأفق السياسى . وطال الأخذ والرد بين الصحف الوفدية .. والصحف غير الوفدية ..

وفى هذا الجو ــ جو التوتر والشكوك ــ راحت السلطات تحسب أيام حفلات التولية وتحدد لكل حفلة تاريخها ويومها ، وهنا فقط عرفوا ان ايام الاحتفال الثـلاثة اى ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ يوليه تقع فى ايام الخميس والجمعة والسبت .

وابدى الأمير محمد على توفيق رغبته فى أن يؤدى فاروق صلاة الجمعة فى ثانى يوم من أيام الحفلات فى جامع الأزهر الشريف وان يتلو شيخ الازهر دعاء خاصا .. وابلغ فاروق هذا فوافق عليه .

ولكن النحاس باشا رأى فى هذه الصلاة وفى هذا الدعاء الخاص رجوعا الى الحفلة الدينية عن طريق ملتو ملفوف ..! واعترض النحاس ورفض .. ورفض ان يوافق على ان يؤدى فاروق صلاة الجمعة فى الأزهر الشريف ..!

وقال فاروق ــ وكان فى فيشى :

ــ لم اكن وانا تحت الوصاية استشير احدا فى امر المسجد الذى أؤدى فيه صلاة الجمعة ، فهل يراد منى الآن وبعـــد أن أتولى سلطاتى كملك ان استأذن رئيس حكومتى فى اختيار المسجد الذى أؤدى فيه هذه الصلاة ..؟

ولكن الوزارة كانت ترى من جهتها ان تأدية فاروق صلاة الجمعة فى الازهر الشريف واستقبال شيخ الازهر وعلماء وشيوخ الازهر الشريف لفاروق ووقوفهم بعد انتهاء الصلاة ــ كما قيل يومئذ ــ لكى يتلوا دعاء خاصا .. كانت الوزارة ترى فى هذا كله عودة الى الحفلة الدينية بشكل آخر وان فيه أيضا تشجيعا لحركة الصاخبين الثائرين على الحكومة وضربة تذل الوزارة وتنال منها وتضعفها أمام المعارضة .

***

تفاقمت الازمة ، ودارت المخابرات بالتلغراف والتليفون والبريد

بين الملك وحاشيته فى باريس وفيشى وبين مجلس الوصايه والوزارة فى مصر ..

وتمسكت كل جهة برأيها ورفضت كل راى سواه ..

واخيرا عرض مراد محسن باشا على مصطفى النحاس باشا ان يسافر الى فيشى لكى يعرض بنفسه على فاروق وجهة نظر الوزارة .. واكد للنحاس « باشا » انه مقتنع بوجهة نظر الحكومة وانه سوف يؤيدها عند فاروق .

ووافق النحاس « باشا » وسافر مراد محسن باشا فعلا الى فيشى وقابل فاروق ..

وكان « المرحوم » مراد محسن باشا جارا لمصطفى النحاس فى مصر الجديدة .. وكانت هناك علاقة مودة بين الجارين ..

هذا أولا .. وثانيا كان مراد محسن باشا ينافس حسنين باشا على السلطة وعلى مركز (الرجل الأول) فى القصر .. ولقد راى فى هذه المهمة فرصة طيبة لأن يكسب صداقة الوفد والحكومة واعترافهما بجميله .. ويكسب فى نفس الوقت ثقة فاروق . وان يظهر حسنين أمام الحكومة الوفدية بمظهر الرجل الذى يعجز عن أداء خدمة لها أو تسوية أزمة تقوم بينها وبين الملك .. ويظهره أمام فاروق بمظهر الرجل الذى لا « يسد » ولا ينفع فى الملمات ..

***

واستقبل فاروق مراد محسن باشا .. ورفض فى أول الأمر ان تكون مسألة صلاته فى الأزهر الشريف أو فى أى مسجد آخر يختاره موضع حديث أو أخذ ورد لأنه يعد صلاته والمسجد الذى يؤديها فيه مسألة تخصه هو وحده دون ان يكون للوزارة وغير الوزارة أية كلمة فى الموضوع ..

وكان المرحوم مراد محسن باشا لا تعوزه الكياسة واللباقة فقد قال على الفور انه يوافق صاحب الجلالة على هذا الرأى ، وان النحاس باشا نفسه يسلم تماما بوجهة نظر جلالة الملك المعظم .. بل ان حق (مولانا) فى اختيار المسجد الذى يؤدى فيه الصلاة لم يكن موضع

بحث على الاطلاف وان النحاس (باشا) أول من يقول بحق جلالته فى هذا ، وأول من يحترم ويحافظ على حقوق (مولانا)! ، الىآخره .

ولكن النحاس باشا يلتمس من جلالة الملك أن يقــدر الظروف القائمة ودسائس خصومه وحملات صحف المعارضة وأن يتفضل ويظهرعطفه السامى الكريم على رئيس وزرائه فلا يشمت فيــه خصومه . وهذه الشماتة لا محالة واقعة اذا تحقق صدقماقالته صحف المعارضة وهو ان هذه الحفلة الدينية سوف تقام ولو رغم انف الوزارة .

وعاد مراد محسن باشا وأكد لفاروق ان النحاس باشا يلتمس هذه المكرمة من جلالة الملك ..!

وقال فاروق :

ــ النحاس باشا قال كده ..؟ اذن اطلبه بالتــليفون امامى وقل له هذا الرأى الذى قلته لى الآن .

وفعلا اتصل مراد محسن باشا بالتليفون من فندق الماجستيك فى فيشى بالنحاس باشا فى مصر ..

وكان فاروق حاضرا ..

وأعاد مراد محسن بالتليفون على مصطفى النحاس حرفا بحرف كل حديثه الى فاروق ..

وأمن النحــــاس « باشا » على اقوال مراد محسن باشا ودعا لصاحب الجلالة بالعز والتأييد ..

وقال فاروق لمراد محسن :

ــ وهــو كذلك .. ولكن قل للنحــــاس « باشا » اننى قبلت علشان خاطره هو بس ..!

وخرج مــراد محسن فرحا مسرورا وعاد الى مصر .. عاد الى مصر ليبشر النحاس (باشا) ووزراءه بأنهنجح فىمهمته عند فاروق .

.. ثم يروى فى داره وبين أقاربه وأصهاره ــ وجميعهم من أصدقاء السيدة لطفية زوجة حسنين باشا ــ يروى لهم ما رآه وما سمعه فى فيشى ..

وكان بين ما رآه وسمعه شيء كثير وكلام أكثر عن الملكة نازلى واحمد حسنين وكيف توثقت العلاقة بينهما وكيف .. وكيف .. الى آخر ما هناك .. وكان طبيعيا أن تسمع زوجة حسنين بهذه الحكايات والتفاصيل ..

واشتعلت نيران الغيرة فى صدر الزوجة « المهجورة » المتروكة فى مصر .. خصوصا وكانت ـ رحمها الله ـ قد سمعت ان زوجة القائمقام عمر فتحى قد لحقت بزوجها فى لندن ..

وان زوجة يوزباشى أحمد كامل قد لحقت بزوجها فى فرنسا ..

وان زوجة عبد المنعم رأفت ، والذى كان يتولى حسابات الرحلة قد لحقت بزوجها فى فيشى ..

وهكذا .. كل من أراد من أفراد الحاشية ان يستدعى زوجته .. قد استدعاها دون أن يعترض احد ..

ما عدا « هى » .. ومع ذلك فانها أكبر مقاما من زوجات رجال الحاشية .. وزوجها ـ احمد حسنين ـ أكبر مقاما ونفوذا من جميع أفراد الحاشية ..

اذن لابد ان يكون الاعتراض على سفرها اما من زوجها نفسه ، أو من الملكة نازلى ، وعلى كل حال فان نازلى صبرى هى السبب ..

وانطلقت السيدة لطفية يسرى كريمة الأميرة شويكار تسب وتشتم وتطلق لسانها فى كل مجلس وكل منتدى ، ضد صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر ، وضد ابنها فاروق ! وتروى عن نازلى أو «العجوز المتصابية» ـ كما أسمتها ـ تروى عنها القصص والحكايات

وهكذا تطور الموقف وتحول الى « الوضع الصعب أو الوضع المستحيل » كما وصفه حسنين باشا بعد ذلك بنحو شهرين .

***

وبعد عودتى من النمسا الى فيشى بيومين أثنين تحدد موعد سفرنا فى اليوم التالى الى مارسيليا .. ومنها بالباخرة (النيل) عائدين الى مصر ..

وأراد فاروق ، الذى كان يتضايق من حراسة البوليس الفرنسى

له وتتبعه لكل خطواته وتنقلاته ، أراد أن ينتقم من رجال البوليس هؤلاء وأن يسخر منهم ويشهر بهم ، فذهب الى مطبخ فندق الماجستيك واستعار من الطهاة عددا من الاواني النحاسية مثل (الكسارولات) وما أشبه ، وربطها جميعا بطرف حبل ثم طلب من خادميه الايطاليين بترو وجارو أن يتسللا الى السيارة الصغيرة التى كان يركبها البوليس الفرنسي ويتبع فيها فاروق ، وان يربطا الطرف الثاني للحبل فى مؤخرة السيارة من غير أن يشعر بهم البوليس ..

وكانت سيارة البوليس واقفة على مقربة من الفندق ، بينما كان رجال البوليس واقفين بباب الفندق . .حتى اذا خرج فاروق اسرعوا الى سيارتهم الصغيرة وتبعوه ..!

ونجح بترو وجارو فى مهمتهما .. وعادا الى الفندق وأبلغا فاروق ..

وأسرع فاروق بالخروج .. وقفز فى سيارته وأطلق لها العنان ، وهرول رجال البوليس الى سيارتهم ووثبوا الى مقاعدها .. وأطلقوا لها العنان وراء سيارة فاروق ..

ومضى فاروق بسيارته يلف ويدور حول الميدان الكبير القائمة حوله متاجر فيشي وحاناتها ودور السينما .. والمزدحم دائما بالسائرين ..

ومضى يدور ويلف .. ووراءه سيارة البوليس تجر وراءها الأواني النحاسية على بلاط الميدان ..

وللقارىء أن يتصور الاصوات التى كانت تحدثها هذه الاواني النحاسية عند ارتطامها بالاسفلت والبلاط ..!

ووقف المارة فى الطرق وفى الميادين..يضحكون، ويصفرون، ويسخرون من رجال البوليس ..

وعاد فاروق الى الفندق .. ووراءه سيارة رجال البوليس ونزل رئيس قوة بوليس الحراسة من السيارة .. وفك الحبل الذى كان يربط الاوانى النحاسية الى مؤخرة السيارة ورمى بالاوانى أمام باب الفندق ..

وأخرج الرجل منديلا كبيرا من جيبه مسح به العرق الذى كان يتصبب من وجهه وقال ــ دون أن يوجه كلامه الى أحد معين ــ قال بالفرنسية ما معناه :

ــ دا لعب عيال .. والذى فعل فينا هذه الفعلة يستحق أن يضرب (علقة) على ...؟

وذكر الرجل اسم جزء الجسم الذى يؤدب فيه الصغار ..!

***

وفى اليوم التالى غادرنا فيشى الى مارسيليا ..

وكانت الباخرة « النيل » مزينة بالاعلام المصرية ..وقد وقف عند أول درجات السلم المرحوم مدحت يكن باشا ودكتور فؤاد سلطان ، وكان بنك مصر وشركاته قد أوفدهما لكى يكونا فى خدمة فاروق على ظهر الباخرة ..

وسمعنا ــ وفرحنا ــ ان المغفور له طلعت حرب باشا أرسل كذلك عددا من الطهاة المشهورين بطهى الالوان الشرقية ، ومعهم (العاصى) المشهور بعمل الطعمية والفول المدمس اكراما لفاروق ..!

وتحركت « النيل » فى المساء وأذكر من حديث للمرحوم حسنين باشا أثناء الأيام الأربعة التى أمضيناها على ظهر الباخرة النيل .

واذكر حديثا قال فيه ما خلاصته ومعناه :

ــ لقد كنا فى أوروبا محيطين بالملك .. وكان هو يعمل برأينا ويصغى لمشورتنا .. ولكننا نعود الآن الى مصر .. وأولاد الحرام هناك كثيرون .. ولن نستطيع أن (نحلق) على (مولانا) كما كنا نفعل فى اوروبا .. ولن يمكننا ان نمنعه من الاتصال بهذا وذاك .. كذلك لن نستطيع أن نمنع أولاد الحرام هؤلاء من مقابلته .. وأرجو منك ، وقد أصبحت واحدا منا « كذا » ان تساعدنى عند اصحابك الوفديين وان تقنعهم بأن فاروق غير فؤاد ، وأن سياسة الشدة والعنف مع فاروق لا تنفع ، لانه عنيد وذو كبرياء ، وقد لمست انت هذا بنفسك ..!

وفى حديث آخر قال رحمه الله :

ـ قل لاصحابك الوفديين ! (وكانت هذه عبارته دائما كلما تحدث عن الوفديين !) إنه ليس فى مصلحتهم ولا فى مصلحة البلد أن يسير (مولانا) فى نفس الطريق الذى سار فيه أبوه الملك فؤاد . وكن واثقا انه اذا اضطر (مولانا) ان يقيل الوزارة مرة والاحدة .. أو يحل البرلمان مرة واحدة فانه سوف (يستحلى) ـ وهذا تعبيره باللفظ ! ـ سوف (يستحلى) الحكاية ويمشى فيها .. على طول ..! ونصيحتى أن يمشوا معه بالذوق واللين .. وليذكروا دائما أن أولاد الحرام كثير والطامعين فى السلطة والوزارة كثير ..

***

ووصلنا الاسكندرية عند فجر يوم الاحد ٢٥ يولية ١٩٣٧ .

وكانت مئات الزوارق تملأ ميناء الاسكندرية .. وفيها فرق موسيقى وطبل وزمر وهتافات .. ودعوات تتصاعد بحياة فاروق .. والملك المحبوب ..

كان الشعب يومئذ يعلق آماله على الملك الغلام ولكن ان هى الا سنوات تقل عن عدد أصابع اليدين حتى استحال الحب الى نقمة .. والدعوات الطيبات الى لعنات يصبها الشعب على رأس الفاجر الطاغية فاروق ..!

عاد فاروق الى مصر بعد رحلته التى استغرقت نحو خمسة شهور والتى تنقل فيها بين سويسرا وفرنسا وانجلترا . واستقبله الشعب بزينات الفرح والموسيقى والهتاف والدعاء (للملك المحبوب) ..!

وعاد حسنين باشا ليجد النار مشبوبة فى بيت الزوجية .. والالغام مهيأة للانفجار .. وزوجته فى ثورة عاصفة مجنونة ضد الملكة نازلى .. وضد كل من يمت اليها بصلة أو بسبب ، حتى الملك نفسه .. فاروق ..!

ثم سمع حسنين من بعض أصدقائه ومن بعض رجال القصر الذين كانوا أقاموا فى مصر ولم يصحبوا فاروق فى رحلته الى أوروبا .. سمع من هؤلاء وهؤلاء أن زوجته السيدة لطفية قالت كذا وكذا عن جلالة الملكة .. وقالت كيت وكيت عن جلالة الملك .. وكيف انها

ـ زوجة حسنين باشا ـ تحدثت فى مجلس خاص فى دار فلان باشا .. وقصر فلانة هانم .. واتهمت جلالة الملكة نازلى بانها (ماشية) مع حسنين وان الملكة عملت كذا وكذا فى باريس .. وكيت وكيت فى جنيف ولندن وفيشي .. وان الملك فاروق مغفل .. مثل أبيه الملك احمد فؤاد ..!

سمع حسنين بهذا .. ثم سمع بما هو أدهى واخطر ..! واليك التفاصيل :

***

كانت زوجته السيدة لطفية ـ يرحمها الله ـ تزور ذات يوم سيدة من الأسر اليكنية . وكانت ـ كعادتها فى تلك الايام ـ تنتهز كل فرصة لكى تطعن فى الملكة نازلى وفى سلوكها وتروى عنها القصص والحكايات.. ومنها قصة زواجها بالملك احمد فؤاد .. وكيف هربت نازلى وكيف (ضبطوها) .. الى آخره .. والاشاعات التى أحاطت بالزواج المذكور .. ثم الاشاعات التى انتشرت بعد مولد فاروق .. الى آخره ..

وهنا اشترك فىالحديث محام شاب وقال ان اديبا اسمه بيرم التونسى كان سجل هذه الاشاعات فى ازجال رددتها شوارع الاسكندرية والقاهرة وتغنت بها ابان ثورة عام ١٩١٩ ، وان الاديب المذكور قد نفى خارج البلاد بسبب هذه الأزجال ..

وكادت لطفية تقفز فرحا ، وطلبت من المحامى الشاب ـ والحت فى الرجاء ـ أن يحصل لها على نصوص الأزجال المذكورة ..

واستطاع المحامى بعد جهد أن يحصل على ازجال الأديب الشاعر بيرم التونسى .

وطبعت لطفية هانم بضعة آلاف نسخة من الازجال المذكورة فى شكل نشرة صغيرة وعملت على توزيعها يوم عودة فاروق وأمه نازلى من رحلتهما الى اوروبا ..

ولكن هذه النشرة أو هذه الازجال لم تحدث أثرا أو ضجة .. لأن الذين وقعت فى ايديهم اما انهم لم يفهوا الكنايات ، والتلميحات

التي جاءت فيها ، واما انهم فهموا ولكنهم مزقوها سخطا واشمئزازا لأن فاروق — كما قلت — كان يومئذ (ملكا محبوبا) ! ولأن امه الملكة نازلي لم تكن قد خرجت بعد على المكشوف ، أو المألوف . وكانت حكاياتها أو قصصها لا تزال محصورة في نطاق ضيق محدود ، ولم تخرج بعد الى الشوارع لتصبح مضغة في الافواه وحديث الناس .

سمع حسنين بهذا كله ، وقبل ان امضي في سياق الحديث أرى — من باب التسجيل — أن أقف عند ازجال الأستاذ الأديب بيرم التونسي لكي أعطي القراء فكرة عن انفعالات الشعب في ثورة ١٩١٩ والنظرة التي كان ينظر بها الى العرش وصاحبه السلطان أحمد فؤاد .. وابنه وولي عهده فاروق ..

وكانت نظرة الشعب .. نظرة زراية وسخط واستخفاف .. ثم كانت سلسلة « المسكنات والمرطبات والمهدئات » .. من دستور وبرلمان وتمثيل سياسي ، ومقاعد وزارية ومقاعد نيابية ووظائف سياسية ودبلوماسية .. ازدحم رجالات مصر حولها وتكالبوا عليها ..!

وهدأت ثورة الغضب .. واستكان الشعب واستطاع أحمد فؤاد أن يملك ويحكم سبعة عشر عاما .. وأن يصبح ابنه — الذي هزأ الشاعر وتغنى ساخرا بمولده يوم ولد — يصبح ملكا محبوبا يدعو له الشعب بالعز والتأييد ..

***

واتصلت بالأستاذ الأديب بيرم التونسي وسألته أن يبعث الى بهذه الأزجال مع كلمة منه عن الظروف التي كتبت فيها ..

وقال الاستاذ بيرم انه يذكر منها زجلين اثنين الاول عن زواج احمد فؤاد ونازلي ، والآخر عن مولد فاروق وما أحاط بالحادثين من شكوك واشاعات ..

وتفضل وكتب الى يقول :

أخي ...

طلبت الى أن احدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت يا ولدي ثورة

من النوع الذى لا يبقى ولا يذر . ولقد تركها الانجليز تتأجج وتتآكل الى أن يخمد أوارها ثم يعالجوها بالطرق الناعمة ..

أيقن الشعب أن أمانيه الوطنية أصبحت فى يديه وقال الانجليز « نعم . وهاهو سلطانكم المستقل وبرلمانكم وما عليكم الا ارسال السفراء والقناصل الى كافة نواحى العالم » ..

وكانت جريدة المقطم لسان القائد العام الانجليزى بدأت تتحدث عن الأمير احمد فؤاد الذى سوف يسند اليه منصب خطير فى الدولة المصرية ..

وتساءل الناس عن الأمير فؤاد لأن رجال ذلك البيت واميراته لم يكونوا يومئذ موضوعا تخوض فيه الصحف الا بقدر معلوم .

فقال القائلون :

ــ آه .. أحمد فؤاد المقامر الذى لا ترحب به أندية القمار لأنه مفلس ولا يسدد ديون القمار .

ــ .. أحمد فؤاد الذى يركب « الحنطور » ولا يدفع للحوذى اجــرته ..!

ــ .. أحمد فؤاد الذى يفتح منازل أصدقائه ليلا ويطلب الطعام !

***

وذات يوم مر موكب عظمة السلطان أحمد فؤاد من شارع راس التين . وقد جلس فى مركبته التى تجرها ستة من الجياد .. وفى شمائل زينة القرون الوسطى ..

فلما مضى الموكب أخذ الشعب السكندرى يقول :

ــ عامل زى قبانية مينا البصل .. ده أصله شيخ زامة ..!

ــ شنباته زى شنكل الجزار ..

الى آخـره ..

***

وادرك العارفون ان الحركة الوطنية قد تحولت الى « زفة » عريسها السلطان احمد فؤاد وموائدها كراسى البرلمان ووظائف السلك السياسى ..

ثم أذاعت جريدة المقطم عزم السلطان « التقى » على الزواج ودقت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانجليز وبين جماعات الشعب فى كل عاصمة وقرية ..

وأخذ الناس يتحدثون عن العروس « نازلى صبرى » وأسرتها وجدها الأول .. وكيف خطفت وكيف حبست وكيف هربت .. واختلطت أحاديث الناس عن زواج السلطان بأحاديثهم عن بطولة البلاد التى قامت فيها الثورة ..

ما أشجع طنطا .. وما أعظم وطنية دمنهور .. ولله در أسيوط ومدن الصعيد ..

ولم أسمع من يقول (لله در الانفوشى) وهو مسقط راسى فى حى راس التين .. وفيه يعيش منذ خمسة آلاف عام أرذل أنواع البشر كما قال علماء الشعوب .

ولم أكن من هواة تحطيم المصابيح أو اشعال النار فى الترام لانى لا أحب أن أموت « فطيس » برصاصة عسكرى ..

ولكننى أردت ان اشارك الثورة .. وطبقت فرخ الورق « جاير الجاير » على ثمانية أوجه وسميته « المسلة » .. ولما كان بدون رخصة كتبت فى الراس « المسلة .. لا جريدة ولا مجلة » !

ولكن ماذا أكتب فى « المسلة » وأنا لا أعرف شيئا فى الدساتير او فى السياسة ..؟!

سلكت طريقة فتوات الانفوشى عندما يقررون هدم العرس ... يكفى أن تحطم « الكلوب » أو تضع لغما تحت « الموتور » الذى يدير المصنع .. لكى يمسى العرس فى ظلام دامس .. ويتعطل المصنع كله عن العمل ..

و « الموتور » هو السلطان احمد فؤاد .. والمناسبة حاضرة وهى قصة نازلى وما يقال عنها .. وعن ظروف زواجه بها ..

ومن هنا كانت افتتاحية « المسلة » ..!

وهى على وزن اغنية سورية كانت جاءت حديثا الى مصر وانتشرت فيها ومطلعها :

مرمر زمانى .. يا زمانى مرمر .. قلبى تولـع فى هــواك يا الاسمر .. ولها نغمة عذبة مرسلة فلم تحتج الثورة ، الباميـة السلطانى ، الى ملحن او موسيقار .. وها هى الانشودة :

البنت ماشــيه من زمان تتمخطـر
والغفلة زارع فى الديوان قـرع أخضر
يا راكب الفيتـون وقلبك حـامى
اسبـق على القبة وطيـر قدامى
تلقى العروسـة شبه محمـل شامى
وجوزها يشبه فى الشـوارب عنتـر

***

وحط زهـر الفـل فوقهـا وفوقـك
وهات لهـا الشبشب يكون على ذوقك
ونزل النـونو القـديم من طـوقك
يطلع فى طـوعك لا الولد يتكبـر

***

العطفة من قبـل النظام مفتوحـة
والوزة من قبل الفـرح مدبوحـة

الى آخره .. الى آخره ..

والاشارات والتلميحات مفهومة.. فالبنت هى نازلى .والغفلة هو احمد فؤاد وكانت شواربه مبرومة مدببة الاطراف .

واما النونو القديم .. والعطفـة .. والوزة فأمرها متروك لذكاء القراء ..

***

اما الزجل الثانى الذى نظمه بيرم التونسى بعد مولد فاروق .. فقد جاء فيه :

الباميـة فى البستان تهـز القـرون
وجنبها القـرع المـلوكى اللطيف
والديدبان يرمح يجيـب الـزبون

وريه الجـــاريه تجيـب الـــرغيف
شـــوف الميراث حصــل ولاد البطـون
ودخـل الاغـــراب (فاميلية) عــلى

***

يا باديشـــــاه دنت ابنـــك ظهـــر
ربك يبــــارك لك فى عمـــر الغـــلام
نـــزل يلعلط تحت بـــرج القمـــر
يا خسارة بس الشهــــر كان مش تمام

***

وكان احمد فؤاد قبل اعتلائه العرش يقيم فى قصر اسمه قصر البستان ..

وفاميلية على .. يعنى أسرة محمد على ..

و « باديشاه » كلمة فارسية أو تركية ومعناها سلطان !

والشهر كان مش تمام ليست فى حاجة الى تفسير ، ومعناها ان فاروق ولد قبل مضى تسعة اشهر على الزواج !

والقى البوليس القبض على الاستاذ بيرم التـونسى ووضعوه على ظهر باخرة .. مسافرة الى فرنسا .. وبقى بيرم فى المنفى نحو عشرين عاما ..

***

وهذه هى بعض ازجال ثورة ١٩١٩ ، وقد طارت من الاسكندرية الى القاهرة ، وتغنى بها الشعب وقتئذ فى الشوارع والمظاهرات .

وهذه هى الازجال التى طبعتها « المرحومة » لطفية زوجـــة حسنين ووزعتها يوم عودة فاروق وأمه الملكة نازلى ..

سمع حسنين باشا بهذا .. ثم لم يلبث ان جاءه الخبر بأن الملكة نازلى قد سمعت هى أيضا بمطاعن السيدة لطفية ضـــدها .. وبالنشرات التى طبعتها ووزعتها وفيها ما فيها من تعريض بهـــا وبزوجها الملك أحمد فؤاد وابنها الملك فاروق .. وان الملكة نازلى — ومن غير أن تقول شيئا لحسنين — ذهبت وابلغت الامر لابنها

فاروق ..

وهكذا تعجلت الملكة نازلى سير الامور . ووضعت حسنين فى مأزق حرج . وفرضت عليه أن يختار بين احد أمرين :

إما ان يختارها هى ويختار معها منصبه ونفوذه فى القصر الى جانب الملك .. واما أن يختار زوجته وشريكة حياته وأم أولاده .

ثم لم يلبث ان استدعاه فاروق ليقول له :

ـ مراتك اتجننت يا حسنين ؟.. شوف لك طريقة معاها .. وبسرعة ..!

وذهب حسنين الى زوجته وقال لها انها ارتكبت جريمة العيب فى الذات الملكية .. وانها عابت فى ذات الملك احمد فؤاد .. وعابت فى ذات الملكة نازلى .. وعابت فى ذات الملك فاروق .. وان أقل مايجب عليها أن تفعله الآن انقاذا للموقف ـ وللمظاهر ـ هو ان تلتمس مقابلة جلالة الملكة نازلى وتنكر أمامها كل ما هـو منسوب اليها .. وتؤكد اخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك .

ولكن لطفية لم تتركه يتم حديثه .. بل صاحت فيه :

ـ أنا .. أنا أروح لنازلى ..؟

واندفعت تسب وتشتم . . فى نازلى وتقول :

ـ واذا كنت عايزنى أروح لها .. أنا مستعدة أروح..بس راح اقول لها كل الكلام اللى قلته عنها فى غيابها ..

وتركها حسنين وخـرج ليفكر فى هذا الوضـع الصعب او الوضع المستحيل الذى يجد نفسه فيه ..

رائد الملك . .ثم امينه الاول ..

ولكن زوجته تطعن فى ذات الملك . .وفى ذات أمه الملكة .

احتفاظه بزوجته .. وبمنصبه فى القصر .. أمر مستحيل..

ليس امامه الا ان يضحى بزوجته او بمنصبه .

وضحى بزوجته ..

واوقع يمين الطلاق .. واحتفظ بمنصبه ..!

***

وكتير من اصدقاء حسنين ـ وانا منهم ـ لم يسمعوا ولم يعرفوا الا بعد وقوع الطلاق بعدة اسابيع ..

وكان سماعى بالخبر من حسنين نفسه فقد ذهبت ازوره ذات يوم .. وجلسنا نتحدث فى شتى الامور .. وفجأة سألنى :

ـ هل تذكر « البارور » الياقوت الذى اشتريته فى باريس هدية لزوجتى ؟

و « البارور » طقم مكون من حلق واسورة وخاتم .

قلت : نعم ...

قال : وقد دفعت فيه ثمانمائة جنيه .. استدنتها لاننى كما تعرف فقير ... فقير ..

وحنيت راسى موافقا ..

ومضى حسنين يقول بمرارة :

ـ هل تظن أن الذى يستدين ثمانمائة جنيه لكى يشترى بها من باريس هدية لزوجته .. يعود الى مصر وفى نيته أن يطلق زوجته .. ولكن هذا ما يقوله اولاد الحلال !

وسألته أنا ..

ـ ومن الذى طلق زوجته ..! انت ..؟

قال : نعم ..

ولاول مرة منذ عرفت أحمد حسنين .. رايت فى عينيه دمعة حائرة تترقرق ..

وبعد لحظات .. استرد هدوءه .. واستأنف حديثه وقص على كثيرا من التفاصيل التى ذكرت بعضها فيما تقدم ومنها انه لما قدم لزوجته لطفية هدية « طقم الياقوت » رمت بها الى الارض وصاحت فى وجهه قائلة :

ـ جايب لى هدية من نازلى ..؟ انا عارفة انك فقير ، يبقى مين اللى دفع الثمن واشتراها ؟ لازم نازلى..! عايزة تشتزينى وتشترى سكوتى ..؟ والا انت عايز تعمينى بالهدية وتفهمنى انك لسة بتحبنى ..؟

ومشهد آخر من مشاهد الغيرة المجنونة ..

***

وقال حسنين بين ما قاله ..

ـ كتر خيره مراد باشا عمل الواجب وزيادة ..!

قالها بسخرية ومرارة ..

.. وفهمت منه أن مراد باشا محسن والروايات والحكايات التى نقلها من « فيشى » الى مصر وحرص على أن يرويها أمام اصدقاء وصديقات لطفية لكى تبلغها .. هذه الحكايات والروايات هى التى « شعللت » النار وأخرجت لطفية عن صوابها فانطلق لسانها بالسب والطعن والقذف .. فى حق الملكة والملك ..

ولقد قلت فيماسبق ان مراد محسن كان ينافس حسنين ، على مركز الرجل الأول فى القصر .. وكان حسنين يعرف هذا .. وكان بين الرجلين منافسة وغيرة فى أكثر من ميدان واحد .

ومن هنا كان طبيعيا أن يعتقد حسنين ان مراد محسن قد عمل عامدا متعمدا على « شعللة » النار فى صدر زوجته لطفية ..

وكانت آخر عبارة قالها فى هذا الموضوع .. وعلى شفتيه ابتسامة باهتة .. قال :

ـ وكان الرسول فى مفاوضات الطلاق بينى وبين لطفية هو الاستاذ ابراهيم رشيد ..

والاستاذ ابراهيم رشيد المحامى هو صهر المرحوم مرادمحسن باشا

وهكذا طلق حسنين باشا زوجته السيدة لطفية ابنة الاميرة شويكار وسيف الله يسرى باشا .. طلقها والدموع فى عينيه .. بعد أن اطلقت لسانها وقذفت فى حق الملك والملكة .. أو ـ على حد قوله رحمه الله ـ عابت فى ذوات ملوك ثلاثة ..

ثم رفضت أن تنكر التهمة وتنفى ما نسب اليها .. ورفضت ان تعتذر ..

ورأى حسنين انه أصبح فى وضع صعب بل مستحيل .. وانه لا يمكنه ان يحتفظ بزوجته ويحتفظ معها فى نفس الوقت بمنصبه

فى القصر .

اما الزوجة .. واما الوظيفة والمنصب وما اليهما من جاه وسلطان .. ولقد اختار الوظيفة .

والذين يعرفون حسنين وظروفه لا يستطيعون أن يقسوا عليه بسبب هذا الاختيار ..

ماذا كان يفعل لو أنه آثر الاحتفاظ بزوجته وام أولاده وضحى بالوظيفة والمنصب ؟

كيف يعيش .. ومن أين ينفق..؟ لقد كان حسنين طول عمره فقيرا بل ومدينا .. لا يملك سوى مرتبه من وظيفته .. وكان جزء من مرتبه يذهب فى تسديد الديون ..

وكانت زوجته السيدة لطفية فقيرة مثله لأن أمها الاميرة شويكار لم تكن قد ورثت بعد ملايين شقيقها الأمير سيف الدين بل الذى اعرفه أن الاميرة شويكار كانت فى ذلك الوقت فقيرة تعيش على الاعانة أو المرتب الشهرى الذى يدفع لها بوصفها احدى أميرات البيت المالك ، وكانت كثيرا ماتلجأ الى الحكومة تطلب منها النجدة العاجلة فى ازمة مالية طارئة ، ولقد رأيتها فى محطة باريس ربيع نفس العام ١٩٣٧ وقد جاءت هى وزوجها الهامى حسين ليودعا النحاس (باشا) والسيدة حرمه عند سفرهما ، ورأيت شويكار الاميرة حفيدة محمد على تنحنى فوق يد مصطفى النحاس .. وفوق يد السيدة حرمه .. مودعة محيية ..! ذلك لأنها ـ كما سمعت يومئذ ـ كانت فى حاجة ملحة الى معونة مالية سريعة من الحكومة .. وكان حسنين بعد هذا أو ذاك قد اعتاد الحياة السهلة حياة الترف والدعة فى القصور الملكية وهى التى كانت من حقه بحكم منصبه فى القصر ، فكيف يتخلى عنها أو ينسحب ويستقيل منها ليواجه المستقبل المجهول وهو الفقير الغارق فى الديون ..!

ولقد تساءل بعض أصدقاء حسنين ـ وأنا منهم ـ لماذا لم يذهب حسنين الى فاروق ويطلب ـ او بلغة العهد » يلتمس « منه اعادته الى السلك السياسى الذى كان نقل منه الى منصبه فى

السراى فى عهد الملك فؤاد ..! وكانت درجته ومرتبه يؤهـلانه يومئذ لمنصب وزير مفوض من الدرجة الاولى ..!

وهكذا يخرج حسنين من مصر وتخرج معه زوجته لطفية المغضوب عليها ..؟

واذن لاستطاع حسنين أن يحتفظ بزوجته وان يحتفظ معها بوظيفته ومصدر رزقه الوحيد ..!

ولكن هل كانت الملكة نازلى وابنها الملك فاروق يرضيان بهـذا الحل أو يكتفيان بهذه الترضية .. وهى ابعاد السيدة لطفيـة عن مصر ..؟

ربما كان فاروق قد قبل .. اما نازلى فمن المؤكد قطعا انها كانت ترفض .. ولا أقل من الطـلاق ..

والى هنا وقد حاولت ان انصف حسنين .. واسجل ما كان لفقره وديونه من وزن واثر فى قراره ..

ولكننى مطالب كذلك بانصاف الحقيقة والمنطق . والحقيقـة تقول ان حسنين كان ذا مطامع واسعة ، وانه كان يرسم سياسة لتحقيقها .. وان من أسس هـذه السياسة بقـاءه فى القصر الى جانب صاحب العرش .. وسيطرته فى نفس الوقت على الملـكة ام الملك وصاحبة النفوذ والاحترام يومئذ عند ابنها الملك ..

كيف اذن .. يغادر مصر والقصر والملك والملكة ويرضى أن يذهب الى الخارج سفيرا أو وزيرا مفوضا لبلاده ..؟

وهو الذى كان حريصا من أجل تحقيق مطامعه على البقاء فى مصر وفى القصر بالذات حيث يسهل عليـه وضـع أصبعه فى اى وقت على نبض الحوادث .. ومتابعة سير الأمور وانتهاز الفرص كلما لاحت فرصة سانحة !

هذا كله .. تقوله الحقيقة . وهنا يقول المنطق ان حسنين نفسه كان يرفض مغادرة مصر والقصر الى الخارج لوان اقتراحا بهذا المعنى كان عرض عليه ..!

وهكذا .. وكيفما قلبت الأمر على اى وجه فانك تصل الى هذه

النتيجة وهي أن حسنين لم يكن أمامه سوى أن يطلق زوجته ..
وقد فعل وفي حلقه غصة وفي عينيه دمعة حائرة ..! لقد كان يحب زوجته شريكة حياته وأم أولاده ..
ولكن حبه لمطامعه كان أكبر وأعمق .. ولقد كان حسنين ، كما سبق أن قلت يلبي دائما نداء العقل ويصم اذنيه عن صراخ القلب والعاطفة مهما كانت الظروف . وكان عقله حليف مطامعه .

***

وأنتقل الآن الى مشهد جديد في هذه المسرحية ..
الان وقد طلق زوجته .. وأصبح حرا طليقا .. هل تراه ذهب واخذ الملكة نازلي بين ذراعيه ، او تركها تأخذه بين ذراعيها ..؟
لم تكن هذه سياسة أحمد حسنين ، حسنين العالم العليم بطبائع النساء وخصوصا من تجاوزت منهن مثل الملكة نازلي سن الشباب .. ومن كانت لها ــ مثل نازلي ــ أهواء ونزوات ..! جارية رقيقة اسيرة هوى في المساء وملكة مستعلية متكبرة في الصباح ..
تعتصر الثمرة .. وتلفظ نواها .. وترشف الخمر .. وتحطم القدح .. امرأة تسير على هواها .. وهواها الا تحفظ عهد هوى .
وكان حسنين يعرف هذا ويقيم له كل وزن في خططه وحسابه .

***

وهنا أترك الحديث لمراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية وتقريرا للواقع أحب أن أقول انحديث المرحوم مراد باشا لم يكن معي بل كان مع شخص موثوق به ولست في حل من ذكر اسمه لانه لا يريد أن يذكر اسمه في هذه القصة .
تحدث مراد محسن باشا في يوم الجمعة ٥ يولية ١٩٤٠ الى الشخص الموثوق به المذكور وعاد بحديثه نحو ثلاث سنوات الى الوراء .. وهذا الحديث مسجل مكتوب حرفا بحرف كما افضى به صاحبه ..
قال مراد محسن باشا :

ـ ان حسنين باشا أخطر رجل فى مصر . وهو ممثل يجيـد التمثيل خيرا من يوسف وهبى ، وأنا لا أنسى يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول انها تحب حسنين ولا تستطيع الحياة بدونه وانهـا تعسة لأن حسنين صـارحها بانه لا يستطيع أن يقربهـا لانه لايحب الحرام ، ثم قالت الملكة نازلى انها كانت أوفدت الى حسنين احدى وصيفاتها . . أوفدتها الى حسنين لتسأله عن سر برودهمع صاحبة الجلالة ،فقال لها انه يتعـذب وانه يمسك بعواطفه لأنه يحبها ـ أى يحب الملكة نازلى ـ ولكنه لا يستطيع ان يفعل شيئا يغضب الله . . وانطلقت الملكة نازلى فى شكواها لمراد محسن باشا تقول :

ـ يعنى أعمل ايه أنا . .؟ لا هو يسمح لى أن أعرف رجلا سواه . . ولا هو يريد أن « يأخذنى » . .! لا عاوز يرحم ولا يخلى رحمة ربنا تنزل ! « واستغفر الله للمراة الآثمة » .

***

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :

ـ ولقد دهشت من هذا التصرف من حسنين فأنا اعرفه جيدا واعرف انه فى حيـاته الخاصة وسلوكه الشخصى ليس شيخ الازهر ! ولكن حسنين كان يمثل دورا . وكانت النتيجة ان ازداد وجد الملكة نازلى وتضاعف هواها وحبها له وأصبحت تعتقد انه رجل غريب . . رجل يجد ملكة بين يديه ويرفض أن يقربها .

وذات يوم ، قالت له :

ـ أنا أعطيك انذارا نهائيا ، اما أن تعاملنى كامرأة واما ساقطع كل علاقة بيننا واصبح حرة أفعل ما أشاء . .

وأجاب حسنين ـ وهو يتظاهر بالبكاء ـ انه لا يستطيع أن يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله ، ثمأسرعيقول:

ـ . . وغير معقول أن أتزوج الملكة . .

وهنا صاحت الملكة نازلى .

ـ طظ فى لقب الملكة . .!

ولـكن حسنين قال :

ـ معنى هذا ان جلالة الملك سيطردنى وانا افقر من أن استطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانبا كبيرا منه ..

قالت الملـكة نازلى :

ـ أنا مستعدة لأن أضع ثروتى كلها بين يديك ..

قـال :

ـ ولـكننى لا أستطيع أن أعيش على حساب زوجتى وسوف اشعر بمرارة انك دفعت لى ثمن هذا الزواج .

وصاحت هى ..

ـ يعنى عايزنى أعمل ايه ..؟ زوجة .. لا ..! رفيقة .. لا ..! عاوزنى أبقى ايه ..؟!

قال حسنين :

ـ عاوزك ملـكة ..!

قالت :

ـ يعنى قطعة جماد ..! طوب .. حجارة ..؟ لا ياسيدى .. انا بنى آدم .. أنا دم ولحم .. أنا امراة .. أنا حرمت كل حياتى من الحياة عاوزة أعيش .. سيبنى أعيش ..

قال حسنين :

ـ انا خايف على سمعتـــك وسمعة السراى ..! والا لتركتك تفعلين ما تشائين .

***

وهنا انفجرت قائلة :

ـ طيب ..! سابهدل سمعة السراى ..! انا اخـدت ايه من السرايات ..؟ غير المرض والبؤس والشقاء ..! أنا عشت تمنتاشر سنة فى ثلاجة ..

ولكن حسنين اصر أمامها على أنه يخشى الله ولا يستطيع ان يفعل شيئا يغضب الله ..!

وهنا قالت الملكة نازلى :

ــ اذن سأذهب الى فاروق واقول له انني سأتزوجك ..
قال حسنين :
أذهبي . ولـكنه سيرفض ..

***

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :
ــ وذهبت الملكة نازلى فعلا الى الملك فاروق .. وكانتمقابلة عاصفة ! فقد قالتلابنها انها تحب حسنين باشا وتريد أنتتزوجه
وقال فاروق :
ــ رافقيه أحسن ..!
قالت : انه يرفض أن يكون عشيق الملكة ..!
قال صاحب الجلالة :
ــ سأصدر اليه أمرا ملكيا بذلك !
ولعل فاروق كان يسخر من أمه !
وعلى كل حال فانه لم يفاتح حسنين فى هذا الموضوع . وكان طبيعيا أن اعتقد أن الملك سوف يغضب ويحقد على حسنين ويطرده من السراى ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ولعل جلالتـه آمن باخلاص حسنين باشا وان هذا الاخلاص هو الذى يحول بينه وبين أن تكون له بالملكة علاقة غير شريفة ..!
وكان الملك لا يزال يثق فى حسنين وفى اخلاصه . فقد حدث أيام كان الملك وأمه الملكة نازلى فى لندن ان أرادت الملكة أن تذهب الى ناد ليلى معين لترقص فيه فذهب اليها حسنين وقال لهـا : (اذا رقصت فى هذا النادى فسوف أضعك هنـا فى مستشفى المجاذيب) .. وذهبت الملكة نازلى تشـكو حسنين الى فاروق وتهديده اياها .. ولكن الملك فاروق لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا لحسنين .. وهذا هو الأمر العجيب الذى يحيرنى !
ثم قال مراد محسن باشا ..
ــ ومع ذلك فأنا اعرف اكيدا أن الملك يكره حسنين فى قـرارة نفسه . ولكنه ــ كما يظهر ويبدو من تصرفاته ــ يخـافه ويتقى

شره ..! وحسنين يعرف ذلك .. ومن هنا يعمل من جانبه على اتقاء بطش الملك به عن طريق السيطرة التامة على أم الملك .. الملكة نازلى ..!

وذات يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول انها قررت ان تهب حسنين باشا خمسمائة فدان وطلبت منى بصفتى ناظر الخاصة ووكيلا عنها أن أعد العقود الخاصة بهذه الهبة ونقل الملكية وحاولت ان أراجعها فى قرارها ، ولكنها أصرت عليه ..وهنا ذهبت الى الملك فاروق وأبلغته الخبر فثار وهاج ، وقال لى :

ـ ان هذه الخمسمائة فدان بتاعتى انا .. لأننى أنا الذى ارث الملكة ..

ولكنه لم يفعل شيئا ولم يحدث أمه أو حسنين فى هذا الموضوع واكتفى بأن طلب منى ان اذهب الى « رفعة » شريف صبرى (باشا) شقيق الملكة وأروى له الحكاية . وذهبت الى شريف صبرى (باشا) وقلت له ان جلالة الملكة تريد أن تهب حسنين باشا خمسمائة فدان.

ولكن شريف صبرى لم يفعل شيئا .. وبينما انا فى حيرة ماذا افعل اتصل بى حسنين باشا ليقول لى انه يرفض هذه الخمسمائة فدان ..

وبعده بقليل اتصلت بى الملكة نازلى وقالت ان حسنين باشا شتمها وقال لها : « انت عاوزة تهزئينى أمام بتوع السراى ..؟ انت عاوزة تنتقمى منى ..؟ كيف تتصورين أن آخذ منك أنا فدادين ..؟ انت امرأة مجنونة ! »

***

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :

ـ وهكذا استطاع حسنين باشا برفضه هذه الهبة الكبيرة ان يزيد فى قوته ومقامه فى عين الملكة نازلى وان يشعرها انه من الأنبياء والقديسين لا تمكن رشوته ..! وأنا أعتقد أن سياسته أو هدفه الذى كان يسعى اليه فى آخر الأمر هو أن يحمل الملك فاروق على أن يرجوه بنفسه ان يتزوج أمه الملكة نازلى زواجا عرفيا

.. وعندئذ ينحنى حسنين أمام رغبة « مولانا » ويصدع بالأمر بحجة انه انما يخدم الملك والأسرة بهذا الزواج !! واما لماذا رفض أن يكون عشيقا للملكة نازلى فربما خوفا من بطش الملك .. او ربما لانه كان يعرف حق المعرفة انه لو رضى أن يكون عشيقا للملكة لزهدت فيه بعد شهر واحد أو شهرين وتخلصت منه وتركته .. ومن هذا رسم لنفسه هذه السياسة .. سياسة التعالى والخوف والبعد عن كل ما يغضب الله.. وهكذا . يضمن ان تبقى الملكة نازلى ملهوفة عليه والهة ويضمن بواسطتها نفوذه عند الملك وبقاء السلطة طول حياته فى يده .. ولكنى لا اعرف هل يستطيع حسنين أن يستمر طول حياته فى تمثيل هذا الدور ولعب البهلوان والمشى على السلك المشدود أم انه سيقع يوما وتندق رقبته .

***

قال مراد محسن باشا :

ـ وكان الملك فاروق يغضب أحيانا ويستبد به الغضب ويثور بسبب حب أمه الملكة نازلى لحسنين ، هذا الحب المفضوح الذى أصبح حديث جميع من فى القصر .. بل حديث أعضاء الأسرة المالكة ، كان يثور ويقسم انه سوف يضرب حسنين بالرصاص ! .. ولكننى كنت أدخل عليه مكتبه فى اليوم التالى فأجده جالسا يمزح ويضحك مع حسنين !

وحدث مرة فى العام الماضى (أى فى ١٩٣٩) أن تلقى جلالة الملك تقريرا جاء فيه ان جلالة الملكة نازلى تسهر الى الصباح عند حسنين ، وقرر الملك أن يضبطهما معا متلبسين وأخذ معه خادمه الارناؤوطى محمد عبد الله وذهب الى بيت حسنين باشا وترك سيارته بعيدا عن الدار .. ثم دخل البيت من احدى النوافذ .. وعرف أن الملكة وحسنين فى الدور العلوى . واعتقد انهما فى غرفة النوم ..! وصعد السلم على أطراف أصابعه .. وهو يضع دائما فى قدميه حذاء ذا نعل من « الكاوتش » لا يحدث صوتا .. وتسلل الى غرفة النوم .. وفتح بابها فوجدها خالية .. وفتح الغرفة

التى بجوارها فراى منظرا اذهله ..! رأى حسنين باشا جالسا على الأرض وأمامه الملكة نازلى جالسة كما تجلس التلميذة أمام أستاذها .. وكان حسنين يتلو عليها آى الذكر الحكيم من مصحف بين يديه ..!

وذهل الملك من هول المفاجأة فلم يجد شيئا يقوله .. واغلق عليهما الباب وغادر الدار ..!

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه فقال :

ـ وعندما سمعت هذه القصة من الملك ازداد اعتقادى بأن هذا الرجل ـ (يقصد حسنين باشا) ـ بهلوان ! والا فكيف استطاع أن يمثل دور الرجل الصوفى المتدين مع الملكة نازلى .. وان يحملها على الجلوس أمامه تصغى الى تلاوته للقرآن وهى التى لا تكاد تجلس فى مكان ما دقائق معدودات حتى تهب واقفة وهى تصيح .. « أنا أختنق هنا ..! تعالوا نبحث عن سهرة نرقص فيها ! » .

ثم قال :

ـ ان جلالة الملك يعتقد ان حسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه .. والرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش او انه اذا خرج حسنين من القصر فان الملكة نازلى سوف تنفجر وتترك هى أيضا السراى .. و « تمشى على حل شعرها » .. ولكننى لست من هذا الرأى بل أعتقد أن حسنين هو الذى يضفى على نفسه كل هذه الأهمية .. بحركاته وتمثيله وبهلوانيته والا فما الذى تستطيع أن تفعله الملكة نازلى اذا وضعها الملك فى قصر واغلقه عليها ..؟ ولكن الملك يرفض المناقشة فى هذا الموضوع .. وهو كلما يسمع أن الملكة تريد ان ترتكب حماقة صاح .. (الحقونى بحسنين) !

***

انتهى حديث المرحوم مراد محسن باشا ..

وقد برهنت حوادث الأيام والسنوات التالية على انه رحمه الله كان مخطئا فى رأيه وفى التهوين من شأن أحمد حسنين لأنه لم

يكد حسنين يلفى حتفه ويوارى التراب حتى انطلقت نازلى : على حل شعرها » .

***

تدلهت ملكة مصر وتهتكت فى حب حسنين . ولم تخجل من أن تعلن حبها له أمام رجال القصر ، ثم أمام ابنها الملك فاروق .. تنسى مقامها كملكة ، وارملة ملك وام ملك ! ونسيت حرمة سنها وقد جاوزت الأربعين .

وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذى كان يومئذ فى الثامنة عشرة من عمره .. ميلادية ..! أو التاسعة عشرة هجرية ..!

وكان فاروق يحب أمه .. ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها .. كانت تناديه أمامنا وأمام رجال الحاشية وخدم الفنادق « فاروق » .. وكان هو يخاطبها أو يناديها دائما « ماجستبه » أى صاحبة الجلالة !

وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا .. وكانت كلمتها عنده لا ترد ..

كثيرا ما سمعتها ـ أثناء رحلتنا الى سويسرا وفرنسا وانجلترا ـ سمعتها تنهاه أمامنا علنا عن قيادة سيارته بنفسه .. أو تنهره وتطلب منه أن يترك سيارته ويركب معها فى سيارتها لأنها كانت تخاف عليه من تهوره فى قيادة السيارات بسرعة جنونية ..

وكان يخضع دائما ويطيعها .. ولا يرى غضاضة أو بأسا ـ وهو الملك ـ فى أن ينزل على ارادتها مثل أى طفل صغير !

هكذا كان مقدار حب فاروق واحترامه لأمه نازلى .. ثم ها هى ذى تتدله وتتهتك فى حب موظف من موظفى القصر .. وتذهب تشكو حبها لناظر الخاصة ولا تخجل من أن تعلن أمام موظفى القصر انها عاشقة ملهوفة على أحمد حسنين ..! بل ولا تخجل من أن تصارحه هو ـ ابنها الملك ـ بأنها تحب هذا الموظف أحمد محمد حسنين .

.. وانها قدمت نفسها وجسمها . ولـكنه يرفض ! ثم تصرخ وتصيح انها من لحم ودم ..! وتطلب من ابنها أن يزوجهـــا من حسنين ..!

كانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة .. على فاروق . وتهاوت المثـــل العليـــا التي كان يراها فى أمه ــ صاحبة الجلالة ــ تهاوت وتحطمت تحت قدميــــــه .. وكان كمـــا أسلفت لا يزال فى سن الثامنـــــة عشرة ..

وكانت مثل عليا أخرى قد اخذت تتهـــاوى وتتحطم فى نفس الوقت تحت أقدام فاروق ..

زعماء البلاد الـكبار وشيوخهـــا الـكبار وساستها الـكبار .. رآهم فاروق واحدا بعد واحدينحنون فوق يده ويقبلونها وينسحبون من « حضرته الملكية العلية » وهم يمشون بظهورهم الى الوراء ..

.. وسمعتهم واحدا بعد واحد يقولون له أنهم جاءوا ليلتمسوا منه « توجيهاته السامية وارشاداته الفالية » ..

وقرأ لهم جميعا فى الصحف تصريحات أفضوا بها وقالوا فيها انهم « تشرفوا بمقابلته ليتلقوا نصائحه الفاليةوارشاداتهالحكيمة »

ولم يكن فاروق غبيا .. كلا .. فقد كان يعرف أنه لم ينل من العـــــلم الا قليـــــلا .. وانه جاهـــــل أو نصف أمى ... وان تغنى هؤلاء الساسة والزعمـــاء الـكبار بحكمته ونصـــائحه ليس سوى نفاق ورياء .. وان كل ما يسعون اليه هو الحكم وكراسى الحـكم ..!

وهكذا ! المثل العليا ..فى أمه وفى رجال مصر .. تهـــــاوت وتحطمت .. ودخلت المرارة فى نفس الفتى ابن الثامنة عشرة .

ومع المرارة والسخرية والاستهتار بالمثل العليا ــ وأين هى ؟ وبالمبادىء والقيم والاخلاق .. بكل ما فى هـــذه الدنيـــا من نبل وعـــلاء .

لم يجدها فاروق فى أمه .. ولم يجدها فى رجال دولتـــــه .. لا فى الساسة ولا فى الزعماء .

وانطلق فاروق يسخر ويهزأ بكل شيء .. ويدوس بقدميه كل مقدسات هذا البلد ..

ولقد كنت كتبت مقالا مطولا فى هذا المعنى فى أعقاب الثورة وبعد خلع فاروق فى صيف ١٩٥٢ وكان عنوان المقال « مأساة الملك فاروق » .

وعدت اليوم الى نفس المعنى أو الموضوع لكى أقرر هذه الحقيقة مرة أخرى ..

وهى أن هذه القصة أو هذه الفضيحة ـ فضيحة نازلى وتهتكها ـ كانت من العوامل الرئيسية التى حولت فاروق من ملك محبوب مأمول الى طاغية وفاجر مستهتر .. أو مخلوق بلا أخلاق ولا مبادىء ولا مثل عليا ! وان شئت فقل « حيوان فى رسم انسان » .

***

وأعود الى سياق الحديث أو القصة ..

انتهت نازلى ملكة مصر الى هذه النتيجة وهى أن حسنين يرفض أن يعاملها كامرأة . ويتخذها عشيقة لأنه ـ كما قال لها ولوصيفتها ـ يخاف الله . ولا يستطيع أن يقربها الا على شرع الله وسنة رسوله .. ثم هو لا يستطيع أن يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك فاروق .. وهو ـ أى حسنين ـ رجل فقير لا يملك سوى مرتبه الذى يناله من وظيفته ..

اذن ماذا ..؟

كان حسنين فى الواقع يرمى من وراء هذا الدور الذى مثله بمهارة عجيبة ـ كان يرمى ، وكما قال المرحوم مراد محسن باشا ـ الى أن يحمل الملك فاروق على أن يستدعيه ويأمره أو يرجوه أن يتزوج أمه الملكة نازلى ..!

واذن ... يصدع حسنين بأمر « مولانا الملك » ويتزوج من جلالة الملكة ..!

كان هذا هو الهدف الذى يسعى اليه حسنين ، ولم يكن تحقيقه مستحيلا أو صعب المنال . لأن حسنين باشا رحمه الله كان قد

أفلح فى اقناع فاروق ـ بطريق غير مباشر ـ بانه ـ أى حسنين ـ الرجل الوحيد فى مصر أو فى القصر القادر على كبح جماح الملكة نازلى .. وانها لولاه ولولا نفوذه عليها « لخرجت على حل شعرها » وتركت السراى وانطلقت على هواها !

هذا ما كان يعتقده فاروق كما قرر مراد محسن باشا .. ولهذا لم يكن أمرا مستحيلا أن يطرح فاروق عواطفه ويصغى لحكم العقل والحكمة ويطلب من حسنين أن يتزوج جلالة الملكة !

ولكن فاروق لم يفعل .. وحسنين لم يتراجع أو يتزحزح عن موقفه .. اذن ماذا ..؟ ماذا تفعل الملكة التى تريد أن تعامل كامرأة .. من لحم ودم ..؟

***

هزت نازلى كتفيها فى وجه حسنين .. وشقت عصا الطاعة .. وانطلقت تغازل وتمرح وتسهر وتشرب وترقص مع من يعجبها من شبان .. ووقع اختيارها أول ما وقع على تشريفاتى بالقصر كان ملحقا بحاشيتها ..

وبدأت الاشاعات والحكايات تخرج من القصر ودوائر القصر الى الاندية والقصور ..

الملكة نازلى « ماشية » مع « ح » التشريفاتى ! الملكة نازلى امضت ليلة امس فى الزمالك فى شقة فلان صديق « ح » .. الذى كان موجودا .. الى آخره .. الى آخره !

لعل احمد حسنين يفار ويغضب ويثور .. ويعاتبها وينتهى الامر بتسوية !

ولكن أحمد حسنين عرف كيف يصبر ويسكت .. بل ويبتسم رثاء لها اذا ما قابلها فى احدى حفلات السراى !

وكان فاروق هو الذى غضب وثار .. وكان لسان حاله يقول (لم يبق الا التشريفاتية وصغار الموظفين !) تقرن أسماؤهم باسم أمه الملكة ، وتروى عنهم وعنها قصص الغزل والمرح والسهرات والشراب وقابل فاروق ذات صباح التشريفاتي المذكور «ح» فى احدى

ردهات القصر فاستوقفه وصاح فيه :

ـ حضرتك عامل ايه فى حواجبك ؟ .. ناتف شعرها زى الستات ! .. وكما يظهر انك بتحط بودرة .. واحمر ؟ !

وأصدر أمرا ملكيا بنقل التشريفاتى الى احدى وظائف وزارة الخارجية ..

وخشى الرجل عاقبة لهوه مع الملكة نازلى فانقطع عنها .. ولعل حظه الحسن هو الذى جر عليه غضب فاروق ، لأنه لم يلبث أن استقال من خدمة الحكومة واشتغل بالاعمال الحرة واثرى واصبح من كبار رجال الاعمال والشركات ..

***

ورات الملكة نازلى ان ابنها فاروق يضيق عليها الخناق .. وان حسنين مصر على موقفه منها .. فهزت اكتافها مرة اخرى وسافرت الى أوروبا ..

***

ومرت شهور الصيف ومن بعده الخريف .. واقترب موعد سفرى الى أوروبا فقد كنت اعتدت أن أمضى فصل الشتاء فى سويسرا .. وقرات فى الصحف ان جلالة الملكة نازلى تزمع العودة من رحلتها فى أوروبا الى مصر وانها تغادر ميناء مرسيليا فى يوم كذا فتصل الى الاسكندرية فى يوم كيت من شهر نوفمبر .

وركبت أنا الباخرة من ميناء بورسعيد فى مساء ١٧ نوفمبر .. وقدرت انني سوف اصل الى مرسيليا فى نفس اليوم الذى تصل فيه الملكة نازلى الى الاسكندرية ..

ومن مرسيليا اخذت القطار الى باريس فوصلتها بعد منتصف الليل . وذهبت الى الفندق الذى كنت اعتدت النزول فيه وهو فندق جورج سانك او جورج الخامس ..

ورأيت علم مصر الاخضر يرفرف على الباب الرئيسى للفندق ، وعجبت .. ترى من يكون الزائر المصرى الكبير المقيم بالفندق والذى يرفع الفندق علم مصر تكريما له !

وسألت موظف الفندق ـ وانا اسجل اسمى فى الدفتر ـ فقال :
ـ جلالة ملكة مصر .
اذن فالملكة نازلى لا تزال فى باريس .. وصحف مصر كانت مخطئة فى نشر خبر عودتها ؟
كذلك لم أكن أعرف ان جلالتها تنزل فى فندق جورج الخامس لانها سبق لها ان زارت باريس مع ابنها ثم وحدها واقامت مرة بفندق ده كريون ومرة بفندق ريتز والمرة الثالثة والاخيرة بفندق بلاتزا اتنيه .. وها هى فى فندق جورج الخامس ..
ولو عرفت .. لكنت ذهبت الى فندق آخر وذلك لان العلاقات يومئذ بين فاروق والوفد كانت سيئة للغاية .. وكنت وفديا ومجلتى « آخر ساعة » وفدية .. وكان فاروق غاضبا على ..
وكنت حريصا فى تلك الايام على ان اتحاشى القصر والذين فى القصر وكل احد له علاقة بالقصر او فاروق ..
وهأنذا انزل فى نفس الفندق الذى تقيم فيه أم فاروق وأفراد حاشيتها !

***

وفى مساء اليوم التالى ـ وكنت جالسا فى أحد صالونات الفندق ـ دخل تشريفاتى الملكة نازلى محمود اسعد بك ومعه زوجته السيدة فتحية أبو أشبع .. ولحق بهما بعد قليل الاستاذ حسنى نجيب وزوجته السيدة نايلة سلطان .
وتبادلنا التحية .. واذ نحن نتحدث اقبل من يعلن نزول جلالة الملكة .. من جناحها الخاص ..
ووقف الجميع ودعونى للذهاب معهم لقضاء السهرة ولكنى اعتذرت من عدم الذهاب بحجة التعب .. وأسرعوا بالخروج ليلحقوا بجلالة الملكة ولم أر وجه الملكة نازلى .. ولقد حرصت بعدئذ على عدم الجلوس فى صالونات حتى لا أقابلها أو أقابل أحدا من أفراد حاشيتها .. وكنت اغادر الفندق فى الصباح .. وأعود فى المساء الى غرفتى مباشرة ..

وهكذا امضيت نحو اسبوعين فى باريس .. ثم سافرت الى زيوريخ فأقمت فيها بضعة أيام ومنها الى سان موريتز .

ووجدت فيها خطابا من مصطفى امين . وكان الخطاب محولا من فندق جورج الخامس .

وفى الخطاب يقول مصطفى ان النقراشي باشا ـ رحمه الله ـ وكان يومئذ وزيرا للداخلية استدعاه الى مكتبه وقال له ان التابعى فى باريس ويقيم فى فندق جورج الخامس الذى تقيم فيه جلالة الملكة نازلى .. وانه ـ أى النقراشي باشا ـ يطلب منى أن لا اثير متاعب له ولنفسي .. ومن ثم يرجوني أن اغادر باريس على الفور .. او على الاقل أترك فندق جورج الخامس .. الى فندق آخر ..

وهذه خلاصة الخطاب .. ويظهـــر ـ على الارجح ـ انه كان يوجد بين حاشية الملكة نازلى من كان يرسل تقـارير الى فاروق عن امه الملكة وماذا تفعل ومن تقابل ومع من تخرج .. الى آخره.

وعرف فاروق انني اقيم فى نفس الفندق .. ولعله خشى أن أعرف عن أمه وسيرتها فى باريس ما لا يصح أن يعرفه أحد وخصوصا صحفيا وفديا .. وكانت الخصومة كما قدمت على اشد ما تكون وقتئذ بين فاروق والوفد ..

خشى فاروق ان اطلع على امور قد يستعملها الوفد فى دعايته ضده فطلب من النقراشي ان يعمل على ابعادى عن باريس .. الى آخره ..

وهذا ما فهمته من خطاب الصديق مصطفى أمين .

وعلى كل حال فقد كانت الاشاعات يومئذ فى مصر كثيرة .. ومنها مثلا انني غادرت مصر الى أوروبا منفيا بأمر من الملك فاروق .. ومنها كذلك ان فاروق طلب من الوزارة تجريدى من الجنسية المصرية .. الى آخره الى آخره ..

ولما عدت الى مصر وسمعت بهذه الاشاعات كتبت عنهـا فى « آخر ساعة » وسخرت منها ومن الذين اختلقوها وأذاعوها .

***

وكانت الملكة نازلى كما عرفت وسمعت فى سويسرا قد زارت « فيينا » و « بودابست » .

وفى « بودابست » عرفت شابا جميلا هو ابن الاميرال هورتى الوصى يومئذ على عرش المجر .. وقد قتل بعد ذلك فى حادث طائرة فى روسيا سنة ١٩٤٣ .

وطابت لها الاقامة فى « بودابست » .. بعد أن وجدت فيهـا الرجل الذى يرضى ان يعاملها كامرأة من لحم ودم !

ثم غادرتها الى باريس .. حيث وجدتها .. ثم عادت جلالتها مرة أخرى الى بودابست ..

واخيرا عادت الى مصر ولحق بها الشاب هورتى وجاء مصر ونزل فى فندق شبرد ..

وكانت حكايتهـا مكشوفة .. واكثر من مكشوفة ! ومـرة اخرى صاح فاروق : « الحقونى بحسنين » ! ..

واصدر صاحب الجلالة أمره الملكى الى حسنين .. « أن يشوف له طريقة مع جلالة الملكة نازلى ، ويضع حدا لحكايتها مع الشاب هورتى .. لان الحكاية أصبحت فضيحة مكشوفة » ..

وصدع حسنين بالامر .. ونزولا على ارادة « مولانا » ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلى وتصالح معها ..

وبعد أيام من عقد الصلح أحس الشاب هورتى ابن الوصى على عرش المجر ان بقاءه فى القاهرة اصبح امرا غير مرغوب فيه من الملكة نازلى نفسها .. ومن سلطات مصر العليا .. فغـادر مصر عائدا الى بلاده !

واجتمع الشمل ، وكثرت الحفلات والسهرات التى كان يقيمها اصدقاء الملكة نازلى او أصدقاء حسنين .. لكى يجتمع فيها الحبيبان نازلى وأحمد حسنين ..

وذات يوم ذهب الامير محمد على الى القصر يشكو لفاروق من تصرفات أمه الملكة نازلى وكيف أن سيـرتها مع حسنين باشا اصبحت على كل لسان !

***

وقد ورث فاروق عن أبيه الملك احمد فؤاد كرهه للامير محمد على توفيق ونفوره منه ..

وكان احمد فؤاد يعمل دائما على مضايقة ابن اخيه الاميرمحمد على .. وكان محمد على يلجأ الى « المندوب السامي البريطاني » فى مصر او الى السلطات البريطانيه العليا فى لندن لكى تأخذله بحقوقه من عمه الملك احمد فؤاد .. ولكى توقفه عند حده وتأمره بالكف عن مضايقة صديقها الامير محمد على توفيق ..

روى المرحوم عبد العظيم راشد باشا وزير الاشغال الاسبق فى مذكراته « التى لم تطبع ولم تنشر » ـ روى فى مذكراته ان اللورد لويد المندوب السامى البريطانى قال له انه ذهب مرة وقابل الملك فؤاد ووبخه بسبب بعض تصرفاته مع الامير محمد على ، وان الملك فؤاد بكى ساعتئذ بكاء شديدا ثم قال لورد لويد :

ـ وماذا أستطيع أن أفعل مع ملك يبكى كلما وبخته وذكرته بواجباته كملك ؟!

***

كان الملك فؤاد يكره ابن أخيه محمد على توفيق . وقد ورث فاروق عنه هذه الكراهية ..

وكان الامير محمد على توفيق لا يكف عن انتقاد أسرة عمه الملك فؤاد أفرادا وجماعات . وكان يشهر بها وبتصرفاتها فى مجالس الاسرة .

وكان فاروق يعرف هذا ..

حدث مرة أن اقيمت مادبة كبيرة فى قصر عابدين وحضرها الامير محمد على توفيق وكان جالسا الى يمين الملك فاروق . وأبدى « سموه الملكى » اعجابه بنقوش وزينة سقف قاعة الطعام .

وهنا التفت اليه فاروق وقال وهو يغمز بعينه للحاضرين من كبار رجال القصر :

ـ الحمد لله اللى وجدت عندنا حاجة تعجبك !

وفهم الامير غمزة الملك . وابتسم الحاضرون .

***

وسمع الامير محمد على توفيق بالحكايات التى تروى عن الملكة نازلى وعلاقتها بحسنين باشا ..

وكان طبيعيا أن ينتهز هذه الفرصة لكى يشهر ويندد بتصرفات عائلة احمد فؤاد ..

وذهب « سموه الملكى » وقابل رئيس الديوان «رفعة» على ماهر باشا وقال له ان سمعة الملكة نازلى زفت بسبب علاقتها بحسنين .. وطلب من السيد على ماهر ابعاد احمد حسنين عن السراى ..

ولكن على ماهر «باشا» كان أحرص واذكى من ان يقحم نفسه فى مسألة شائكة كهذه . ومن هنا لم يجد الامير محمد على بدا من أن يذهب ويقابل الملك فاروق نفسه ويشكو اليه امه الملكة وكيف ان الناس تقول انها قد أصبحت عشيقة أمينه الاول أحمد محمد حسنين .

وقال فاروق :

ــ انا سمعت الاشاعة .. وحققت فيها بنفسى وتأكدت انها غير صحيحة .

ولكن الامير محمد على أصر على الاتهام وقال :

ــ انا واثق أن بين حسنين والملكة نازلى علاقات غير شريفة .

***

وسمع حسنين رحمه الله بهذه المقابلة وبالحديث الذى دار فيها فأرسل الى الامير محمد على يقول له :

ــ أنا آسف اذ أرانى مضطرا لان انسى انى موظف فى السراى وانك ولى العهد ، ولهذا فانى ادعوك للمبارزة كما يفعل اى رجل وأترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك .

ولم يكد الامير محمد على يتلقى رسالة حسنين حتى فـــزع واستنجد بالامير عمر طوسن .

واتصل الامير عمر طوسن بحسنين باشا وسأله كيف يجـوز للامين الاول لجلالة الملك أن يبارز ابن عمه وولى عهده ؟

وقال حسنين أن هذا الامر ليست له حقيقـــة سابقة فى «البرتوكول» ولكن لم يسبق كذلك لولى عهد اى بلد أن قال كلاما

كاذبا فى حق رجل آخر دون ان يتحمل مسئوليته .

ثم قال حسنين انه رغبة فى عدم احراج اى احد . فقد رفع الى جلالة الملك الخطاب الآتى :

« لما كان ولى عهدك قد اهاننى ولماكنتلا اقبلهذه الاهانة.ولما كان وجودى فى خدمتك يفيدنى فاننى اقدم استقالتى منمنصبى لكى أستطيع ان أعامل ولى العهد معاملة رجل حر لرجل حر » .

وهنا قال الامير عمر طوسن :

ـ لكن ولى العهد يرفض المبارزة .

واجابه حسنين :

ـ فى هذه الحالة سوف أنتهز فرصة وجوده فى نادى محمد على والطمه على وجهه واعتبر الحادث منتهيا !

***

واتصل الامير عمـر طوسن بالملك فاروق ورجاه ان يتوسط فى الامر ولكن فاروق أجابه بأن حسنين قد استقال من منصبه ولم يعد فى خدمته !!

وكان فاروق يضحك ويريد أن يسخر من ابن عمه محمد على توفيق ثم يرى الى أى مدى سوف يدفعه جبنه وخوفه !

وعندئذ اتصل عمر طوسن بالامير محمد على ، وقال له ان حسنين مصمم على مبارزتك . وهو قد استقال من منصبه فى السراى ولم يعد فى خدمة الملك .. ولقد وسطت الملك ولكنه اعتذر من عدم الوساطة لهذا السبب .

وهنا ركب الامير محمد على سيارته وقصد الى دار حسنين باشا وكان رحمه الله يسكن وقتئذ فى مصر الجديدة .

ودخل سموه على حسنين باشا يقـــول انه جاء لكى يقدم اعتذاره وقال حسنين آن هذا لا يكفى ! .. ويجبأن يذهبسموه ويقدم اعتذاره لجلالة الملكة نازلى .

وخرج الامير محمد على وذهب بسيـــارته الى قصر القبة واستقبلته احدى الوصيفات . وقدم اعتذارهورجا منالوصيفة

ان تبلغ اعتذاره هذا لجلالة الملكة نازلي مع التماسه مقابلتها .
وعادت الوصيفة تقول ان جلالة الملكة ترفض مقابلته !
وازداد الامير محمد علي رعبا وخوفا فعـــاد وزار حسنين مرة اخرى وسأله أن يتوسط لدى الملكة نازلي لكي ترضى بمقابلتـــه ولكنها أصرت على الرفض .
ثم حدث بعد ذلك أن تقابل مع الملكة نازلي عند الاميرة نعمت مختار . وانتهزت نازلي الفرصة لكي تهزأ منه فقالت له :
ان حسنين باشا ليس عشيقي كما تقول . لا لانني لا أريد أن اكون عشيقة له بل لانه هو يرفض أن يكون عشيقا لي !
وراح صاحب السمو الملكي يعتذر ويعتذر وينحني أمام الملكة نازلي ويردد عبارات الاسف والندم والاعتذار !
وكان من نتائج هذا الدرس الذي أعطاه اياه حسنين باشا ان مكث الامير محمد علي ستة اشهر لا يفتح فمه بكلمة واحدة عن السراي وما يجري في السراي بل عن اي شخص كبير او صغير في السراي !
كذلك كان ــ رحمه الله ــ كلما سمع حكاية او كلمة تروى او تقال في نادي محمد علي عن حسنين باشا أسرع يبلغه اياهـــا وكيف أن الوزير فلان يقول عنك ــ أي عن حسنين ــ كذا وكذا ، وكيف أن النبيل علان يقول كيت وكيت !

***

وذات يوم ذهب الامير محمد علي وزار حسنين باشا وقال له :
ــ لقد انتهزت فرصة مقابلتي امس لجلالة الملك وقلت له انك اشرف رجل في مصر وان وجودك في السراي نعمة من الله !
وقال حسنين :
ــ كتر خير أفندينا ! .. لقد خربت بيتي !
وانزعج أفندينا محمد علي وقال :
ــ كيف خربت بيتك وانا مدحت فيك ؟
قال حسنين :

ـ هذا بالضبط ما لا اريده . لان مدحك يضرنى ويؤذينى !
وسأله الاميرفى لهفةماذا يفعل الآن لكى يصلح خطأه ؟
وقال له حسنين :
ـ اذهب الى الملك وقل له انك اكتشفت اننى رجل خائن ويجب التخلص منى وطردى من السراى .
واستعاذ الامير محمد على بالله من الشيطان الرجيم وقال انه لا يستطيع ان يقول هذا !
ولكن حسنين قال :
ـ اذا أردت حقيقة أن تنفعنى وتصلح خطأك فاذهب للملك وقل له هـذا ..

***

وعاد الامير وطلب مقابلة فاروق .. وقال له :
ـ لقد قلت لجلالتكم فى مقابلتى الاخيرة ان حسنينمخلص ولكن جاءتنى بعد ذلك معلومات أكيدة تثبت انه خائن و غير مخلص .
وكان فاروق يستمع اليه وهو يكتم ضحكة بصعوبة ... لان حسنين كان أطلعه أولا بأول على كل ما دار بينه وبين ولى العهد الامير محمد على توفيق ؟
وخرج محمد على من مقابلة الملك وذهب الى حسنين وقال له :
ـ لقد فعلت كل ما طلبته منى ..
ثم سكت قليلا قبل أن يقول :
ـ ولكنى لا أفهمك ..عندما اشتمك تدعونى الى المبارزة.. وعندما امدحك تقول انىخربت بيتك.. قل لى..ماذا تريد ؟

***

وجلس حسنين يرحمه الله يروى هذه التفاصيـل فى يوم الاثنين ١٨ ابريل عام ١٩٤٠ ويعود بنا وبالذاكرة الى حـوادث عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ثم قال :
ـ ولم أجب طبعا علىسؤال الامير محمد على وهو ماذا أريد ، ولم اقل له ان كل ما كنت اريده هو ان اسخر منه واكشفه امام

الملك وامام امراء الاسرة وكيف انه رجل لا أخلاق ولا قيمة له مطلقا وان « كلمة توديه .. وكلمة تجيبه » .

ومع أن الامراء كانوا جميعا يكرهون الامير محمد على توفيق بسبب بخله الشديد وتزمته واستعلائه عليهم الا ان الامير عمر طوسن انتهز مع ذلك اول فرصة تقابل فيها مع حسنين باشا ليقول له أن الامراء زعلانين منه أي من حسنين .. اذ كيف يجرؤ مصرى على أن يطلب اميرا ووليا للعهد للمبارزة؟!

اما فاروق فانه لم يذكر لحسنين شيئا عن غضب وزعل الامراء منه .

وكان كل ما قاله له :

ــ الا تعرف يا حسنين ان القانون يحمى ولى العهد وان ذاته مصونة لا تمس ؟

واجاب حسنين :

ــ اعرف هذايا مولانا ، ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس فانه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمه وان أعامله كأى فرد مساو لى فى الحقوق !

***

والآن وقد لخصنا فى الفصول السابقة قصة الملكة نازلى واحمد محمد حسنين خلال السنوات الثلاث التى تلت وفاة الملك احمد فؤاد .. وعرضنا للحوادث والمناورات والتمثيليات التى تخللت فصول القصة .

الآن نصل بالقراء الى اوائل عام ١٩٤٠ وكان الموقف كما يأتى :

عرف الناس ان هناك شيئا ما ، أو علاقة مابين ملكة مصر نازلى وبين أحمد حسنين باشا وأصبحت هذه العلاقة موضوع حديث فى النوادى والمجتمعات والسهرات .

اما الخاصة ــ دوائر القصر وأوساط الاسرة المالكة ــ فكانت تعرف ان نازلى هى التى تحب حسنين و « تجرى وراه » وتعرض نفسها عليه وتطلبه زوجا لها وتقدم له مئات الافدنة من أراضيها هدية

.. وانه يرفض ويعرض عنها ويتأبى عليها ويستغفر الله ويعلن انه رجل يكره الحرام ويخاف الله ولا يمكنه ان يقرب امرأة الا على شرع الله وسنه الرسول !

وان الملكة نازلى ثارت وهددت.. ثم حاولت أن تثير الغيرة فى صدر حسنين ولكنه لم يأبه ولم يتحرك .. وان الملك فاروق كان يفزع الى حسنين ويطلب منه النجدة فى كل مرة يخشى فيها أن تخرج امه الملكة على العرف المألوف ومقامها السامى كأرملة ملك وأم ملك .. وان حسنين يلبى نداء الملك ويسرع الى نازلى ويفلح فى تهدئتها وكبح جماح أعصابها الثائرة .

..وان نازلى صارحت صاحب السمو الامير محمد على ولى العهد بأنها عرضت نفسها عشيقة على حسنين وان حسنين رفض ..

.. وان الامير محمد على آمن بنبل وشرف حسنين وان وجوده فى خدمة الملك وفى السراى نعمة من الله .

.. وان فاروق نفسه حاول أن يجد شيئا ضد حسنين.. كان يضبطه مثلا فى موقف مريب مع امه نازلى فلم يوفق .. بل على العكس...

.. فقد وجدهما فى خلوة وراء باب مغلق فى دار حسنين ..

.. ولكن !.. كان حسنين يتلو القرآن الكريم من مصحف بين يديه بينما كانت نازلى جالسة أمامه فى خشوع تصغى لآيات الذكر الحكيم !؟ وهكذا بدا حسنين أمام الملك وولى العهد وامراء وأميرات البيت المالك كرجل شريف أبى النفس مخلص لمولاه والبيت المالك ، حريص على سمعة البيت وكرامة الملك .

وانه.. أهل للثقة.. ولولاه ولولا نفوذه على الملكة نازلى لكانت نازلى هذه قد خرجت على العرف والتقاليد وأثارت فضائح لا حد لها .

كان هذا رأى الجميع ماعدا قلة لا تذكر ، ومن بينها مراد محسن باشا ناظر الخاصة الذى كان ينافس حسنين على نفوذه فى القصر ويغار منه ويتهمه بانه ممثل قدير وانه يلعب دوره مع الملكة نازلى بمهارة يحسده عليها يوسف وهبى !

والملك فاروق ؟! بماذا كان يشعر نحـو أمينـه الاول ورائده أحمد حسنين ؟ ..

قلت انه كان يلجأ الى حسنين فى كل مرة تثور فيها نازلى وينادى «الحقونى بحسنين» ! وقلت انه لم يجد ما يأخذه على حسنين.

ولكن ما من شك فى انه بدأ ــ منذ ذلك التاريخ يكره حسنين ! كان يكفى أن يسمع من فم أمه نفسها انها تحب حسنين وتريده .. وان حسنين يعرض عنها !

كان يكفى فاروق أن يسمع من أمه هذا الكلام لكى يكره هذا الرجل الذى تريده امه والذى «تمرمط» من أجله كرامتها وسمعتها. حتى ولو كان موقف هذا الرجل لا غبار عليه.

ومن يومها بدأ فاروق يكره حسنين .

يكرهه ويخشاه فى وقت واحد .

يكرهه للسبب الذى ذكرته .

ويخشاه لانه محتاج اليه لانه الرجل الوحيد القادر على كبح جماح أمه الملكة نازلى.. والرجل الوحيد الذى كانت تخشاه نازلى وتطيعه وتصدع بأمره وكان فاروق لايزال يومئذ حريصا على سمعة أمه وسمعة القصر وسمعة البيت المالك .. بل وسمعة مصر !..

وكان حسنين وحده ــ هكذا كان فاروق يؤمن ــ كان حسنين وحده وبيده القوية المسكة بزمام نازلى واعصابها ، القادر على انقاذ هذه السمعات جميعا !

ومن هنا وبسبب هذا الخوف كان فاروق يعمـل لحسنين حسابا .. وينزل الى حد كبير على رأيه ومشورته ويحرص على الا يفعل شيئا لا يرضى عنه حسنين .. وان فعل أوصى من حوله ان يكتموا الامر عن حسنين ! ..

واذا سمع حسنين بما حدث أسرع اليه فاروق يعتذر ويعد بالا يعود مرة اخرى الى ما فعل !

وهكذا يمكن للمؤرخ الساخر أن يزعم ــ وهو على حق ــ ان علاقة نازلى بحسنين وسيطرته عليها ونتيجة هذا وهى خوف فاروق من

امينه الاول ـ كان هذا كله نعمة «على مصر» نعمة لأجل محدود ..!
اذ انها أخرت انفجار الفضائح وانفجار فاروق بضع سنوات .

ولقد توفى حسنين فى ٩ فبراير عام ١٩٤٦ وقبل وفاة حسنين ، وقبل فبراير ١٩٤٦ لم يكن فاروق يغشى اندية القمار ويمضى سهراته حتى مطلع الفجر فى اندية الميسر ولم يكن يزور الراقصات فى دورهن ..

ولم يكن قد تمادى فى السرقة والاختلاس من اموال الدولة..

ولم يكن يهرب امواله الى الخارج.. ولم يكن قد تمادى فى الاعتداء على الاعراض وانتهاك الحرمات والعبث بكل مقدسات البلاد .

ولم يكن اسم مصر قد أمسى فى الحضيض ..

ولم تكن صحف العالم ـ وصحف امريكا بوجه خاص ـ قد نشرت تقول ان رجال الاعمال أصبحوا ينفرون من ممارسة اى نشاط تجارى أو صناعى فى مصر لأن جميع من فى مصر من اكبر عظيم فيها فما دون يطلبون « العمولة أو البقشيش » ! نعم ! شيء من هذا لم يكن قد حدث قبل وفاة حسنين لأن حسنين ـ رحمه الله ـ كان « الفرملة » الوحيدة القادرة على وقف فاروق ..

وبعد وفاته انطلق فاروق ! اما قبل وفاته فقد كان كل مايفعله فاروق هو التردد على بعض المطاعم فى شارع الهرم والحلمية.. حيث الرقص والموسيقى ومن ذلك فانه لم ينج من تقريع حسنين.. وقد اضطر فاروق أن يوعز الى احد أفراد حاشيته أو خاصته أن يضع كتابا ـ يطبعه وينشره ـ ويقول فيه «مولانا جلالة الملك فاروق» ليس الملك الوحيد الذى يزور المطاعم العامة لان ملك يوغوسلافيا وملك اليونان يترددان فى معظم سهرات الاسبوع على مطعم الاوبرج بشارع الاهرام . وكان الملكان المذكوران يقيمان يومئذ فى القاهرة بعد فرارهما من بلديهما اثر احتلال الالمان ليوغوسلافيا واليونان.

وقال لى زميل ـ كان متصلا يومئذ بالقصر ورجاله ، ان فاروق كان يريد أن يطلق زوجته «الملكة فريدة» منذ عام ١٩٤٢ لولا معارضة حسنين ، وانه ـ أى فاروق ـ هم أكثر من مرة بطلاق فريدة ولكن

حسنين وقف أمامه يعارض ويبصره بالنتائج الوخيمة التى تنجم عن هذا الطلاق .

ولكنه طلقها بعد وفاة حسنين !

واذهب الى ابعد من هذا فأقول انه لو كان حسنين قد امتد به الاجل وعاش لما سافرت الملكة نازلى وبناتها الى اوروبا وامريكا لتثير من المشاكل والفضائح ما زلزل قوائم العرش وهى لم تسافر الا لانها لم تعد تطيق الحياة فى مصر بعد وفاة حسنين !

ولما وقعت المخازى التى جعلت اسم مصر سبةفىالافواه ومنها مثلا ما ارتكب من جنايات فى حق الوطن وحق الجيش أبانحرب فلسطين .. ولكن حسنين لم يعش وكانما موته كان دقة الناقوس التى انذرت بقرب هبوب العاصفة على العرش وأسرة محمد على !

حقائق سريعة .. موجزة مركزة . فيها الرد على الذين زعموا او يزعمون أن حسنين كان المسئول عن فسقوفجورفاروق . وانه كان عامل الانحلال والفساد فى حكم فاروق .. وأنا هنا ـ فىهذه الفصول ـ أقول ما للرجل وما عليه . ومع ذلك فأنا أعرفاننىقد أغضبت أصدقاء حسنين .. وأغضبت خصومحسنين ! أغضبت هؤلاء لاننى انصفت الحقيقة ولم اهتف معالهاتفين بأنحسنين كان بطلا وشهيدا وقديسا مبرأ من كل عيب !

وأغضبت أولئك لاننى فندت اتهامهم وهو أن حسنين كان المسئول الأول عن فساد فاروق ! ولأننى قلت أن حسنين كان مرشدا وهاديا وقائدا لا قوادا لفاروق !

***

ونصل الآن الى أوائل عام ١٩٤٠ .

وفى العام المذكورعرف حسنين المطربةـاسمهانـواعجب بها كما قالت هى : وكما أحس أصدقاؤه او اعجب بصوتهـا فقط كما قال هو ! ..

وكانت اسمهانـ يومعرفها حسنين ـ تقيم فى فندقميناهاوس . وكان حسنين يزورها فى الفندق المذكور وكان اذا لم يجدها يترك

لها رسالة بخطه .. وعرف نزلاء الفندق والموظفون ان كبير رجال حاشية الملك فاروق يتردد على المطربة الشابة . وكان طبيعيا أن يخرج هذا الخبر من فندق مينا هاوس وينتشر هنا وهناك الى ان يصل الى القصر والذين فيه ! ودهش الذين يعرفون حسنين ويعرفون مبلغ حذره وحرصه وتكتمه ، دهشوا لقلة احتياطه ولعدم مبالاته أن يعرف الناس ان له علاقة بالمطربة اسمهان وذات مساء ــ وكان حسنين رحمه الله ــ جالسا فى غرفة مكتبه بقصر عابدين ــ انطلق صوت اسمهان باحدى أغنياتها المعروفة !

وروى لى حسنين نفسه التفاصيل فقال : وظننت ان أحد اجهزة الراديو العديدة فى السراى هى مصدر الصوت وانها تنقله من محطة الاذاعة .. وانتهت الاغنية .. واعقبتها اغنية اخرى لاسمهان .. ثم أغنية ثالثة .. عجبت وقلت ترى هل تذيع محطة الاذاعة هذه الليلة برنامجا خاصا لاسمهان !! ولكن عندما انطلق صوت اسمهان بأغنية رابعة وخامسة شككت فى الامر وقمت من امام المكتب ومشيت الى النافذة وأطللت منها فرأيت «جلالة الملك» واقفا وامامه على المائدة صغيرة جهاز فونوغراف والى جانبه احد خدم القصر يحمل بضع أسطوانات .. ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقه ضاحكا وصاح :

ــ مبسوط يا حسنين ؟

***

وأدرك حسنين ان حكايته مع اسمهان او اعجابه بصوتها كما كان يقول لا بد ان تكون قد وصلت الى مسامع الملكة نازلى ..

فهل جزع أو اهتم ؟ كلا ! بل استمر فى اعجابه وفى تردده على اسمهان ..

وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد هو انه كان يتعمد اثارة غيرة الملكة نازلى .. جريا على سياسته معها وهى اثارتها واثارة غيرتها ووجدها واتباعها اليه من وقت الى آخر ــ والا ــ وكان رحمه الله يعرف طبيعة الملكة نازلى حق المعرفة ــ فان نار الشوق التى فى صدرها لاتلبث ان تهدأ ثم تبرد وتخمد وتموت !

ولم يكن موت هذه النار من برنامج سياسته !

وذات يوم جاءتنى اسمهان تشكو وتقول :

ــ ايه حكاية صاحبك ده ؟

قلت :

ــ صاحبى مين ؟

قالت :

ــ صاحبك اللى اسمه حسنين !

ضحكت أنا وقلت :

ــ دلوقتي بقى اسمه « صاحبى اللى اسمه حسنين » ! .

وعمل ايه صاحبى اللى اسمه حسنين ؟

قالت :

ــ كلمنى اليوم بالتليفون ومن غير بونجور او سعيـــدة او سلامات قال « قولى لى يا مدام اطــرش .. هــل صحيح اننى ازورك فى بيتك ؟ » وقبل ان استطيع الرد او ســـؤاله عن ايــه الحكاية .. عاد يسألنى :

ــ وهل صحيح انك بتزورينى فى بيتى ؟ ! ..

وقبل ان ارد مضى يجيب هو على نفسه ويقول :

ــ مش كده.. لا انا أزورك .. ولا انت تزورينى !..الحمد لله .. متشكر يا مدام اطرش !.. وانهى المحادثة واقفل التليفون !

وضحكت انا طويلا وقلت لها :

ــ ولم تفهمى ايه الحكاية ؟

قالت :

ــ لا ..لم أفهم ؟

قلت :

ــ حسنين كان يكلمك والى جانبه شخص آخر لا بد انه كان يحقق معه فى علاقتك به .. ولقد اراد حسنين أن يبرىء نفسه من هذه التهمة فطلبك فى التليفون ووجه اليك الاسئلة وتولى هو الاجابة عليها ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور انها اجابتك انت..

وصاحت اسمهان غاضبة :

ـ تهمه ! .. معرفتى تهمة ؟ ..

وانطلقت رحمها الله تسب وتشتم .. ثم كأنها تذكرت شيئا كانت نسيته فسألتنى :

ومن يكون هذا الشخص الذى يحقق مع حسنين ؟

قلت :

ـ الملكة نازلى .

وزال فى الحال غضب اسهمان . وابتسمتغبطة وسرورا!.. فقد ارضي كبرياءها ان تكون غريمتها التي تغار منها صاحبة الجلالة الملكة نازلى .

واضطر حسنين بعدئذ ان يقتصد في اعجابه باسمهان وان يكف عن زيارتها فى دارها واستقبالها فى داره .

وقابلت اسمهان هذا الفتور من جانب حسنين بعدم المبالاة.أو على الاقل تظاهرت بعدم المبالاة ومع ذلك فقد كان لا يمر شهر دون ان يتحدث الاثنان معا بالتليفون .. وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات .

كان يسمع لها مثلا اغنية جديدة من الاذاعة فيطلبها فى دارها بالتليفون ويبدى اعجابه بالاغنية .. أو يشرح لها ما فى الاغنية من قوة او ضعف .. ويقترح عليها كذا وكيت .. وقال لها ذات مرة ان صوتها هو أصلح صوت لغناء قصائد المرحوم الشيخ على محمود بل انها تغنى قصيدة :

« يا نسيم الصبا تحمل سلامى » خيرا مما يغنيها الشيخ على محمود نفسه !

وكانت اسمهان تلقاه مثلا فى حفلة ساهرة تغنى فيها ويكون هو بين المدعوين اليها . ثم تلاحظ انه غادر الحفلة قبل نهايتها.. فتعود الى مسكنها وتطلبه بالتليفون لتعاتبه وتسأله هل صوتها لم يعد يعجبه والا فلماذا غادر الحفلة قبل أن يسمع الوصلة الاخيرة ؟!

وهكذا .. ولكنهما كفا عن تبادل الزيارات ، ومع ذلك فان

الملكة نازلى لم تكن مطمئنة تماما الى وفاء حسنين .. ولم تكن غيرتها وشكوكها تهدأ يوما الا لتثور أياما . وذلك لان حسنين لم يكن (أولا) حريصا على اطمئنان الملكة نازلى وثقتها فى وفائه . بل العكس هو الصحيح . اى انه كان حريصا على ان يثير دائمـــا غيرتها عليه وشكها فى اخلاصه ووفائه .. ولانه (ثانيا) كان يجتاز مرحلة السن الحرجة التى يمر بها كل رجل وامراة .. وكان رحمه الله يومئذ فى الخمسين من عمره ..

وكان حسنين طول عمره موضع اعجاب النساء ، فقد كان فيه كل ما يعجب المرأة .. كان ممشوق القامة ، حلو الحديث حســـن الهندام .. جذابا ، مؤدبا .. اذا اقبل على سيدة يتحدث معهـــا خيل اليها ان حسنين لا يرى سواها ولا يهتم بسواها .. وكان الى جانب هذا رياضيا ممتازا وبطلا مبرزا من ابطال السيف ، ورحالة مشهورا جاب مجاهل الصحراء وجابه أخطارها واكتشف واحة أو واحتين ودوى نبأ اكتشافاته فى جوانب العالم وكـــرمته الدول والهيئات العلمية العالمية . .ونال من الاوسمة والنياشين الاجنبية ما لم ينل مصرى فى مثل سنه ..

وكانت ثقافته واسعة متعددة الالوان . كان يستطيع ان يتحدث بسهولة وانطلاق فى ــ مثلا ــ الشعر العربى القديم والشعر العربى الحديث .. وفى المسرح .. والفرق بين المدرسة الانجليزية فى التمثيل والمدرسة الفرنسية .. وفى الصيـــد والقنص .. وفى الطيران .. وكان يتحدث فى «الموضة» وتطـــوراتها .. وكان يمكنه أن يناقش ــ وعلى قدم المساواة ــ أية سيدة خبيرة فى الازياء!

لم يكن عجيبا اذن أن تقبل عليه السيدات . وان يلقى عندهن من الحظوة والقبول ما لا يلقاه كثير من الرجال !

وقد قالت عنه ابنة رامزى مكدونالد زعيم حزب العمال السابق ورئيس اول وزارة بريطانية للعمال .. قالت عن حسنين انه اجمل رجل قابلته فى حياتها . وقد قالت عنه الرحالة الانجليزية روزيتا فوربس انه ساحر خطر مخيف !

كان يمكنه اذن وبحكم منصبه الرفيع وبفضل الاوساط والبيئات التى يتحرك فيها .. كان يمكنه ان يختار أى عـــدد يشاء من الصداقات والصديقات من بين ما نسميهن « سيدات الطبقـــة الراقية » ولكن حسنين كان « ذواقة » وكان ذوقه شعبيا اصيلا !

كان يجد راحة ومتعة ما بعدهما راحة ومتعة فى الجلوس – فى غير كلفة – مع بنات الشعب من الراقصات والمغنيات !

وكان حديثه ممتعا حقا وهو يشرح لون الجمال او « الحلاوة » فى كل منهن ! ..

ما اجمل المطربة ل . . . مثلا ما اجملها لو لبست الملاية اللف وعقصت منديل الظرافة على جبينها فوق الحاجبين .. ودقات « شبشبها » مع رنة الخلخال !

ويحاول رحمه الله ان يقنع المطربة المذكورة بلبس الملاية اللف ومن تحتها القميص التوللى !

وهكذا . . . دخلت اسمهان ثم خرجت من حياته ولو الى حين !

ودخل معها فى نفس الوقت عدد عديد من المغنيات والراقصات .

وامسى رجال القصر والحاشية يتندرون « بغزوات » حسنين ... مع الراقصة فلانة أو المطربة علانة .

ووجد فاروق فى هذه القصص مادة يتشفى بها من امه الملكة نازلى التى جحدت ذكرى ابيه الملك احمد فؤاد .. وفرطت فى واجبات مقامها السامى بصفتها ام ملك مصر .

مضى فاروق يتشفى – ولم يدر انه يخدم مصلحة حسنين بنقل هذه الاخبار الى امه الملكة نازلى .

واخيرا فاضت كأس الصبر .. وحـزمت الملكة نازلى حقائبها وسافرت غاضبة ثائرة الى فلسطين ..

ولم يكن فى وسعها – والحرب العالمية الثانية قائمة – ان تسافر الى أوروبا .

سافرت اذن الى فلسطين واقامت فى القدس بفنـــدق الملك داود .. وكان هذا فى اواخر عام ١٩٤٢ .

وطالت غيبتها عن مصر .. وبدات الاخبار ترد على القصر وكيف ان صاحبة الجلالة الملكة نازلي ملكة مصر امضت السهرة فى رقص متواصل مع بعض الضباط الانجليز ..

وكنا ـ كما قلت ـ فى زمن الحرب .. وكانت القدس مملوءة بالضباط الشبان الانجليز !

ومرة أخرى لجأ فاروق الى حسنين وطلب منه أن ينقذ الموقف وان يسافر الى القدس ويعود ومعه الملكة نازلي ..

ولكن حسنين رفض فى هذه المرة أن يلبى نداء «مولاه» وينقذ الموقف . واعتذر من عدم السفر بأسباب شتى لم يكن من بينها السبب الصحيح ..

وكان السبب الصحيح لامتناعه عن السفر الى القدس هو خوفه من أن يقابل اسمهان فى فندق الملك داود فان اسمهان كانت قد عادت الى زوجها حسن الاطرش امير جبل الدروز وعقد قران الاثنين فى شهر اغسطس ١٩٤١ فى حفلة كبيرة اقيمت فى دمشق وشهدها الجنرال كاترو ..

وكانت اسمهان تضيق بالحياة مع زوجها .. وبالحياة فى جبل الدروز .. ومن ثم كانت تقوم برحلات عديدة فى كل شهر تقريبا الى القدس وبيروت .. وخصوصا القدس وكانت تختار الاقامة بفندق الملك داود .

وكان حسنين يعرف هذا..ومن هنا اعتذر من عدم السفر الى القدس . والا فماذا يكون الموقف او ماذا يكون موقفه وماذا يفعل اذا التقى باسمهان ..؟ هل يتجاهلها ..؟ أو يحييها كما يحب أن يحيي الصديق صديقه ؟ !

وماذا يكون موقفه اذا وجد نفسه فى احدى قاعات الفندق .. او فى قاعة الرقص مع نازلي ملكة مصر .. واسمهان اميرة جبل الدروز ؟

وكانت اسمهان اذا دار الشراب برأسها قادرة على عمل كل شيء .. جسورة جريئة لا تهاب احدا ولا تبالى بشيء .

وكان حسنين يعرف هذا. ومن هنا رفض ان يسافر لانه خاف من ان تنتهز اسمهان فرصة وجوده ووجود الملكة نازلى لكى تفتح « محضر تحقيق » مع نازلى .. تحقق فيه معها فى موضوع « محضر التحقيق » الذى كانت جلالتها اجرته بشأنها مع حسنين ؟!

وتظهر الحقيقة ويقع حسنين بين مطرقة الملكة نازلى وسندان اسمهان !

وهكذا اعتذر حسنين من عدم السفر . . ولكنه اقترح على الملك فاروق أن يعهد بهذه المهمة الى « رفعة » رئيس الوزراء مصطفى النحاس « باشا » وقال ان رفعته هو خير من يصلح للقيام بهذه المهمة لان جلالة الملكة نازلى وفدية « هكذا ! » مثل المرحوم والدها عبد الرحيم صبرى باشا الذى كان من أخلص الوفديين وأصدقهم تأييدا للزعيم سعد زغلول .. ولانها تحترم النحاس « باشا » وتكن له صداقة اكيدة .. ومن هنا لن ترفض لرفعته طلبا أو مشورة.

وفوتح مصطفى النحاس « باشا » فى الامر.. وسر « رفعته » سرورا كبيرا وقال انه يعد هذا التكليف من جانب « فاروق » شرفا وثقة يعتز بهما مدى الحياة !

وسافر السيد مصطفى النحاس ومعه السيدة حرمه الى القدس. ونجح فى مهمته واستجابت الملكة نازلى فعلا لرجائه وعادت الى مصر.

عادت ولكن على شرط ، ولا أعرف ماذا كانت نازلى قد فاتحت النحاس « باشا » فى موضوع « شرطها » هذا او لم تفاتحه.. ولكنى اعرف انها لم تكد تعود الى مصر حتى فاتحت ابنها الملك فاروق فى امر زواجها برئيس ديوانه احمد محمد حسنين.. وطلبت منه ان يصدر امره الى حسنين بأن يتزوجها ! لان حسنين ـ كما سبق ان قدمت ـ كان صارحها بانه لا يمكن ان يتزوجها خوفا من ان يطرده الملك من خدمته وهو رجل فقير .. الى آخره .

ولكن اذا امره الملك ان يتزوجها فلا خوف عليه اذن من الطرد .. وهل يطرد فاروق زوج امه ؟!

ولم يشأ فاروق أن يتقهقر أمام أمه نازلى أو يسلم لها بطلبها دون

قيد او شرط .. لانه وافق ولكن بشرط .
وهذا الشرط أن تكتفي نازلي بعقد زواج عرفي !
وهكذا كان. وتزوج احمد حسنين ابن المرحوم الشيخ محمد حسنين العالم الازهري بالملكة نازلي ارملة الملك احمد فؤاد ووالدة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ملك مصر .
وكان احد شهود عقد الزواج المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا . وكان حسنين يثق كل الثقة في حذره وكتمانه ومثله الملك فاروق .
ولقد حاولت ان اعرف اسم الشاهد او الشهود الاخرين .. وكذلك اسم المحامي الشرعي الذي عقد هذا الزواج العرفي فلم أوفق ..
وربما كان الشاهد الآخر هو المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية .. او لعله كان احد خدم فاروق المقربين ..
ربما .. وربما .. ولكني لا استطيع ان اقطع بقول

***

واختارت الملكة نازلي سراي الدقي التي ورثتها عن أبيها عبد الرحيم صبري لتكون دارا للزوجية .. تقابل فيها « عريسها » حسنين ! لان نازلي ـ ولعلها المرة الاولى ـ خجلت أو استحيت من ابنها ان تقابل زوجها في جناحها بقصر القبة او بقصر عابدين حيث كان يجتمع بها زوجها الاول الراحل .. احمد فؤاد !
ولم تمض شهور معدودات على عقد هذا الزواج حتى بدت أولى ثمراته .. يوم رشح فاروق رئيس ديوانه أحمد حسنين رئيسا للوزارة الجديدة التي كان مقدرا لهـا ان تخلف وزارة النحاس باشا في شهر ابريل عام ١٩٤٣ .
وسوف اتناول بالتفصيل هذه المرحلة من حياة احمد حسنين حين أعرض للجانب السياسي منها واكتفي الآن بعرض رءوس المسائل أو العناوين :
١ ـ قامت وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ برئاسة مصطفى النحاس «باشا»

على كره من الملك فاروق وحسنين الذي كان يعد حادث ٤ فبراير لطمة على وجهه وفشلا مخجلا لسياسته كرئيس لديوان الملك .

٢ ــ أقسم حسنين لفاروق على أن يرد له اعتباره . وان ينتقم من السفير البريطـــانى مايلز لامبسون .. ومن رئيس الوفد مصطفى النحاس .

٣ ــ قدر حسنين ان الفرصة مواتية لاقالة مصطفى النحاس ووزارته من الحكم .. فى ابريل عام ١٩٤٣ .

٤ ــ قال فاروق لحسنين باشا انه يطلق يده فى الموضوع وان يعهد اليه شخصيا بتشكيل الوزارة الجديدة التى تقوم بالحـكم بعد اقالة مصطفى النحاس باشا ووزارته .

٥ ــ اختار حسنين باشا فعلا أعضاء وزارته .. وأعد كشفا باسمائهم .

وبينما اجراءات الاقالة وتشكيل الوزارة الجديدة فى مراحلها الاخيرة .. كانت عيون الانجليز بالمرصاد !

واتصل الخبر بمايلز لامبسون .. وابرق الى لندن بالتفاصيل .. وجاء الرد فورا من لندن فى شكل انذار وهو ان الحكومة البريطانية ترى أن الحرب توشك ان تدخل فى مرحلة دقيقة حاسمة وهى غزو اوربا التى تحتلها جيوش هتلر ومن ثم فانها ــ اى لندن ــ لا تسمح باجراء أى تغيير أو تعديل فى الاوضاع القائمة فى مصر .. وتنصح ببقاء وزارة الوفد ومصطفى النحاس باشا فى الحكم !

وحمل السفير البريطانى مايلز لامبسون هذا الانذار الى الملك فاروق ..

وطويت وزارة حسنين باشا !

***

وكنت أود أن أقف بالحديث هنا عن قصة نازلى وحسنين .. وحسنين واسمهان .. وان انتقل الى الجانب السياسى من حيـاة احمد حسنين باشا .

ولكننى وقد عرضت لعلاقة حسنين بأسمهان .. ارى ان امضى فى

القصة الى نهايتها .. وكيف ان اسمهان عادت واتصلت بحسنين فى عام ١٩٤٤ .. وماكان لهذا الاتصال من اثر فى حياة زوجها المرحوم احمد سالم . وبسببه اطلق عليها الرصاص ثم حاول الانتحار .. الى آخره ..

وما كان لهذا كله من اثر فى العلاقة بين الزوجين الملكة نازلى وحسنين ..

والقال والقيل اللذان أحاطا بحسنين عقب حادثة احمد سالم واسمهان ..

ووزارة الوفد وكيف ارادت ان تستغل هذه «الفضيحة» ضد عدوها رئيس الديوان احمد حسنين ؟

وهل كان هذا كله ـ أى لحكاية حسنين واسمهان واحمد سالم ـ هل كان سببا لعدم اختيار حسنين باشا لرئاسة الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا التى أقيلت فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ ؟ ومع انه كان المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة قبل ذلك بعام أو نحو ذلك فى ابريل سنة ١٩٤٣ .

كانت اسمهان قد ضاقت بحياة الزوجية وقيودها . وضاقت بغيرة زوجها حسن الاطرش . وضاقت بالحياة المملة الرتيبة فى قصر زوجها بالسويداء عاصمة جبل الدروز .. ومن هنا راحت تلتمس أوهى الاسباب للسفر حينا الى بيروت وحينا الى القدس .. حيث الحياة مرحة طليقة لا قيود ولا رقابة زوج محب غيور !..

بل وأمكنها ان تقنع زوجها الامير حسن الاطرش بالحضور معها الى مصر مرة ومرتين . ونشرت الصحف خبر حضور سعادة الامير حسن الاطرش محافظ جبل الدروز ومعه زوجته الاميرة آمال الاطرش !

وآمال هو اسمها الحقيقى ، أما « أسمهان » فاسم مستعار لدنيا المسرح والغناء .

***

عادت اذن الى مصر .. فى صحبة زوجها وفى يدها جواز سفر

دبلوماسي اعطتها اياه سلطة الانتداب الفرنسي في سوريا بصفتها زوجة زعيم درزي كبير ومحافظ لجبل الدروز .

وكان الاستاذ زكي سعد احد مديري البنك الدولي الآن .. كان يومئذ مديرا لادارة الجوازات والجنسية.. وانا اعرف — ومما سمعته منه — شخصيا — انه لم يكن يحسن الظن كثيرا بالمطربة «سمهان» وانه كان يعارض في اقامتها بمصر. وكان يرفض تجديد الاذن لها بالاقامة. بل وحدث مرة انه استمضى رئيس الوزراء الحاكم العسكري العام — وكان يومئذ صاحب الدولة حسين سري باشا — استمضاه امرا باخراج اسمهان من الديار المصرية .

وجاءتني اسمهان يومئذ تبكي ! وزرت «صاحـــب الدولة» رئيس الوزراء في مكتبه .. وتفضل الرجل يومها واستجـاب لوساطتي والغى امر الاخراج وامر وكيل وزارة الداخلية بتجديد اذن الاقامة لاسمهان لمدة عام !

وها هي ذي اسمهان تعود الى مصر .. والاستاذ زكي سعد لا يستطيع ان يمنعها من الدخول . فقد عادت بصفتها زوجة لرجل له جاهه ونفوذه ومقامه الرسمي في قطر عربي شقيق .

وطابت لها الاقامة في مصر .. ولما عادت الى سوريا مع زوجها بعد الزيارة الاولى .. غادرت مصر وهي كارهة .

وفي الزيارة الثانية لمصر .. كانت اسمهان قد انتوت امرا وهو ان لا تعود مع زوجها الى جبل الدروز ..

وطلبت منه ان يطلقها . ورفض هو الطلاق. وهنا فعلت ماكانت تفعله في كل مرة تريد فيها الطلاق.. وهو محاولة الانتحار وتناولت عددا كبيرا من اقراص الاسبيرين وطلقها زوجها حسن الاطرش.. وتركها في القاهرة وعاد وحده الى جبل الدروز .

وغاب عن اسمهان ان زواجها كان « حصانة» لها عند سلطات الامن العـام وادارة الجـوازات .. فلما طلقت سقطت عنهـا « الحصانة » المذكورة .

ولم يتردد الاستاذ زكي سعد في ان يصدر امره بخروجها عن مصر .

وخرجت اسمهان من مصر .. وسافرت الى القدس واقامت كعادتها في فندق الملك داود .

وكانت تمضي ايامها في التنقل بين بيروت « فنـــدق ســـان جورج » وبين القدس .. ولكنها لم تجرؤ على العودة الى سوريا او جبل الدروز لانها كانت تعلم ان زوجها السابق الامير حسن الاطرش حاقد عليها وانه صاحب نفوذ وسلطان واتباع مواليـن مخلصين مطيعين طاعة عمياء .

وان رصاصة طائشة — او يقال عنها كذلك في محضر التحقيق — قد تصيب منها مقتلا

ومن هنا وزعت ايامها كما قلت بين القدس وبيروت. ولم يلبث المال الذي كان بيدها أن تبدد فقد كانت رحمها الله مسرفة كل الاسراف وجاء يوم عجزت فيه عن تسديد حساب الفندق ..

وحجزت ادارة فندق الملك داود على حقائب ثيابها واضطرت اسمهان أن تبيع الحلى القليلة التى كانت تقتنيها وان تقترض من هنا ومن هناك ..

***

وبينما هي في هذه الورطة او هذه المحنة زار القدس الاستاذ اسكندر الوهابى وكان يشغل يومئذ منصبا كبيرا بوزارة الخارجية المصرية .. واعجب باسمهان وسحره صوتها وفتنتها .

وكان طبيعيا أن ترجوه اسمهان أن يتوسط بما له من نفوذ في امر السماح لها بالعودة الى مصر. لكي تستأنف الغناء والعمل في السينما .. وعاد الاستاذ اسكندر الوهابى الى مصر وتحدث الى الاستاذ حسين سعيد خال الملكة فريدة — وكانت لا تـزال يومئذ ملكة مصر — واطنب له في وصف اسمهان وفي جمال صوتها وفي فتنتها وسحرها .. الخ .

وكان الاستاذ حسين سعيد يشغل يومئذ منصب مدير ستوديو مصر للسينما وسافر حسين سعيد الى القدس وقابل اسمهان . ووقع بدوره أسير فتنتها وسحر صوتها .

ووقع معها ـ بالنيابة عن ستوديو مصر ـ عقدا للعمل في الافلام التي تنتجها وتخرجها شركة مصر للسينما والتمثيل ونص في العقد على ان اجر اسمهان عن عملها في اول فيلم هو ثلاثة عشر الف جنيه وهو مبلغ يزيد كثيرا على الاجر الذي كانت تحصل عليه كبيرات الممثلات والمطربات في ذلك الوقت .

وعاد الاستاذ حسين سعيد الى القاهرة ليبذل مساعيه الحميدة من اجل الاذن لاسمهان بالعودة الى مصر وسمعنا يومئذ انه بذل هذه المساعي عند السيدة حرم « رفعة » رئيس الوزراء يومئذ مصطفى النحاس « باشا » .

ونترك القاهرة .. ونعود الى القدس ، حيث كانت اسمهان لا تزال مقيمة بفندق الملك داود في انتظار وصول الاذن لهـا بالعودة الى مصر .

هذا وقد سددت ديونها للفندق من العربون السخي الذي حصلت عليه بموجب نصوص عقدها مع شركة مصر للسينما والتمثيل .

وذات يوم نزل بالفندق الاستاذ احمد سالم والفنانة المعروفة تحية كاريوكا وكلاهما كان صديقا لاسمهان .

غير ان تحية لم تلبث ان غادرت القدس الى لبنان وحلب لاحياء بعض حفلات الرقص التي كانت تعاقدت عليها .

وتركت احمد سالم في القدس ينتظر عودتها . ولكنها عندما عادت من حلب وجدت ان احمد سالم قد تزوج اسمهان بعقـد زواج شرعي صحيح . .

***

ونعود الآن الى القاهرة والى ادارة الجوازات والجنسية وجدت الادارة المذكورة ان امامها طلبا قويا مؤيدا باسباب قوية مشروعة . . هذه السيدة ـ اسمهان ـ كانت تعمل في مصر وفي محطة الاذاعة كمطربة محترفة .. وافراد اسرتها .. والدتها وشقيقاها الاثنان يقيمون في مصر ..

.. وبيدها عقد اتفاق على العمل مع شركة مصر للسينمـا والتمثيل ..

ثم هي أصبحت بموجب عقد شرعي صحيح زوجة لمصرى هو احمد سالم « رحمه الله » .

وفوق هذا وذاك لا يمكن لها ان تغفل وساطة او شفاعة السيدة حرم رئيس الوزراء ..

واخيرا لا آخرا بسبب قوى آخر لعله أقوى الاسباب وقد قص على الاستاذ زكى سعد نفسه هذه التفاصيل ونحن فى قطـــار القاهرة ـ دمياط ذات يوم فى صيف عام ١٩٤٥ . قال سيادته ـ وهو كما قدمت لم يكن يحسن الظن كثيرا باسمهان ـ قال لى :

ـ كان فى امكانى الا اقيم اى وزن لعقد اسمهان مع ستوديو مصر للسينما. وان أرفض الاذن لها بالعودة الى مصر .. كذلك لم يكن لزواجها من أحمد سالم اى وزن من الجهة القانونية لان اسمهان رعية اجنبية والقانون القائم يومئذ لا يعترف بزواج المصرى من اجنبية الا بعد موافقة وزارتى العدل والداخلية ، فاذا لم يحصل الزوجان على هذه الموافقة فان زواجهما لا يمكن ان تترتب عليه اية نتائج بالنسبة لنا فى ادارة الجوازات والجنسية ..

ومضى الاستاذ زكى سعد فى حديثه وقال :

ـ كان يمكننى اذن ان ارفض الاذن لها بالدخول الى مصر ولكنى تلقيت تقريرا من قنصلية مصر بالقدس جاء فيه ان الامير حسن الاطرش اقام قناصة من الدروز على الحدود بين فلسطين وسوريا وامرهم باطلاق الرصاص على زوجته السابقة اسمهان اذا هى حاولت العودة الى سوريا. وهذا الخطر القاتل قد يكمن لها كذلك عند حدود لبنان ـ فلسطين ! ولهذا السبب راجعت نفسى وضميرى اذ لم يكن فى استطاعتى ان احكم بالنفى المؤبد على اسمهان فى القدس او بالموت اذا هى حاولت مغادرة فلسطين الى سوريا او لبنان .

راجعت نفسى وسمحت لها بدخول مصر والاقامة فيها وقد زارتنى فى مكتبى عقب وصولها الى القاهرة فحدثتها طويلا عن السبب الحقيقى الذى حملنى على السماح لها بدخول مصر ثم قلت لها « اننا نعدك ابنة لمصر لانك امضيت فيها من سنى حياتك أكثر مما أمضيت

فى وطنك .. ولا مانع عندنا مطلقا من أن تقيمى فى مصر ما شاءت او طابت لك الاقامة فيها ، ولـكن على شرط أن لا تسمع عنــك السلطات الا ما يسر » .

***

وهكذا عادت اسمهان الى مصر ..

ولقد فهمت هى من حديث الاستاذ زكى سعد معها ان السماح لها بالعودة الى مصر لم يكن بسبب عقــدها مع ستدبو مصر .. ولا بسبب زواجهــا من أحمــد سالم .. وكانت تزوجته لــكى تستطيع العودة الى مصر .

ولكن هذا الزواج لا دخل له بموضوع اقامتهــا فى مصر .. ولا يقدم ولا يؤخر كما فهمت من حديث مدير الجوازات والجنسية .

وكان لهذه الحقيقة اثر فى نفس اسمهان. اثر لم يلبث ان بدا فى سلوكها مع زوجها احمــد سالم وذلك ان اسمهان بدأت تضيق بحياة الزوجية وبقيود الزواج وبغيرة أحمــــد سالم وبسؤاله أين كانت ..؟ وأين أمضت سهرتها ..؟ ومع من ..؟ ومن الذى كان يحدثها بالتليفون ؟ ولماذا قطعت حديثها التليفونى عندما دخل ؟

وبدأ الخلاف والخصام بين الزوجين ..

وذات يوم .. ذهبت اسمهان الى مسكن تحية كاريوكا تطلب مقابلتهــا .

وكان طبيعيا أن تعجب تحية وتدهش .. ما سر هذه الزيارة وما وراءها ..؟

لقد كانت آخر مقابلة بينهما ــ بين تحية واسمهان ــ بفنــدق الملك داود بالقدس يوم عادت تحية من حلب « سوريا » ووجدت اسمهان قد اختطفت منها احمد سالم وتزوجته ..

وكان شتم وسب وخصام بين اسمهان وتحية !

وها هى اسمهان تزور تحية .. وتطلب أن تقابلها ! وتحية طيبة القلب .. ولقد رحبت باسمهان وأحسنت استقبالها .

وقالت أسمهان :

ـ عاوزة منك خدمة ..
ـ بكل سرور ..
قالت :
ـ عاوزة تطلبى أحمد سالم اليوم بالتليفون فى الساعة كذا .. وسوف أرد انا على التليفون .. وتطلبى منى ان تكلمى زوجى احمد سالم ..
وشرحت أسمهان لتحية السر والسبب ..
ووافقت تحية .. واية امرأة لا توافق فى مثل ظروفها على السخرية والهزء من رجل كان تخلى عنها من احل امرأة أخرى ..
وكانت اسمهان واحمد سالم يعيشان معا فى ذلك الوقت فى « فيللا » أستاجرتها أسمهان بشارع الهرم .

***

وفى الساعة المحددة دق جرس التليفون عند اسمهان وكان زوجها أحمد سالم موجودا معها . وتناولت هى السماعة ..
وسمعها أحمد سالم تقول : « أيوه موجود ..! ومين عاوزه ؟! وعايزاه ليه ..؟ طيب ، حاضر ، ماتزعليش ، آهو جاى يكلمك ! »
ثم التفتت الى احمد سالم وقالت بابتسامة ذات معنى او معان :
ـ تحية كاريوكا عايزة تكلمك ياسى أحمد ..!
وكانت مفاجأة للمسكين .. وقام وتناول سماعة التلفون وقد وقفت بجانبه أسمهان .. تنصت الى الحديث ..
ولم يكد أحمد سالم يقول (آلو) حتى انطلقت تحية بصوت عال مجلجل تعاتبه وتوبخه على اخلافه وعوده ومواعيده وتقول له انها لم تطلب مقابلته وانه هو الذى طلب مقابلتها والح والحف فى الرجاء حتى قبلت ، وحددت له الساعة فلماذا لم يحضر فى الميعاد المتفق عليه ، ودى مش اخلاق ، ومش آداب .. الى آخره ..
هذا والمسكين فاغر فاه ـ وقد أخذته المفاجاة ـ لا يعرف ماذا يقول ..!!
وانهت تحية حديثها وقطعت المواصلة التليفونية ، ولم تترك له

اسمهان وقتا يفيق فيه من دهشته .. بل اخذت بخناقه تهزه بعنف وتقول له :

ـ يا انا .. يا انت فى البيت ..! مش ممكن اعيش معاك .. طلقنى ..!

ومشهد عاصف .. وبكاء ودموع .. واقسام وايمان .. واسرع احمد سالم ـ رحمه الله ـ الى غرفة الحمام وتناول زجاجة ما فيها مطهر مما يستعمله النساء فى بعض امورهن وافرغ ما فى الزجاجة فى جوفه يريد الانتحار ..

وعلا الصراخ والعويل .. ودقت تليفونات .. واسرع الى « الفيللا » أصدقاء وصديقات الزوجين ..

وحضر الطبيب على عجل .. وغسلت معدة الزوج المسكين وتم الصلح بين احمد وأسمهان ..

وخرجت اسمهان من المعركة .. فى شكل « شهيدة » يخونها زوجها .. ويغازل امرأة أخرى .. ومع ذلك تصفح عنه وتغفر له وترضى بالحياة معه !

ومن حق هذه الزوجة بعد ذلك ان تقول لزوجها « حسبك » ولا تشدد معى فى الحساب اين كنت ومع من كنت ..!

ولكن أحمد سالم لم يكن ذلك الزوج .. فقد مضى يدقق فى الحساب ويحاسب زوجته عن كل كبيرة وصغيرة وعن كل ساعة لا تمضيها معه .. أين كانت .. ومع من كانت !!

واخيرا داخله الشك فى أمرها .. ولكنه لم يصارحها بشكوكه .. بل مضى يراقبها ويتبعها دون أن تعلم !

ورآها ـ دون أن تراه ـ رآها تخرج من دار حسنين باشا بميدان عبد المنعم فى الدقى ..

وذهب الى دكان بقالة قريب وطلب حسنين باشا بالتليفون فى داره .. ولما رد حسنين قال له انه لا يعرف كيف يبدأ حديثه .. فهو يحترم حسنين باشا ويقدر صفاته الممتازة .. ولكنه كزوج يغار على زوجته وله حقوق .. ثم قال :

ـ ومن حقي أن أسأل رفعتك ماذا كانت تفعل زوجتي عندك ..؟ ولماذا تزورك من غير علمي ومن غير اذن مني ..؟ بل ـ وانت جنتلمان ـ لماذا تستقبل فى دارك سيدة متزوجة من غير ان يكون زوجها معها ..؟

فاذا كنت دعوتها لزيارتك فان من حقي ان أسألك لماذا لم تدعني معها ..؟ واذا كانت هي قد زارتك من غير ان تدعوها فان المسألة تحتاج الى تحقيق فى الاسباب والظروف ..

الى آخـــره ..

واصغى حسنين الى « عتاب » أو حساب أحمد سالم فى صبر حليم . ولما تكلم كان فى صوته حزن وأسف !

حزن واسف المظلوم البرىء الذى اتهمه احمد ساله فى اغلى ما يعتز به وهو شرفه وعفته ونزاهته !

قال رحمه الله بصوت هادىء حزين :

ـ عيب يا أحمد ! دا أنت زى ابنى . ومراتك زى بنتى ، وأنا كنت فاكر انها قالت لك وانك عارف بزيارتها لى ..

ومضى حسنين يقول انه ـ مثل جميع من فى البـلد ـ يعجب بصوت آمال « اسم اسمهان الحقيقى » ويهمه حقيقة أن لا تغنى الا ما يوافق طبقات صوتها ..

ومضى حسنين باشا رحمه الله فى حـــديث فنى عن الموسيقى والاغانى والصوت وطبقاته ..

ثم قال ان آمال زارته لكى تستأنس برأيه فى أغانى فيلمهـــا الجديد القادم .. « وكان فيلم غرام وانتقام » .

وانتهت المحادثة !

وتظـاهر احمد سالم بأنه صـدق حسنين واقتنع .. ولـكنه ـ طبعا ـ لم يصدق حرفا مما قاله حسنين ..

وعاد الى داره أو دار أسمهان ليسألها لماذا زارت حسنين باشا ولماذا لم تستأذنه فى هذه الزيارة ..؟

واجابت بأن حسنين صديق قديم وانها عرفته من قبل أن تعرف

احمد سالم .. وليس فى نيتها ان تقاطع اصدقاءها القدامى من اجله .. كما انه ليس من عادتها او طبعها أن تستأذن احـــدا فى زياراتها .. وانها حرة تزور من تشاء فى أى وقت تشاء ..

ــ واذا لم يعجبــك هـــذا .. فانت حر ..! وطلقنى وأرح بالك وبالى .

وكلام كثير فى هذا المعنى .

ومرة اخرى حاول المسكين الانتحار .. واسعفوه وانقذوه .

***

وبدأ احمد سالم يسرف فى شرابه .. يحـــاول أن يخــدر اعصابه الثائرة .

وكانت اسمهان كذلك تدمن الشراب ..

وهكذا مضت الحياة بينهما في شراب وعراك ..

وذات مساء انتصف الليل ولم تعد اسمهان .. وجلس أحمــد سالم ينتظر ..

والساعة الاولى صباحا ، ولم تعد اسمهان . وتناول احمــد سالم التليفون وسأل عنها فى دار صديقة لها ــ كانت تكثر يومئذ من التردد عليها ــ وقالت الصـــديقة المذكورة أن اسمهان كانت زارتها بعد ظهر اليوم ولكنها انصرفت قبل الثامنة مساء ..

واخيرا .. وفى نحو الساعة الثالثـــة صباحا عادت أسمهان ووجدت زوجها قائما ينتظر ! وشىء ما فى عينيه اخافها وحبس الفاظ التحدى فى فمها .

سألها اين كانت ..؟ فتلعثمت واضطربت . واخيرا قالت انها كانت عند صديقتها فلانة !

وذكرت اسم الصديقة التى كان احمد سالم سألها وعرف منها أن اسمهان تركتها قبل الساعة الثامنة مساء !

قال رحمه الله وهو يصر على اسنانه :

ــ كنت عندها لدلوقت ؟

قالت : نعم ..

قال : ولكنني سألتها عنك فقالت انك انصرفت من قبل الساعة الثامنة ..؟

وسكتت اسمهان .. فقد أحست للمرة الاولى بالخوف من زوجها أحمد سالم !

وعاد يسألها :

ـ كنت فين لدلوقت ..؟ عند حسنين ..؟

ووثب واقفا .. ولكنها كانت اسرع منه الى الباب ! وكان رحمه الله قد أخرج من جيبه مسدسا .. صوبه اليها وهى تجرى وأطلق النار . ولكنه لم يصبها .. وهربت أسمهان ولجأت الى دار أحد جيرانها حيث أمضت ما بقي من الليل ..

واتصلت بالتليفون باللواء سليم زكى حكمدار بوليس القاهرة يومئذ وكانت صديقة له ولأسرته وأبلغته أن زوجها أحمد سالم اطلق عليها الرصاص يريد قتلها وطلبت منه أن يحميها .

واوفد اللواء سليم زكى رحمه الله الاميرالاى امام ابراهيم ليحاول اصلاح الامر ما بين الزوجين . وكان سليم زكى يعرف بحكم صداقة أسرته لاسمهان أو آمال الاطرش .. كان يعرف كل ما يحدث فى بيت الزوجية .

***

وذهب الاميرالاى امام ابراهيم الى « الفيللا » التى كانت أسمهان تقيم فيها هى وزوجها احمد سالم ..

وجد احمد سالم متمددا فوق فراشه .. وقد شد فوقه الغطاء .. وكانه يحاول ان يخفى تحته شيئا ما كان بيده !

وانطلق احمد سالم يسب ويشتم فى اسمهان وفى حسنين وحاول امام ابراهيم أن يهدىء من ثورته .. ثم حاول أن يقترب منه ، ولكن أحمد سالم صاح به ان يقف فى مكانه ولا يقترب واعلن ان بيده مسدسا وانه سوف يطلق الرصاص على كل من يحاول القبض عليه .!

ودارت مناقشة بين الرجلين ..

امام ابراهيم يتكلم بهدوء ولطف يحاول ان يهدىء من ثورة احمد سالم وأن يقنعه ان ليس هناك ما يخشاه .. ويحاول فى نفس الوقت ان يقترب قدما بقدم وخطوة بخطوة من الفراش الممدد فوقه أحمد سالم !

واحمد سالم يصف اسمهان باقبح النعوت ويروى ما فعلته وما تزال تفعله معه وكيف انها تخونه مع أحمد حسنين .

.. وفى لحظة ما اعتقد امام ابراهيم انه اصبح على قرب كاف من الفراش . فوثب على أحمد سالم محولا الامساك بيده التى تمسك بالمسدس ..

وانطلقت رصاصة أصابت الاميرالاى امام ابراهيم واعقبتها رصاصة أخرى دخلت فى صدر احمد سالم واستكنت فى احدى رئتيه !

وكانت الضجة الكبرى .. وخرجت الصحف تحمل العناوين بالبنط الكبير وتروى مأساة احمد سالم واسمهان .

ولكن الصحف لم تنشر شيئا من اقوال احمد سالم عن أحمد محمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك .. لأن البوليس والسلطات كتمت الامر عن الصحف ورجال الصحافة .

***

ونقل الجريح احمد سالم تحت الحراسة ـ او مقبوضا عليه ـ الى مستشفى قصر العينى ، وقد بقي أياما طويلة فى خطر الموت .

.. وقد وجهت اليه تهمة الشروع فى قتل زوجته اسمهان .

وتهمة مقاومة واطلاق الرصاص على الاميرالاى امام ابراهيم أثناء القيام بواجبه .

***

قلت ان الصحف لم تنشر شيئا من أقوال أحمد سالم عن أحمد باشا حسنين لأن البوليس كتم الامر عن الصحف .. ولأن النيابة لم تستطع استجواب أحمد سالم بسبب خطورة حالته .

ولكن الحكومة ـ حكومة الوفد او وزارة ٤ فبراير ـ سمعت طبعا

بكافة التفاصيل وكذلك سمع بها القصر وجميع من فى القصر .

وعرفت نازلى ان زوجها أحمد حسنين قد « عاد » الى اسمهان .. او أن اسمهان قد عادت الى حسنين !

اما الوفديون فقد سروا سرورا كبيرا وحمدوا الله الذى مكن لهم من عدوهم رئيس الديوان احمد حسنين ..

واعود هنا بالقارىء الى الوراء .

سبق ان قلت ان حسنين باشا كان أقسم بعد حادث ٤ فبراير الذى اعده لطمة على وجهه .. أقسم على أن ينتقم للقصر ولنفسه من سفير بريطانيا مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس .

... وانه اعتقد فى شهر ابريل ١٩٤٣ ان الفرصـــة مواتيــة للانتقام ولاقالة الوزارة..ورد اللطمة للسفير ولمصطفى النحاس.

ولكن لندن ارسلت انذارا الى القصر تقول فيه انها لا تسمح فى الظروف الحاضرة بتغيير الوزارة أو اجراء أى تعديل فى الاوضاع .

وعرف الوفديون يومئذ ان انقلابا أو اقالة كانت توشك أن تقع .. وان وراءها حسنين باشا رئيس الديوان !

واضمروا الشر للرجل .

واصبح العداء سافرا بين حكومة الوفد ورئيس الديوان وذات يوم ـ وقبل حادث احمد سالم واسمهان بشهور قليلة ـ ذات يوم تقدم نائب وفدى الى « معالى » وزير المعارف بسؤال عن المدارس الصناعية التابعة لوزارته وعن نشاط « ورشها » فى صناعة الاثاث والرياش ، وهل لهذه المدارس ديون عند بعض كبار الموظفين ..؟

ووقف وزير المعارف يجيب على السؤال ويقول ان الموظف الكبير الوحيد المدين لاحدى المدارس الصناعية هو صاحب المقام الرفيع احمد حسنين باشا رئيس الديوان وان رفعته كان اوصى احدى المدارس الصناعية على صنع طقم كذا وعدد موائد ومقاعد كيت.

وان المدرسة الصناعية المذكورة انجزت الطلب وأرسلت الاثاث المطلوب الى حسنين باشا ... وبعثت معه بالفاتورة وقدرها كذا جنيها وكذا مليمات .

ولـكن حسنين لم يدفع وان المدرسة طالبته مرة ومرتين ... فلم يدفع ..

واخيرا حولت المدرسة الاوراق الى وزارة المعارف ومضى وزير المعارف يقول ان الوزارة قد بح صوتها من مطالبة حسنين باشا بسداد الدين .. ولكنه لم يدفع !

وكانت فرصـــة ..! ووقف اكثر من نائب وفدى ليخرج لسانه لرئيس الديوان ويسخر منه ويشمت به ويطالب الحـكومة بأن تكون حازمة وان تفعل كذا وكذا مع هذا المدين المماطل الذى اسمه احمد محمد حسنين !

ووقف النائب الاستاذ فكـــرى اباظة يدافع عن حسنين باشا ويقول للنواب الوفديين ـ وكان صديقنا يومئذ كما كان دائما من نواب المعارضة ـ وقف يقول لهم ما معناه أن هـــذا الدين ينهض دليلا على شرف ونزاهة وامانة احمد محمد حسنين..! وان هذا الرجل الذى يشغل هذا المنصب الكبير الخطير فى القصر والذى كان يمكنه أن يستغل منصبه كما فعل آخرون غيره ـ ليجمـــع ثروة طائلة .. هذا الرجل عاجز عن سداد دين لا يزيد عن مائة أو مائتين من الجنيهات ..

... عاجز عن سداد الدين لانه رجل فقـــير وشريف ونزيه وأمين ..

وهاج النواب الوفديون ضد صديقنا فكرى اباظة .. وعاد هو يقول ان حملتهم هذه ضد رئيس الديوان هى صغار فى صغار ..!

واشتد هياجهم وصاح بعضهم ان فكرى اباظة يشتم المجلس ..

واستمر فكرى اباظة فى الـكلام .

واخيرا طلب منه رئيس المجلس ان يكف عن الكلام وان يجلس.

ولكن فكرى أباظة مضى فى كلامه ولم يجلس ..

هذا وثورة النواب تزداد وهياجهم يزداد وفكرى اباظة ماض فى الكلام والدفاع عن رئيس الديوان واخيرا امره رئيس المجلس بأن يخرج ويغادر قاعة المجلس ورفض فكرى أباظة أن يخرج .

ودقت الاجراس .. واسرع حرس المجلس .. وامرهم الرئيس باخراج النائب المحترم فكرى اباظه من قاعه الجلسه .

وحمل الحراس صديقنا فكرى اباظه ... وخرجوا به وهو يصيح بأعلى صوته مخاطبا نواب الوفد .. (يا مساكين .. انكم تلعبون بالنار .. انكم تلعبون بالنار !)

***

وبعد ساعة واحدة من هذا الحادث فى جلسة مجلس النواب ذهب سير والتر سمارت الموظف الكبير يومئذبالسفارةالبريطانية وقابل رئيس الوزارة مصطفى النحاس وقال لهمامعناه ان الحكومة البريطانية التى تؤيد بقاء وزارة رفعته ضد رغبات القصر تعد نفسها والحالة هذه مسئولة عن تصرفات الوزارة .. وانها لا تقر تصرفات نوابه فى جلسة اليوم وتنظر الى هذهالحملة ضد رئيس الديوان بعدم الارتياح ... وترجو من رفعة رئيس الوزارة أن يعمل شيئا يزيل به الاثر السيء الذى خلفته هذه الحملة الظالمة فى النفوس .

واقترح جنابه ان يحذف من مضبطة الجلسة كل ما دار وكل ما قيل حول هذا السؤال وحول حسنين باشا .

ووافق السيد مصطفى النحاس ..

و فىاليوم التالى اجتمع مجلس النواب .. ووقف النائب فكرى اباظة وبيده مضبطة الجلسة السابقة ، وقال ان فى المضبطة نقصا يريد أن ينبه اليه !

وسأله رئيس المجلس عن النقص المذكور فقال :

ــ لم أجد شيئا فى مضبطة الجلسة عن حادث طردى من المجلس ..؟!

وصاح النواب المحترمون :

ــ ما حصلش ..

وسألهم فكرى أباظة :

ــ الم تطردونى من الجلسة .

ـ ابدا ... ما حصلش ..!
ـ والكلام اللى قلتوه عن حسنين باشا ..؟
ـ ما حصلش ...
ـ والكلام اللى قلته انا ؟
ـ ما حصلش ...

وفهم فكرى أباظة .. وسأل قبل ان يجلس :

ـ يعنى ما حصلش سؤال .. وما حصلش جواب من وزير المعارف .. وما حصلش حاجة ابدا ..؟

وصاحوا جميعا :

ـ برافوا عليك . ادنت فهمت ..! ما حصلش ..!

وهكذا انتهت هذه المهزلة .. ولكنها خلفت وراءها فى نفوس الوفديين حقدا جديدا ـ ان جاز هذا التعبير ـ ضد رئيس الديوان حسنين باشا لان حذف كل ما دار حوله فى الجلسة السابقة قد فوت على الوفديين غرضهم فى النشر والتشهير به .

ومن هنا كان سرورهم كبيرا بحادث احمد سالم وباسمهان .. وبالدور الذى لعبه عدوهم حسنين باشا فى الحادث المذكور .

وارسلوا احدهم الى احمد سالم فى مستشفى قصر العينى يعرض عليه أن يوكل عنه احد كبار المحامين الوفديين ..

وكان غرض الوفديين هو أن يقف المحامى الوفدى الوكيل عن احمد سالم .. يقف فى محكمة الجنايات ويروى علنا وعلى رءوس الاشهاد قصة حسنين واسمهان .. وكيف أن احمد سالم هو الضحية المسكينة لرئيس الديوان الى آخره .. الى آخره .

وما من شك فى انها كانت تكون الضربة القاضية على احمد حسنين ..!

ولكن القدر شاء غير ما دبر الوفديون .. ذلك انه لم تمر أيام على الحادث المذكور حتى سافرت اسمهان بسيارتها الى رأس البر .. وانقلبت بها السيارة فى الترعة .. وغرقت ولاقت منيتها قبل الاوان .

وكان هذا فى شهر يوليه .

وفى شهر اكتوبر ـ وقبل أن تعرض قضية احمد سالم على محكمة الجنايات أقيلت وزارة الوفد . وهكذا نجا أحمد حسنين من أكبر فضيحة كان يمكن أن تهدد مستقبله ، ولكنه لم ينج من أثرها ، وكان من آثارها انه بعد أن كان فى شهر ابريل سنة ١٩٤٣ المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة التى تخلف وزارة الوفد .. عدل عن اختياره الى اختيار المرحوم الدكتور احمد ماهر .

***

وكانت ثورة الغضب فى صدر أحمد سالم قد ماتت بموت اسمهان .. ومن هنا لم يقل شيئا عن حسنين باشا عندما نظرت قضيته امام محكمة الجنايات .

الــكتاب الثــانى

أحمد محمد حسنين

فى الحيــاة العـامة

علی ماهــر

والاعتداء على الدستور والحياة النيابية

المذكرات التى ادونها هنا عن أحمد حسنين باشا لم اسمعها منه فى جلسة واحدة أو فى جلستين بل فى عدة جلسات تمت بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ .

والذى لاحظته ـ وأسجله هنا ـ أن حسنين كان حريصا أو محترسا الى حد ما فى حديثه عن على ماهر أيام كان هذا رئيسا للديوان ثم رئيسا للوزارة . ولم يتحدث حسنين معى بصراحة ويفرغ ما فى صدره أو معظم ما فى صدره عن على ماهر الا بعد خروج على ماهر من رياسة الوزارة .

كذلك ربما كان لموقف المعارضة الشديدة الذى وقفته دائما من على ماهر أثر فى اطمئنان حسنين الى وهو يتحدث عن صاحب المقام الرفيع .

***

١ ـ قال لى حسنين بصراحة انه هو المسئول الى حد كبير عن تعيين على ماهر رئيسا لديوان الملك وانه قال لفاروق ذات يوم « أظن يا مولانا انه قد حان الوقت لكى نعين على ماهر رئيسا للديوان » .

٢ ـ وان على ماهر أخطأ فى اقالة الوزارة النحاسية الوفدية فى ديسمبر ١٩٣٧ لانه كان من رايه ـ رأى حسنين ـ ان يبقى النحاس فى الحكم أطول مدة ممكنة حتى « تبان » سيئات حكمه وحكم الوفديين أمام الشعب بشكل قاطع حاسم .

٣ ـ وان الملك فاروق كان يثق فى أول الامر فى على ماهر وكان لعلى ماهر عند فاروق نفس النفوذ الذى كان يتمتع به مكرم عند النحاس . ولكن على ماهر بدأ يدس لمحمد محمود رئيس الوزراء بعد اسبوعين اثنين من أيام وزارته . .

٤ — وان على ماهر كان دائما يدس لخصومه على أساس ان هذا ذو ميول انجليزية وان ذاك ليس كذلك .. فبعد ثلاثة أسابيع بدأ على ماهر يصب فى الأذن فاروق كلاما عن محمد محمود وكيف انه ذو ميول انجليزية .. وهكذا نجح فى اضعاف ثقة فاروق فى محمد محمود .

٥ — وان على ماهر عندما تولى منصب رئيس الديوان كان له نفوذ كبير عند فاروق الى درجة ان فاروق كان يخافه ويعمل له حسابا . بل كان اذا تأخر دقائق عن موعد ما مع على ماهر أقبل يعتذر لعلى ماهر عن تأخره عن الميعاد .

ويقول احمد حسنين ان على ماهر نجح كرئيس للديوان فى أول الامر نجاحا كبيرا .. « ويومئذ حمدت الله ».. هكذا يقول حسنين .. فقد وفيت الدين الذى وضعه الملك فؤاد فى عنقى واديت امانتى وهاأنذا قد نجحت فى تعيين رئيس ديوان يعرف واجبه .

٦ — يعتقد حسنين ان على ماهر كان افضل رئيس ديوان وانه لولا مطامعه وشهرته فى تولى رياسة الوزارة لكان خيرا له ولفاروق وللبلد لو بقى رئيسا للديوان .

٧ — بعد أقل من شهر واحد من تولية محمد محمود رياسة الوزارة — بعد اقالة وزارة النحاس — بدأ على ماهر يدس له عند فاروق ويضع العراقيل فى طريق الوزارة .

وعندما وضح الهدف الذى يسعى اليه على ماهر وهو اسقاط محمد محمود لكى يتولى هو رياسة الوزارة . وادرك فاروق ما هنالك هبطت قيمة على ماهر فى نظره الى حد ما ... بعد أن

عرف ان على ماهر له مطامع شخصية وشهوات واغراض مثل غيره من زعماء مصر . .

ومن هنا فقد على ماهر كثيرا من نفوذه عند فاروق . وبعد أن كان فاروق يعتمد على . . على ماهر . . امسى على ماهر هو الذى يعتمد على تأييد فاروق .

٨ ــ كان على ماهر هو الذى أشار باقالة وزارة النحاس فى شهر ديسمبر ١٩٣٧ وباسناد رئاسة الوزارة الى محمد محمود . ومع ذلك فقد سعى ــ بعد شهور قليلة ــ الى مقابلة النحاس سرا وفى ظلام الليل على كورنيش رمل الاسكندرية لكى يتآمر معه على اسقاط وزارة محمد محمود . ولما عرف فاروق بخبر هذه المقابلة مط شفتيه . . وتوالى هبوط أسهم على ماهر .

٩ ــ كان على ماهر وهو رئيس للوزارة يقول لفاروق « جاءنى السير مايلز لمبسون اليوم وطلب منى كذا ولكننى رفضت وقلت له مش ممكن . . » . . ثم يعود بعد يومين ويقول لفاروق : « جاءنى السفير اليوم وطلب منى كيت وكيت . . واظن يا مولانا نقدر نساوم ونعطيه ما كان طلبه منذ يومين فى مقابل أن يتنازل عن طلباته الاخيرة » .

وهكذا أدركنا فى القصر ان على ماهر كان يلبى طلبات الانجليز بينما هو يتظاهر بأنه صامد امامهم كالطود الشامخ . .

١٠ ــ لما توفى حسن صبرى باشا كان على ماهر هو السياسى الوحيد الذى أستشاره فاروق يومئذ فى الموقف . ولم يعرف أحد بهذا الخبر او بمقابلة على ماهر لفاروق لان المقابلة لم تنشر فى بلاغ ديوان كبير الامناء .

ولقد خرج على ماهر يومئذ من مقابلة فاروق وقال لخاصته « الوزارة فى جيبى » ويظهر انه كان رشح لرئاسة الوزارة صديقه محمد محمود خليل الذى اشاع الخبر بين أصدقائه وتلقى منهم التهـــانى .

١١ ــ ولكن حسنين رشح لرئاسة الوزارة حسين سرى. وكانت مفاجاة غير سارة لعلى ماهر .

هذه هى المذكرات التى وجدتها مدونة فى كراسة . ولعل القراء قد لاحظوا انها مدونة بأسلوب اشبه ما يكون بالاختزال.. بل هى تكاد تكون رءوس موضـوعات .. كل رأس منهـا يصلح موضوعا لحديث مستفيض .

ولكننى اكتب هنا قصة احمد محمد حسنين لا قصةعلىماهر او مصطفى النحاس او محمد محمود . ومن هنا لن أعرض لاحد من هؤلاء الا بالقدر الذى يقتضيه الحديث عن المرحوم احمد حسنين.

وابدأ برئاسة الديوان ..

***

قلت فى الفصول السابقة ان المرحـوم احمد حسنين كان ذا مطامع واسعة . وكان يسعى لأن يكون الرجل الأول فى الدولة بعد الملك .. وكان البرنامج الذى وضعه ذا خطوات ..

الخطوة الاولى رئاسة ديوان الملك .

الخطوة الثانية رئاسة الوزارة .

وبين الخطوتين .. خطوة لا بد منها للتثبيت والتأمين ..ودعم المركز .. وهى الزواج من نازلى ام الملك ..

ولكن بعض أصدقاء حسنين ينكر على قولى انه كان ذا مطامع ، وانه كان يريد رئاسة الوزارة ، ويحاول ان يدفع عن حسنين هذه « التهمة » كانما الطموح نقيصة او سبة يجب أن تدفع وتفند .

وقد يجد هذا البعض من اصدقاء حسنين فى صدر هذا الفصل ما يؤيد قوله ، فيسألنى لماذا أشار حسنين على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .. ولم يطلب المنصب لنفسه اذا كان ـ كما نقول ـ طموحا طامعا فى المناصب ..؟

والجواب ان حسنين كان يعرف يومئذ ـ فى أواخر عام ١٩٣٧ ـ ان الوقت لم يحن بعد لتوليه المنصب المذكور .. وان فاروق يحب على ماهر ويثق فيه الى حد كبير باعتباره « رجل أبيه » الملك أحمد فؤاد وموضع ثقته .. وان فاروق يريد أن يعين على ماهر رئيسا للديوان لكى يقف بجانبه كما وقف الى جانب أبيه أحمد فؤاد .

وكانت الخصومة واسباب الخلاف قد ظهرت وتعددت بين فاروق وحكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس .. وكانت رئاسة الديوان فى حاجة يومئذ الى رجل قوى أو « أزرق النـــاب » فى السياسية ومناوراتها لكى يستطيع الوقوف فى وجه الاغلبيـــه الوفدية الكبيرة .. ولم تكن لفاروق ثقة كبيرة يومئذ فى كفـــاءة حسنين كسياسى ومناوْر ازرق الناب .

كذلك لم يكن من مصلحة أحمد حسنين ان يصطدم يومئذ بالوفد وحكومة الوفد ومصطفى النحاس وهو الاصطدام الذى كان لا بد من وقوعه بين الوفد وبين الذى يتولى رئاسة الديوان .

وامر آخر يعرفه كل الذين عرفوا احمد حسنين ودرسوا اخلاقه .. وهو إنه كان يريد الشيء .. ولكنه ينكر أنه يريده أو يشتهيه .. وكان يتطلع الى المنصب ولكنه يزعم انه زاهد فيه لا يريده ..

كانت سياسته ـ اذا اراد او اشتهى امرا ما ـ ان يناور ويداور ويحاول أن يحمل أصحاب الشأن على أن يعرضوا عليه الامر أو الشيء الذى يريده ويشتهيه .. تماما كما فعل فى أمر زواجه من الملكة نازلى

أما أن يطلب الشيء صراحة .. فلا .. لم يكن هـذا من خلق او سياسة حسنين .. وفى ضوء هذه الحقائق وهـذه الاخلاق وهذه السياسة نفهم لماذا تطوع حسنين وأشار على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان ..

لأن فاروق كان يحب ويثق الى حد كبير فى على ماهر .. ولأن على ماهـر كان الوارث الطبيعى للمنصب المذكور .. ثم سبب آخر وهو اهمها جميعا .. كان حسنين يعرف على ماهـر .. ويعرف عنه ما لا يعرفه فاروق .. وكانت الوسيلة الوحيدة لأن « ينكشف » على ماهر أو « يكشف عن حقيقة نفسه » هى تعيينه فى منصب رئيس الديوان بالقرب من فاروق ..

أو بعبارة أخرى كان تعيين على ماهر فى رئاسة الديوان هـو الخطوة الأولى للقضاء على نفوذ على ماهر عند فاروق .

وقد صح ما توقعه حسنين .. ونجحت سياسته « رانكشف » على ماهر أمام فاروق .. وهبطت أسهمه .. هبطت أثناء توليه رئاسة الديوان .. وتوالى هبوطها بعد توليه رئاسة الوزارة ..

ثم لم يمض عام ١٩٤١ حتى كان على ماهر قـد فقـد نفوذه القديم عند فاروق ..

واعود الآن الى بداية الحديث عن رئاسة الديوان .

قلت فى فصل سابق ان الدكتور عباس الكفراوى طبيب فاروق فاتحنى ذات يوم وكنا فى قصر كنرى هاوس بالقرب من لندن ـ فى أمر منصب رئيس الديوان الشاغر واقترح على أن أفاتح حكومة الوفد فى أمر تعيين الاستاذ نجيب الهلالى فى المنصب المذكور .

وأعتقد أن عباس الكفراوى لم يرشح نجيب الهلالى لرئاسة الديوان الا بعلم واذن فاروق . ولكن حكومة الوفد لم توافق على هذا الترشيح لأن الاستاذ نجيب الهلالى لم يكن يومئذ وفديا صميما بل كان لا يزال حديث العهد بالوفدية ..

ولأنه كان خصما للاستاذ محمود فهمى النقراشى الذى كان له نفوذه ولم يكن قد خرج أو أخرج بعد من الوفد .

وثالثا واخيرا لأن حكومة الوفد كانت ترغب فى تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل المحامى المعروف رئيسا للديوان . وكان الاستاذ الطويل قد تولى من قبل منصب الوكيل البرلمانى لشئون القصر .

***

وكان حسنين ـ اذا عرضنا قبل عودتنا الى مصر لحديث المنصب الشاغر واسماء المرشحين لرئاسة الديوان ـ كما يقول : « يا ريتنى كنت أنفع . لكن يا خسارة ما انفعش أبدا لأنى يا محمد زى ما أنت عارف ما افهمش حاجة فى السياسة . وده منصب سياسى عاوز واحد يفهم فى السياسة » .

وكان يكررها لعل وعسى أن اقاطعه وأقول .. « بل انت تنفع .. او أنت خير من يصلح رئيسا للديوان » ..؟

وعدنا الى مصر فى اواخر شهر يولية ١٩٣٧ وواجهت حكومة الوفد فى أول شهر من تولية فاروق سلطاته الدستورية عدة

مسائل أو مشاكل منها حكاية المرحوم يوسف الجندى ويمين الولاء التى يقسمها الجيش وهل تكون للملك وحده أو للملك والدستور .. وحكاية التاج التى أشرت اليها فى فصل سابق .. ثم منصب رئيس الديوان ..

وقد رشحت حكومة الوفد على التوالي للمنصب المذكور الاستاذ عبد الفتاح الطويل . الاستاذ نجيب الهلالى . الدكتور حافظ عفيفى . الاستاذ محمد أمين يوسف .

ورفض فاروق هذه الاسماء ورشح من جانبه على ماهر . ورفضت حكومة الوفد هذا الترشيح .

***

قالت نازلى ملكة مصر السابقة ذات يوم عقب وفاة زوجها الملك احمد فؤاد .. قالت لشقيقها حسين صبرى باشا ..

ـ ان فاروق طفل .. وعنيد وأنا أخاف عليه من هذا « الطقم » القديم الموجود فى السراى ! (طقم) سعيد ذو الفقار وشوقى وعبد الوهاب طلعت وغيرهم .. وأخشى ان يملأوا راسه بالكلام الفارغ ضد الوفديين أو يوغروا صدره ضد مصطفى النحاس ، كما كانوا يفعلون مع « المرحوم أبيه » .. وهذه تكون مصيبة لأن فاروق اذا اصطدم بالوفد فسوف ياكله مصطفى النحاس .. وانا أعلم ان لك اصدقاء بين كبار الوفديين واطلب منك أن تذهب وتقول لهم بلسانى ونيابة عنى أن نازلى تقول لكم « فاروق ابنكم فخذوه وربوه وعلموه . وانها تضعه أمانة فى أيديكم . ولكنها تنصحكم فى نفس الوقت أن تبعدوا عنه بل وعن السراى كل هذا « الطقم » القديم »

وهكذا قدرت الملكة الأم أن تنقذ ابنها الفلام وتنقذ عرشه اذا هى أسلمته أمانة الى الوفديين الاقوياء أصحاب الحكم والاغلبية « يربونه ويعلمونه » ، ويبعدون عنه رجال « الطقم » القديم .

أو بعبارة اخرى لقد أرادت نازلى أن تلجأ الى شهامة الوفديين .

وكان رجال الطقم القديم ـ كما اسمتهم ـ هم سعيد ذو الفقار كبير الامناء .. وشوقى باشا السكرتير الخاص . وعبد الوهاب طلعت باشا مدير الادارة العربية .

وذهب حسين صبرى باشا الى صديقه السيد عبد الحميد البنان وابلغه رسالة شقيقته الملكة السابقة ونقل عبد الحميد البنان الرسالة الى احمد ماهر ومصطفى النحاس ..

ولكن الوفد أو حكومة الوفد لم تعمل بمشورة نازلى فلم تطلب اقصاء أو طرد اى موظف كبير من موظفى القصر .. بل أبقوا القديم على حاله ولو انهم كانوا عملوا بنصيحة نازلى وتقدموا الى مجلس الوصاية طالبين فصل او نقل فلان وفلان وفلان من كبار موظفى السراى لأجابهم مجلس الوصاية الى طلبهم .. خصوصا ان رئيس المجلس المذكور الامير محمد على توفيق كان يكره جميع كبار موظفى السراى بالجملة وبالقطاعى .

وشريف صبرى عضو المجلس هو شقيق الملكة السابقة نازلى . وكان طبيعيا ان ينفذ مشورة شقيقته ..

والعضو الثالث عبد العزيز عزت باشا كان رجلا مسالما ويميل ـ اذا مال ـ الى جانب الوفديين .

ولكن حكومة النحاس الوفدية اهملت أو لعلها استهانت بالامر كله ولم تر داعيا أو ضرورة لعمل أى شىء .

وكان الوفديون يعتقدون يومئذ ان الجو قد صفا لهم . وانهم باقون فى الحكم الى ما شاء الله .. فخصمهم القوى العنيد الملك أحمد فؤاد قد مات .. وأسباب الخصام والصـدام بينهم وبين الانجليز الذين كانوا اصحاب الكلمة الأولى فى شئون مصر وحكم مصر .. هذه الاسباب قد زالت بعد عقد معاهدة عام ١٩٣٦ .. وعلى العرش غلام صغير أو « ولد » ـ كما كانوا يصفون فاروق فى مجالسهم الخاصة ـ ولد صغير لا يجرؤ على الوقوف أمامهم .. وهم اصحاب الاغلبية الساحقة فى مجلسى البرلمان .

صفا لهم الجو اذن وطاب .. فما الحاجة اذن وما الضرورة لاجراء عملية قاسية مثل فصل أو طرد عدد من كبار موظفى السراى .

وهكذا بقى «الطقم» القديم . وتولى فاروق سلطاته الدستورية وليس فى القصر كله مسئول واحد او موظف كبير واحـد يحب الوفديين أو يرضى أن يقول فيهم كلمة واحدة طيبة .. حتى ولو كانت كلمة يفرضها العدل والانصاف ، لأنهم جميعا كانوا من رجال الملك أحمد فؤاد ، الطاغية المستبد الذى لم يكن يؤمن بشىء اسمه الشعب أو حقوق الشعب أو الدستور أو الحياة النيابية ، وكان « رجاله » هؤلاء من نفس راى « مولاهم » أحمد فؤاد .

واقترحت حكومة الوفد أول ما اقترحت تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل رئيسا لديوان جلالة الملك . وقالت فى تأييد أو فى تزكية هذا الاقتراح ان الاستاذ الطويل سبق له ان تولى منصب الوكيل البرلمانى لوزارة شئون القصر .. وانه والحالة هذه على علم وخبرة بهذه الشئون وانه على علاقات طيبة مع جميع موظفى القصر .. الذين يذكرونه ويذكرون العمل معه بالحمد والثناء .

وهنا قال كبار موظفى القصر نعوذ بالله من عبد الفتاح الطويل والعمل مع عبد الفتاح الطويل .

لقد كان كذا وكذا .. ولقد قاسينا من العمل معه كيت وكيت .. ثم .. ما معنى أن يكون رئيس الديوان وفـديا من صميم الوفديين ..

وكان هذا هو اعتراض فاروق .. فقد قال : ان رئيس الديوان بطبيعة عمله ومنصبه هو حلقة الاتصال بين الملك أى رئيس الدولة وبين الوزارة .. وهو الحكم والميزان .. وهو مطالب بتسوية اى مشكلة أو خلاف فى الراى قد يقوم بين القصر والوزراء ؛ ومن هنا يجب أن يكون رجلا مستقل الراى محايدا لا يميل مع الهوى .. لا رجل حزب قد اقسم يمين الولاء والطاعة لرئيس حزبه مصطفى النحاس .. والا فكيف يمكن لرجل حزبى مثل عبد الفتـاح الطويل اذا اختلف القصر مع الوزارة فى امر من الأمور .. كيف يمكن له أن يتحرر من هواه الحزبى وأن لا يميل بكفة الميزان ..؟ غير معقول . ثم قال فاروق :

ــ أنا أريد أن يكون الى جانبى رئيس ديوان يقول دائما كلمـه الحق .. ويسوى المشاكل ويصون حقوقى .. لا رجـل وفدى سوف يكون همه أن يأخذ منى لكى يعطى حكومة حزبه .. واذا وقعت فى خلاف مع النحاس وجدت أننى قد وقعت فى خلاف مع النحاس وعبد الفتاح الطويل .. وتصبح المشكلة مشكلة مع رئيس الحكومة ومع رئيس الديوان .

وطبعا لم يكن هـذا الرد المنطقى القوى من تفكير فاروق الذى كانت سنه يومئذ ثمانية عشر عاما هلالية .. أو سبعة عشر عاما

ميلادية .. والذى كان نصف أمى لم ينل من العلم الا قشورا بل اقل من القشور .. والواقع انه كان الرد الذى لقنه اياه السيد عبد الوهاب طلعت ..

وكان عبد الوهاب طلعت لا يزال يومئذ الصديق المخلص للسيد على ماهر ، وكان يقوم بدور همزة الوصل أو « ضابط الاتصال » بين على ماهر وفاروق .. ينقـــل الى على ماهر أولا بأول كل ما يدور بين القصر والوزارة .. ويعود بآراء على ماهر وفتاواه فى المشاكل وبما ينبغى أن يقوله فاروق لرئيس الحكومة ..

وعدل مصطفى النحاس عن ترشيح الاســـتاذ عبـــد الفتاح الطويل . وعرض بدلا منه اسم دكتور حافظ عفيفى سفير مصر يومئذ فى لندن وهو يقول :

ـ لقد أعترضتم على تعيين رجل وفدى فى منصب رئيس الديوان .. وهاهو حافظ عفيفى .. رجل مستقل كان موضع ثقة المرحوم الملك أحمد فؤاد .. ولم يكن وفديا فى يوم من الايام .. بل لقــد كان فى وقت ما حرا دستوريا ومن الد خصوم الوفد والوفديين .

وجاء الرد من القصر :

ـ كله الا كده .. كله الا حافظ عفيفى .. انه رجـــــل متهم بالعيب فى الذات الملكية ..

وكيف ذلك ..؟

كان فاروق قد زار انجلترا صيف عام ١٩٣٧ قبل عودته الى مصر . وكان الدكتور حافظ عفيفى قد « تشرف » بالمقابلة بصفته سفير مصر هناك ..

وجاء « ابن الحلال » الذى قال لفاروق ان حافظ عفيفى خرج بعـد المقابلة يقول : « ده لسـه عيل صغير وبكره الوفديين يحطوه فى جيبهم » وهذه هى تهمة العيب فى الذات الملكية التى تمنع من تعيين حافظ عفيفى فى منصب رئيس الديوان .

وكيف تطلبون تعيين حافظ عفيفى رئيسا لديوان الملك وهـو الذى قال عن الملك انه « لسه عيل ..؟ »

وأثناء هذه المفاوضات والمناقشات حول رئيس الديوان ومن يرشح له .. كان الخلاف قد بدأ بين الاستاذ مكرم عبيد وعثمان محرم من جانب والنقراشى ومحمود غالب من الجانب الآخر .

وتطور الخلاف واشتد ، وقرر النحاس أو مكرم عبيد أو كلاهما معا أن التعاون مع النقراشى وزميله محمودغالب داخل هيئةالوزارة أصبح أمرا مستحيلا ، وانتهى الأمر بخروج الاثنين من الوزارة .

ورأى الوفد ــ أو النحاس ومكرم عبيد ــ ان من الصـــواب استرضاء النقراشى الذى كان معدودا يومئذ من كبار إقطابالوفد وله نفوذه وله انصاره وخصوصا بين شباب الوفد وأعضاء الهيئة الوفدية .. رأوا أن يسترضوه فعرضوا عليه منصب منـــدوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس ، وكان المنصب شاغرا يومئذ .. ولمن يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافأة سنوية قدرها خمسة آلاف جنيه .

وتم العرض فى « بيت الأمة » وفى مكتب سعد زغلول . وكان الوفد لا يزال يجتمع ويعقد اجتماعاته فى بيت سعد ، وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يستقبل زائريه فى مكتب سعد زغلول .

وفى هذا المكتب استقبل النحاس « زميله » النقراشي وعرض عليه المنصب المذكور وابدى النقراشي شكره وقد بدأ عليه التأثر الشديد وقام وعانق مصطفى النحاس . واعتقـــد الجميع أن المسألة قد سويت .. وان السحابة انقشعت وان خروج النقراشي من الوزارة لن يؤثر على علاقاته مع زملائه أعضاء الوفد .. أو على مركزه فى هيئة الوفد .

ولكن جريدة « البلاغ » لم تسكت بل انتهزت هذه الفرصـــة وخرجت بمقال لصاحبها الصحفى الكبير تعاتب فيه ـ أو تعيب فيه ـ على النقراشي قبوله للمنصب ذى الخمسة آلاف جنيه .

وجريدة البلاغ كانت معدودة يومئذ لسان حال القصر ، وكان صاحبها المرحوم الاستاذ عبد القادر حمزة قد بدأ يشن هجومه العنيف على الوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد ..

وقالت الجريدة فى مقالها المذكور انها لا تصدق هذا الخبر بل وترفض ان تصدق أن رجلا مشهودا له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس مثل محمود فهمى النقراشي يرضى أن يساوم على مبـــادئه وعلى نزاهته .. فيتراجع عن خطوة خطاها .. الى آخره .

وكلاما كثيرا فى هذه المعانى . وكان للمقال أثره المقصود .. وأعلن النقراشي ــ رحمه الله ــ انه لم يقبل المنصب المعروض وانه ماض فى سياسته وفى معارضـــة مشروعات عثمـــان محـــرم وزير الاشغال .

وتكهرب الجو من جديد .. وعاد الخلاف الى ما كان عليه .. وبدأ أن فصل محمود النقراشي من عضـــوية الوفد المصرى أمر لا بد منه .. وهنا ارتفعت أسهم الاستاذ عثمان محرم الذى كان

اختلف مع النقراشي .. ومكرم عبيد الذى كان اختلف مع محمود غالب .. وارتفعت كذلك اسهم نجيب الهلالى .. لأنه ـ كما ذكرت فى مقال سابق ـ كان خصما للنقراشي وكان بين الاثنين عداء أو كراهية لا يعرفه أحد على وجه التحقيق كيف بدأت ..

ارتفعت أسهم الاستاذ الهـــلالى فى دوائر الوفد .. وبين يوم ويوم أصبح مقربا من رئيس الوفد مصطفى النحـــاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ومعدودا من كبار أقطاب الوفديين ..

وتذكر النحاس ومكرم عبيد أن محمد التابعى كان أرسل اليهما من انجلترا خطابا ذكر فيه خلاصة حديث دار بينه وبين الدكتور عباس الكفراوى طبيب فاروق الخاص .. وكيف ان طبيب الملك يرشح نجيب الهلالى لمنصب رئيس الديوان ... تذكرا هـــذا الخطاب وهذا الترشيح .. فتقــدما الى القصر يقترحان تعيين الاستاذ الهــلالى رئيسا للديوان ..

وقال فاروق : « اشمعنى دلوقت ؟ لقد رفضتم تعيين الهلالى أيام كان مستقلا والآن ترشحونه بعد أن أصبح وفديا ؟ كلا .. »

وأصر فاروق على أن رئيس الديوان يجب أن يكون رجـــلا مستقلا .. ومن غير رجال الاحزاب ..

***

وعادت حكومة الوفد ورشحت لمنصب رئيس الديوان المرحوم الاستاذ محمد أمين يوسف الذى كان يشغل منصب وزير مصر المفوض فى واشنطون وكان موجودا يومئذ فى مصر « فى اجازة » .

وعاد رسول الوفد يحمل رد القصر على هـــذا الترشيح .. بالرفض .. لماذا ؟ لأن فاروق كان قد اجتمع بمحمد أمين يوسف على ظهر الباخرة النيل أثناء عودة « جلالته » من رحلته الى أوروبا .. وعودة المرشح المذكور بالاجازة من أمريكا وقد لاحظ فاروق ان وزيره المفروض كثيرا ما يرفع الكلفة بينه وبين « مولانا » فيضحك مثلا أمامه بصوت عال . وفى كلمة واحـــدة فان « مولانا » لم يستخف دم الاستاذ محمد أمين يوسف ..

***

وانتهى الوفد الى هذه النتيجـــة وهى ان فاروق مصمم على رفض أى مرشح وكل مرشح تتقدمه حكومة الوفد .. لأنه يريد تعيين على ماهر رئيسا للديوان ..

وبعث مصطفى النحاس رسولا الى القصر يقول بلسانه ان على ماهر رجل (مستحيل) والتعاون معه امر مستحيل ، كما تدل السوابق .. وان حكومة الوفد النيابية الدستورية لا يمكنها ان تقر تعيين السيد على ماهر فى هذا المنصب الخطير لأنه رجل سبق له ان اشترك مع محمد محمود باشا ثم مع اسماعيل صدقى باشا ومن قبلهما مع أحمد زيور باشا فى الاعتداء على الحياة النيابيـــة وعلى الدستور ..

.. والوفد حامى الحريات وحامى الحياة النيابيـــة وحامى الدستور لا يستطيع ان يوافق على تعيين هذا الذى اعتدى على الحريات وعلى الحياة النيابية وعلى الدستور .

وتأزم الموقف بين فاروق وحكومة الوفد . ولم يكن الخلاف حول

الذى يعين رئيسا للديوان سوى سبب واحد أو مصدر واحد من مصادر الخلاف فقد كان هناك أكثر من مصدر وأكثر من سبب واحد ..

كان هناك مثلا (القمصان الزرق) وهى الهيئة أو المنظمة التى أنشأها الوفد على غرار القمصان السود فى ايطاليا الفاشية و (القمصان البنى) فى ألمانيا النازية . وقال فاروق يومئذ ــ أو قيل له ــ ان النحاس باشا يمهد بقمصانه الزرق لاقامة نظام ديكتاتورى يحكم به مصر كما يحكم موسولينى فى ايطاليا وهتلر فى ألمانيا ..

وكانت هناك مسألة التاج الذى يشتهيه فاروق وكان يريد ان تقام له حفلة كبرى يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول فى العالم .. وكان المفروض أن تكتتب جميع الطوائف والطبقات بتكاليف صنع هذا التاج .

وكان الوفد ــ أو حكومة الوفد ــ يعارض أولا فى حكاية التاج هذه ويقول ان التاج أمر مخالف للشريعة الاسلامية ، ولكن فاروق طلب من المرحوم الاستاذ الشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر يومئذ أن يعلن أن ليس فى (التاج) شىء يخالف الاسلام . وتحدث شيخ الازهر فعلا الى جريدة المصرى فى هذا المعنى وأعلن ان الاسلام عرف ولا يزال يعرف التاج والتيجان وأن ليس فى حمل التاج ما يخالف تعاليم الاسلام . « وكان الشيخ المراغى رحمه الله ، كما هو معروف رجل القصر » ..

وهنا تراجع الوفد .. ووافق على مشروع التاج ولكن موافقته كانت من طرف اللسان !

وخاف خصوم الوفد أن تكون حكاية التاج هذه سببا فى اطالة عمر وزارة الوفد اذ أن جمع المال اللازم من طبقات الشعب قد يستغرق شهورا .. وعمل التاج ــ وكان المقرر أن يكلف بصنعه محل « كارتييه » الجواهرجى الشهير فى باريس ــ سوف يستغرق شهورا .. ثم الاستعدادات الضخمة لحفلة التتويج التى سوف

يدعى اليها ملوك ورؤساء حكومات العالم .. الى آخره .. كل هذا قد يستغرق عاما أو عامين ..

خاف اذن خصوم الوفد أن يكون مشروع التاج سببا فى اطالة عمر وزارة مصطفى النحاس فقالوا لفاروق ان الوفد لم يعدل عن معارضته ويوافق على تقديم التاج الا لانه يجد فيه فرصة طيبة لتحريض الشعب ضد (مولانا) ونشر أسباب التذمر والشكوى من صاحب الجلالة .. ذلك لأن فى البلاد أزمة اقتصادية وأسعار القطن فى هبوط .. ولسوف يجمع أعوان الحكومة والوفد المال من الاهالي ومن الفلاحين بالقوة والاكراه ويقولون لهم ان هذه أوامر الملك الشاب لأنه يريد ان يضع على راسه تاجا وتقام له « زفة » يدعى اليها ملوك العالم ..؟

واقتنع فاروق .. وامر باصدار بلاغ الى الصحف يعلن فيه عدم رغبته فى التاج مراعاة للحالة الاقتصادية فى البلاد وشفقة ورحمة برعاياه المخلصين .

ولكن فاروق أحس مرارة الخيبة فى فمه فقد كان يشتهى فعلا تاجا يضعه على راسه ومن ثم ازداد كرهه للوفد ولمصطفى النحاس الذى كان السبب فى حرمانه من تاجه المنشود .

وأدركت مما كنت أسمعه من أفراد الحاشية المقربين الى فاروق أن الامور تسير من سيىء الى اسوأ . وكنت يومئذ اقوم ـ بصفة غير رسمية ـ بما يشبه مهمة « ضابط الاتصال » بين فاروق وحكومة الوفد .

وكنا فى أوائل شهر سبتمبر . وذات مساء زرت « رفعة » رئيس الوفد ورئيس الحكومة فى داره فى سيدى بشر برمل الاسكندريه وكان يجلس مع « رفعته » الدكتور محمد صلاح الدين ..

ولكننى لم أكد أبدأ الحديث فيما جئت من اجله حتى اشار النحاس الى صلاح الدين أن ينسحب فانسحب .

وتحدثت طويلا الى (رفعته) وكان حديثي كله فى معنى واحد وهو أن « جلالة الملك » قد بدأ يسىء الظن بالوفد ورئيسه لأنه

اصبح يعتقد ان النحاس باشا يكرهه ويريد الاعتداء على حقوقه . .
وان بعض كبار الوفديين يتحدث فى المجالس الخاصة عن فرصة
الانتقام من الملك فاروق لما فعله معهم أبوه الملك فؤاد . .

ورفع النحاس باشا يديه واستعاذ بالله وقال ان هذه كلها
أكاذيب من صنع خصومه وانه – وأقسم بالله العظيم – « يحب
فاروق ويستبشر به ويرى الخير فى وجهه » .

ثم استطرد يقول :

– وانا لا أنكر . . ومعاذ الله أن أنكر فى الاعتداء على حق واحد
من حقوقه الدستورية . . ولكننى فى نفس الوقت لا ولن أفرط فى
حق واحد من حقوق الأمة وحقوق حكومتها النيابية التى كفلها
الدستور .

وكان « رفعته » يشير الى مسألة تعيين رئيس الديوان وحق
الحكومة فى اختيار الذى يعين فى المنصب المذكور .

ثم قال انه لا يستطيع أن يمنع « بالقوة » تعيين على ماهر باشا
رئيسا للديوان ولكن . .

– وليكن هذا مفهوما منذ الآن . . ولكننى لن أوافق على هذا
التعيين . .

قلت :

وامر آخر يأخذونه عليكم وهو أن الوزارة لم تقم حتى الآن بعمل
تظاهر به ارتباحها وسرورها بخطبة جلالة الملك .

وكان فاروق قد أعلن خطبة الآنسة صافيناز ذو الفقار .

قال وهو يدق بيده المائدة الصغيرة :

– اهى دى معاهم حق فيها . . أيوه معاهم حق . . تمام
معاهم حق . .

ثم قال انه سوف يقيم بعد غد حفلة شاى فى حديقة انطونيادس
ابتهاجا بالخطبة الملكية السعيدة .

وأقيمت الحفلة ودعى اليها جميع الشيوخ والنواب وكبار
موظفى القصر . وتخلف عن حضور الحفلة مكرم (باشا) عبيد
بسبب وعكة أصابته .

وحضر الحفلة النقــراشى (باشا) .. وما أن رآه الشيوخ والنواب الوفديون حتى أحاط به عــدد كبير منهم يرحبــون به ويرجونه أن يسوى الخلافات التى بينه وبين زملائه اعضاء الوفد .

وبينما هم كذلك اقبل مصطفى النحاس .. ورأى النقــراشى فتقدم منه ومد اليـــه يده .. وتصـــافح الرجــلان .. وصفق الحاضرون وهتف الاستاذ حسن يس بحياة النحاس .

وردد الحاضرون الهتــاف ثم هتف بحيـــاة النقـــراشى ورد الحاضرون الهتاف .. وهنا تعانق النحاس والنقراشى .. ودوى التصفيق الحاد وعلا الهتاف .

وتفاءل الحاضرون خيراً واستبشروا بعودة المياه الى مجاريهـــا بين النقراشى ومصطفى النحاس .

وبعد الحفلة ذهبت أعود الاستاذ مكرم عبيد فى داره وصعدت اليه فى غرفة نومه وكان مستلقيا فى فراشه ولا بد أن أحدهم كان ابلغه بالتليفون خبر مقابلة النحاس مع النقراشى وكيف تصافحا وتعانقا وصفق لهما الشيوخ والنواب .. لأنه سألنى عن التفاصيل فرويتها له ..

وعلت فمه ابتسامة يعرفها أصدقاؤه .. وقال :

ــ كده .. طيب لما نشوف ..

ثم تناول سماعة التليفون الموضوع بجانب فراشه وطلب دار « رفعة » الرئيس .. وكان النحاس باشا قد عاد الى داره مباشرة بعد انتهاء حفلة الشاى .. وبعــد حــديث قصير عن وعكة مكرم وما الذى يشكو منه ، قال الاستاذ مكرم وهـــو يضحك ضحكته القصيرة المتقطعة ..

ــ مبروك يا باشا ..

ولا بد أن النحاس باشا سأله « مبروك على ايه ؟ » لأنه قال : مع الضحكة القصيرة المتقطعة ــ مبروك الصلح مع النقراشى ..

ولم اسمع طبعا ماذا قال مصطفى النحاس ، ولكننى فهمت من رد مكرم عبيد ان النحاس أنكر ان هناك صلحا لأن مكرم قال :

ـ انا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ..

وانتهى الحديث .. وعادت الابتسامة الطبيعيـة المشرقة الى فم الاستاذ مكرم عبيد .. ذلك لأن الاستاذ مكرم عبيد كان لا يزال يؤمن الايمان كله فى ذلك الوقت ان كل عضـو يختلف مع رئيس الوفد مصطفى النحاس يجب أن يبتـر من جسم الوفد بلا تردد أو رحمة .

كان هذا هو مبدأ مكرم عبيد فى عام ١٩٣٧ وهـو نفس المبدأ الذى طبقه عليه مصطفى النحاس فى عام ١٩٤٢ .

ولقد كان لاختلاف النقراشى مع مصطفى النحاس ومكرم عبيد نتيجة لم تخطر ببال أحد فى أول الامر .

لقد توقعوا مثلاً ـ وهو ما حدث فعلا ـ ان يغضب أحمد ماهر لغضب صديقه وزميله النقراشى وان يقف الى جانبه يؤيده ويدافع عنه وعن رأيه .. ولكن أحدا لم يتوقع أن تغضب السيدة الجليلة صفية زغلول كل هذا الغضب من أجل النقراشى الى حد أن تهدد باغلاق بيت الامة أو بيب سعد فى وجه الوفد ومصطفى النحاس اذا استمر هذا الخلاف ، وهو ما حدث فعلا بعد ذلك ببضعة شهور .

أن احدا من أعضاء الوفد لم يكن يتوقع هذه الغضبة من جانب « أم المصريين » . ولكنها غضبت ولم تخف انتقادهـا المر لمصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وسياسة الاثنين التى توشك أن تمـزق الوفد ـ تراث سعد ـ شيعا وأحزابا ..

وقيل يومئذ ان السيدة الجليلة لم تكن تنتظر سوى حادث ما ـ اى حادث ـ لكى تعلن سخطها وغضبها على مصطفى النحاس ومكرم عبيد .. وان حكاية النقراشى لم تكن السبب الحقيقى وان كانت السبب المباشر لغضب السيدة أم المصريين .

وقال لى الاستاذ مكرم عبيد فى حديث طويل ان السيدة الجليلة غاضبة من الوفد منذ زمن طويل وانها كانت تتحين الفرصة التى تعلن فيهـا هـذا الغضب ..

قال : لقد أدخلوا فى روعها انها « جان دارك » مصر ..

سألته : من هم الذين أدخلوا هذا فى روعها ؟
قال : بعض أقاربها وأنسبائها ..
ومضى الاستاذ مكرم عبيد فى حديثه ، فقال :
ــ لقد قالوا لها اننا أخطأنا فى حقها يوم سافرنا الى لندن لامضاء المعاهدة « معاهدة ١٩٣٦ » ولم نصحبها معنا لكى تشترك مع بقية زعماء مصر فى امضاء المعاهدة بصفتها أرملة سعد زغلول .. ولقد عاتبتنا حضرتها على هذا .. كما لامنا بعض الناس اننا لم نطلب من مجلس الوصاية الانعام عليهم بالوشاح الاكبر من نيشان محمد على .. أسوة بالذين أنعم عليهم منا بالوشاح المذكور .. وذات مرة استدعتنى الى مقابلتها ، وقالت لى انها لاحظت اننا لم نعد نستشيرها فى أمورنا وفى شئون البلد كما كنا نفعل من قبل .. وانها قد أصبحت فى نظرنا كمية مهملة ..
قال مكرم :
ــ واستغفرت الله وأكدت لها انها ما زالت عندنا كما كانت موضع الاحترام والتقدير ، ولكن اذا كنا لم نعد نستشيرها كما كنا نفعل فذلك لأنه ليس هناك ما نستشيرها فيه .. وقد كنا نسألها الرأى أيام كنا فى المعارضة ، وكنا نعرض عليها بيانات الوفد ونداءات رئيس الوفد الى الامة وما أشبه ..

أما اليوم ففى أى الامور أستشيرها أنا مثلا ؟ هل أذهب اليها كوزير للمالية وأستشيرها فى أمر الاعتماد المخصص لبناء دار جديدة لمحكمة مصر الشرعية ؟ أو يذهب اليها زميلى وزير الخارجية ويستشيرها فى أمر فتح قنصلية جديدة لمصر فى مدينة ميلانو ..

اذن فقد كانت السيدة الجليلة ــ يرحمها الله ــ غاضبة ساخطة على الوفد ورئيسه وسكرتيره ولم تكن تنتظر سوى الفرصة الملائمة لاعلان هذا الغضب ..

وقد سنحت الفرصة وأعلنت أم المصريين غضبها وانها تقف الى جانب النقراشى وكان النقراشى رحمه الله من انسبائها وزوجا لسيدة كريمة من بنات الاسرة .

وهكذا .. كسب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا فى شخص زوج سعد وأم المصريين وكانت صفية هانم زغلول صديقة لنازلى ملكة مصر ... وكانت نازلى تحترم أم المصريين احتراما شديدا .. ولا عجب فقد كانت الآنسة نازلى صبرى تقبل يد صفية هانم زغلول قبل أن تصبح سلطانة مصر وزوج السلطان أحمد فؤاد .. وزارت أم المصريين القصر ... واستقبلها فاروق وأمه نازلى بالتحية والاكرام ..

ولم تخف السيدة الجليلة رأيها وخيبة أملها فى مصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياستهما التى توشك أن تمزق الوفد شيعا واحزابا .

وادرك فاروق انه اذا وقع خلاف بينه وبين الوفد وحكومة الوفد فان أرملة سعد زغلول أم المصريين سوف تقف الى جانبه وتؤيده أمام الشعب الذى كان ولا يزال يقدس ذكرى زوجها الراحل العظيم .

***

وهكذا ... لم يكن قد مضى على عودة فاروق من رحلته الى اوروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية شهران اثنان – من ٢٨ يولية الى آخر سبتمبر ١٩٣٧ – حتى كانت حكومة الاغلبية الوفدية تواجه جبهة قوية معارضة مكونة من :

راس الدولة فاروق ..

جميع كبار موظفى القصر أوالطاقم القديم الذى ترعرع ونما فى عهد الطاغية أحمد فؤاد .

على ماهر واعوانه وأذنابه فى القصر وخارج القصر .

أحزاب الاقلية . الاحرار الدستوريين والوطنيين والاتحاديين « ولم يكن حزب السعديين قد تكون بعد » .

وفوق هذا وذاك خلاف فى صفوف الوفد يوشك أن ينتهى بخروج النقراشي واحمد ماهر ومعهما عدد من الشيوخ والنواب .

كل هذه العوامل مجتمعة أضعفت هيبة الوفد فى نفس فاروق .

ومن ثم أقدم على ما كان مترددا فى الاقدام عليه خوفا من سطوة الوفد وشوكته .. وتحدى حكومة الوفد وأصدر أمره « الكريم » بتعيين علي ماهر رئيسا للديوان ..

وكان هذا فى شهر اكتوبر ١٩٣٧ ..

اذن فقد أقدم فاروق على اتخاذ الخطـوة التى كان مترددا فى اتخاذها .. فأصدر أمره بتعيين على ماهر باشا رئيسا لديوانه .

وكان هذا التعيين أو هذه الخطوة ايذانا بسياسة التحدى التى سار عليها فاروق ورجاله .. سياسة التحـــدى للوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد وأغلبيتها الساحقة فى مجلسى البرلمان ... وايذانا بسياسة الاستهانة والاستهتار بسلطة البرلمان وحقـــوق الشيوخ والنواب ممثلى الامة ... أو بعبارة أخرى ... سياسة استهانة القصر واستخفافه بالحكم النيـابى وحقـوق وحـريات وسلطات الشعب .

ولسوف يقول التاريخ ان المسئول عن هذه السياسة وهـذا الاتجاه الخطير الذى سارت فيه سياسة القصر ابتداء من خريف عام ١٩٣٧ ... المسئول هو رئيس الديوان السيد على ماهر ...

ولقد سمعتها بنفسى من جميع كبار موظفى القصر ولا أحب ان أذكر هنا أسماء حتى لا أحرج أحدا منهم .

وكان أحمد حسنين رحمه الله قال لى ذات يوم ونحن على ظهر الباخرة « النيل » فى طريق عودتنا مع فاروق الى مصر ــ وقـد أكون أشرت الى هذا الحديث ــ قال :

ــ ان أخشى ما أخشاه أن يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها أبوه من قبل .. ولقد صحبتنا خمسة شهور وعرفت الملك ودرست أخلاقه عن قرب ولعلك لاحظت أنه عنيد وأنه اذا داس أحد على طرفه شب على قدميه وضرب المعتدى بشدة وعنف .. ولهذا أرجوك ان تقنع أصحابك الوفديين بأن فؤاد قد مات ، وان فاروق لا ماضى له معهم وانه فى امكانهم بشىء من السياسة والكياسة أن يكسبوه . وعليهم أن يقدروا مركزه وشعوره بأنه لا يزال غلاما

وأن أقاربه الامراء سوف يضحكون ويسخرون منـــه ويعيرونه بحداثة سنه وقلة خبرته اذا هو اظهـــر ضـــعفا أمام الوفديين ويعقدون المقارنات بينه وبين أبيه ... قل للوفديين أن يجعـــلوا لهذه المسألة تقديرا فى حسابهم فلا يقدموا على عمل يكشف عن ضعف هذا الملك الشاب أو يثير سخرية أقاربه الامراء .. والا فانه لن يسكت بل سوف يشب على قدميه ويرد الصاع صاعين ... ويوم يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها أبوه الملك أحمد فؤاد اى طريق اقالة الوزارات وحل مجالس النواب فانه سوف يسير فى الطريق ويندفع فيها الى نهاية الشوط لأنه شاب وعنيد ومعتز بحب الشعب له والتفافه حـــوله .. وليس له ــ ما كان لأبيه ــ من خبره ومرونة ودهاء ..

وهذه هى خلاصة حديث أحمد محمد حسنين على ظهر الباخرة « النيل » قبل وصولنا الى الاسكندرية بيومين أثنين .

وفى اليوم السابق على وصولنا الى الاسكندرية .. وكنت متكئا بذراعى على حاجز السفينة شعرت بيد على كتفى فالتفت واذا به فاروق . والقيت فى الماء بالسيجارة التى كانت فى يدى .

وقال فاروق :

ــ لعلك كنت « سارحا » فى مصر التى نصل اليهـــا غدا .. وأنا أيضا أفكر فيها كثيرا فى هـــذه الايام وفى المسئوليات التى سوف أحملها على اكتافى .

ثم قال ــ من حديث طويل ــ انه لا يعرف شيئا عن أحوال البلد ولم يدرس بعد سياسة البلد وسياسة الاحزاب وان أمامه خمس سنوات سوف يقضيها فى الدرس والبحث .. وانه لن يتدخل فى شئون الحكم الا بأقل قدر ممكن ثم ــ وهذه كلماته بحروفها :

ــ وفى البلد أغلبية تحكم وسوف أتركهـــا تحكم .. والشعب وحده هو الذى يغيرها اذا شاء .

***

ووصلنا الى الاسكندرية فى صباح اليوم التـــالى . وارتدى فاروق ورجال حاشيته سترة الردنجوت ..

وكان أول من صعد الى ظهر الباخرة المرحوم سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء وخلفه المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة .

وأسرع فاروق ليقابل كبير أمنائه الشيخ فى منتصف الطريق احتراما من الفتى للشيخ العجوز ورحمة به ..

ومد فاروق يده ليصافح كبير امنائه وعلى فمه ابتسامه ترحيب .. واذا بالشيخ كبير الامناء ينحنى فوق يد فاروق ويلثمها ... وأشهد ان فاروق حاول فى رفق ان يسحب يده حتى لا يلثمها الشيخ العجوز ..

ثم تركهـــا ..

وتقـــدم مراد محسن باشا ولثم بدوره يد الملك .. وتراجع الرجلان بظهريهما الى الوراء ..

ثم صعد رئيس الوزراء والوزراء .. وبعضهم اكتفى بالانحناء فوق يد الملك الغلام .. وبعضهم الآخر لثم « اليد الكريمة » .

واعتقد أن هذه اللحظة كانت نقطة التحول فى أخلاق فاروق او فى نظرته الى البلد وكبار البلد من ساسة وزعماء .. فقد كانت هذه أول مرة ينحنى فيها شيوخ مسنون فى مثـــل سن أبيـــه أو جده ويلثمون يده .

ثم لم يمض يومان أو ثلاثة حتى تحدث مصطفى النحـــاس رئيس الوزراء عن « حكمة جلالة الملك المحبوب وعن ارشـــاداته السامية ونصائحه الغالية » ..

حكمة وارشادات ونصائح غلام أمى أو نصف أمى ..؟ وكان فاروق يعرف عن نفسه وعن جهله اكثر مما يعرف الناس .. ماذا كان ينتظر من شاب حـــديث السن والخبرة ورث الملك والعرش والسلطان والثروة الطائلة والصحة والشباب والوسامة ـ يومئذ ـ ووجد من حب الشعب وتهليله ما وجد .. ومن خضـــوع كبـــار البلد وزعمائه ولثمهم ليده وتراجعهم بظهورهم الى الوراء أمامه ..

ماذا كان ينتظر منه الا أن يدور راسه وتنقلب فيـــه الاوضاع والموازين ..؟

واعود الى أصل الحديث .. كان تعيين على ماهر رئيسا للديوان بالرغم من معارضة حكومة الاغلبية الدستورية ايذانا ببدء سياسة التحدى والاستهانة بالحكم النيابى وبالدستور ..

وبدات سياسة المرمطة .. المقصودة .. وراسم خطوطهـــا « رفعة » رئيس الديوان على ماهر « باشا » .

كل طلب تتقدم به حكومة الوفد مرفوض .. المراسيم التى ترسلها الوزارة الى القصر للامضاء .. تعطل وتبقى فى الديوان .

وفى الصحف ـ بين الحين والحين ـ غمز ولمز فى حكومةالوفديين

وفى جريدة البلاغ بالذات ـ وكانت يومئـــذ كما سبق أن قلت لسان حال القصر وعلى ماهر رئيس الديوان ـ فيها وبقلم صاحبها الصحفى الكبير القدير مقالات نقد مرير لمصطفى النحاس وحكومته .

مثـلا .. مصطفى النحاس رجـل مصاب بلوثة فى عقله ..! ومصطفى النحاس يهدف لقلب نظام الحكم ويسلح عصابات قمصانه الزرق بالخناجر ! ومصطفى النحاس قليل الأدب فى حق « سيد البلاد » لأنه يتأخر عن مواعيده مع فاروق .. ولأنه يخلع طربوشه ويمسح عرقه أمام فاروق .. الى آخره ... الى آخره .

وكنا نعرف أن وراء هذه الحملة السيد على ماهر رئيس الديوان ثم بدأ الخلاف بين الوزارة ورئيس الديوان حول مدى حقـــوق الملك الدستورية ، وماهى التعيينات التى تتم بمراسيم والتعيينات التى ينفرد بها الملك ويصدر بها « أمرا ملكيا كريما » ..

وتمسكت الوزارة بنصـــوص الدستور ... وبخصوصا بالنص القائل ان الملك يحكم بواسطة وزرائه .. لأنه غير مسئول ... وان الملك يسود ولا يحكم ..

وقال على ماهر ان الملك يسود ويحكم معا .

وهكذا مضى رئيس الديوان « ينفخ » فى رأس الملك الشاب .. ويفهمه ـ بالقول والعمل ـ ان ليس فى البلد كله مخلص لجلالته سواه .. لأنه حريص على حقوقه .. ولأنه ينـــزع له فى كل يوم حقوقا جديدة تزيد فى سلطة الملك وسلطانه .

وهكذا وضع على ماهر اساس سياسة المزايدة فى حقوق الملك على حساب حقوق الشعب والبرلمان .

هذا بينما وقفت أحزاب الاقلية المعارضة وزعماؤها يتفرجون شامتين فى الوفد وحكومة الوفد مسرورين فرحين بالمرمطة التى يتلقاها مصطفى النحاس .

ولقد نسوا انه اذا كان هذا هو نصيب الاغلبية من الاحترام والتقدير أو الهزء والاستهانة فماذا يكون مصيرهم ونصيبهم هم اذا تولوا الحكم ..؟

ولكنهم لم يفكروا ولم يقدروا .. أو لم يهتموا لأن شهوة الحكم كانت عندهم أقوى من كل شيء .. وكان كل همهم أن يحطموا الوفد والوفديين حتى ولو حطموا معهم حقوق البلد ودستور البلد أو باعوها للجلاد ثمنا لرءوس الوفد والوفديين ..

***

وكان الخلاف بين الوفد والنقراشي باشا قد بلغ مداه وأصدر الوفد قرارا بفصل محمود فهمى النقراشي من عضوية الوفد .

واتخذ النقراشي « مكتبا » له بشارع المدابغ ـ شريف الآن ـ ولم يكن المكتب للتجارة أو السمسرة أو المحاماة أو لعمل ما مما تفتح المكاتب من أجله ... ولكنه كان للمعارضة .

وهكذا كان مكتب المرحوم النقراشي باشا أول مكتب فيما أعلم يفتح للمعارضة .. وكان النقراشي يقابل أنصاره فى المكتب المذكور ..

وبدأ الناس يتحدثون عن أحمد ماهر وكيف انه ضالع مع صديقه وزميله النقراشي وانه ينتظر الفرصة لأعلان خروجه على زعامة مصطفى النحاس ..

وكان المرحوم أحمد ماهر يومئذ رئيسا لمجلس النواب .

***

وكانت الوزارة تتخبط فى سياستها أو قل ان شئت انه لم تكن لها سياسة مرسومة . كانت مثلا تعارض فاروق فى مسائل صغيرة وكانت ترفض له طلبات صغيرة وتقف منه موقف «العناد» ومن ثم

تحمله على الاعتماد على دعاة السوء من خصوم الوفد وتغريه بالاصغاء اليهم والى مشورتهم . هذا بينما كانت فى نفس الوقت تتساهل فى أمور خطيرة وترفض أن تتخذ قرارات حاسمة أو تخطو خطوات جريئة يفرضها الموقف المضطرب مخافة أن يكون فى هذه القرارات أو هذه الخطوات ما يخالف نصوص الدستور أو روحه ومعناه .

وضعفت هيبة الحكومة .. وارتفع مقام القصر وراح كل موظف كبير فى الدولة يتطلع الى القصر ويلتمس رضا القصر . وعمت الفوضى .

وأذكر أننى كتبت يومئذ مقالا فى « آخر ساعة » وجهت فيه الحديث الى « رفعة » مصطفى النحاس باشا وقلت فيه ما معناه « أخشى من فرط حرصك على الدستور أن تضيع الدستور » .

وكان أعوان على ماهر باشا يتحدثون صراحة فى كل مجلس عن قرب سقوط وزارة الاغلبية البرلمانية الوفدية .. وكان الاحرار الدستوريون يتحدثون بدورهم عن قرب عودتهم الى الحكم ..

وسافرت أنا الى أوروبا فى مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٣٧ على ظهر احدى البواخر . وفى صباح اليوم التالى دخل على خادم الباخرة يحمل الشاى ونسخة من البرقيات التى أذاعها ماركونى اثناء الليل ..

وبينها برقية من القاهرة تقول ان مصريا اسمه كذا أطلق الرصاص على رئيس وزراء مصر ، بينما كان فى سيارته فى طريقه الى حفلة عامة ..

وأرسلت برقية الى النحاس باشا هنأته فيها بنجاته ، ثم قلت له « أحكم أو أترك الحكم » .

***

وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ أصدر فاروق أمره الملكى باقالة وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .

وهكذا تحققت مخاوف أحمد محمد حسنين . وخطا فاروق أول خطوة فى نفس الطريق الذى سار فيه أبوه أحمد فؤاد .

خطاها بمشورة رئيس ديوانه السيد على ماهر .

ونفس السيد على ماهر كان مستشار الملك احمد فؤاد ورجله الأول فى حزب الاتحاد أو حزب السراى أو حزب « القش » كما سماه الزعيم الخالد سعد زغلول .. وكان هو صاحب الفتوى فى اقاله وزارة النحاس الاولى فى يونية عام ١٩٢٨ . وكانت هذه أول اقالة فى تاريخ الحكم النيابى فى مصر . فالسيد على ماهر الذى أفتى وفتح باب الاقالات أمام أحمد فؤاد فىعام ١٩٢٨ هو نفس السيد على ماهر الذى أفتى وكتب صيغة الاقالة وفتح نفس الباب أمام فاروق فى آخر ديسمبر ١٩٣٧ .

واندفع فاروق فى نفس الطريق حتى بلغ نهاية الشوط فلا حرمة للدستور ولا للبرلمان ولا للشعب وممثليه ولا لحقوق الاغلبية ..

امر كريم مكتوب بخط جميل على ورق مصقول وممهور بامضاء « سيد البلاد » فاروق يكفى لشل الدستور وتعطيل نصوصه لفظا ومبنى ومعنى وطرد الحكومة التى اختارها الشعب لغير ما سبب سوى السبب الذى يفتى به رئيس الديوان .. على هواه .

***

ولم يفاجأ الوفديون بهذه الاقالة .. فان شائعات اقالة الوزارة كانت قد ملأت الجو . كما كان أنصار على ماهر وزعماء الاحرار الدستوريين كما سبق أن ذكرت قد ملأوا البلاد أخبارا عن قرب سقوط حكومة الوفد وعودتهم هم الى الحكم .

ولكن الوفديين لم يكونوا قد فقدوا كل أمل .. ذلك ان موظفا من موظفى وزارة المالية اسمه أمين عثمان كان نجمه بدأ يلمع لا لسبب الا لأنه صديق شخصى للسفير البريطانى سير مايلز لامبسون ولرجال السفارة ولكبار رجال الانجليز فى مصر .

وكان هذا الموظف أو النجم الصاعد من « محاسيب » الاستاذ مكرم عبيد الذى كان أتى به من وظيفته المتواضعة فى الاسكندرية واسبغ عليه رعايته وعطفه ..

وكان أمين عثمان يقوم بدور الوسيط ويسهل أو يسوى الامور بين الوزارة والسفير البريطانى ، وقال أمين عثمـــان للوفديين « لا تصدقوا هذه الشائعات . وعندى تأكيد من سير مايلز لمبسون ان حكومته لن تسمح باقالة الوزارة » .

قالها المرحوم امين عثمان لمصطفى النحاس . وقالها لمكرم عبيد . وقالها لكل من قابله من أعضاء الوفد ..

وبدأ يومئذ أن الأمر سباق بين على ماهر رئيس الديوان وبين امين عثمان وسيط الوفد أيهما الذى يسبق صاحبه ويفوز بثقة وتأييد السفارة البريطانية . هل يفوز على ماهر فتطلق السفارة يده فى اقالة الوزارة وتقف على الحياد ..؟ أو يفوز أمين عثمـــن وتتدخل السفارة وتحول دون الاقالة ..؟

وهكذا كان الأمر .. اكبر سلطتين فى الدولة .. القصر والوزارة الدستورية البرلمانية كلاهمـــا يلتمس تأييـــد السفارة والسفير البريطـــــانى ..

وفاز على ماهر فوزا مبينا .. على أمين عثمان .

وكانت الاقالة ..

***

واجتمع مجلس النواب .. وأمر رئيس المجلس احمد ماهر بتلاوة مرسوم الاقالة ثم قال انه لا يسمح بالتعليق عليها ، وهاج النواب الوفديون ، ووقف أكثر من واحد منهم يعلق ويعقب على الاقالة .

وأحمد ماهر يدق جرس الرياسة ويطلب من النواب عدم الكلام .. واشتد هياج النواب .. وكانت جلسة صاخبة .. وأخـــيرا امر احمد ماهر بوليس المجلس باطفاء الانوار .. ورفع الجلسة وغادر منصة الرئاسة .

واضطر النواب ان يغادروا المجلس .. ومن هناك ذهبوا الى النادى السعدى .. ولم يتردد المرحوم أحمد ماهر فى الذهاب معهم ، فقد كان رحمه الله لا تنقصه الشجاعة ..

ووقف أحمد ماهر بين صيحات الغضب والاستنكار والسخط

والشتائم والاتهام بالخيانة وقف يهاجم سياسة مصطفى النحاس الخاطئة التى أدت الى اقالة الوزارة ..

وأشتد هياج النواب وهياج اعضاء الوفد ..

وغادر احمد ماهر قاعة الاجتماع .. وانسحب معه نسعة وعشرون شيخا ونائبا من أعضاء الهيئة الوفدية ..

خرج وخرجوا ولم يعودوا لانهم أسسوا الحزب السعدى وانتخبوا احمد ماهر رئيسا للحزب ومحمود فهمى النقراشي وكيلا للحزب .

وأعلنت المغفور لها صفية هانم زغلول انها كانت فتحت بيت الأمة أو بيت سعد لأبناء سعد يجتمعون فيه .. ولكن اما وقد اختلفوا وتفرقوا فانها تغلق بيت سعد ولا تسمح لأحد منهم بعقد اى اجتماع فيه ..

واقيلت وزارة الاغلبية الوفدية بفتوى من رئيس الديوان على ماهر .. وكانت الفتوى (ان أعمال الوزارة تجافى روح الدستور) .

لأن الوزارة قالت ان الملك يسود ولا يحكم .. بينما روح الدستور ــ هكذا يزعم رئيس الديوان ــ تنص على ان الملك يسود ويحكم .

واذن ففى موقف الوزارة مجافاة لروح الدستور .. وهكذا اقيلت وزارة مصطفى النحاس وخلفتها فى الحكم وزارة مؤلفة من الاحرار الدستوريين ومن كبار المستقلين برياسة المرحوم محمد محمود باشا .

وكان محمد محمود هو « الوريث » السياسى الطبيعى لمصطفى النحاس . فقد كان حزبه هو حزب المعارضة . وكان رحمه الله زعيم المعارضة .

ومن هنا لم يكن فى استطاعة على ماهر أن يقفز الى رياسة الوزارة مباشرة بعد اقالة مصطفى النحاس . والا لكانت المسألة «مكشوفة»

ترك « رفعته » اذن محمد محمود يتولى رياسة الوزارة ... ولكن الى حين !

***

واستصدرت الوزارة أمرا بحل مجلس النواب ... وأجريت انتخابات جديدة وكانت « جديدة » حقا فى نوعها .. فان التنافس بين المرشحين الوفديين وخصومهم من رجال الاحزاب الاخرى لم يكن يدور حول مبادىء أو اختلاف فى السياسة الداخلية أو الخارجية . كلا . بل كان يدور حول مدى اخلاص الطرفين لفاروق

وكان بعض المرشحين يلصقون اعلانات الدعاية لأنفسهم على جدران القاهرة مكتوبا فيها « انتخبوا فلانا مرشح السراى » .. أو « لا تنتخبوا فلانا لأنه مغضوب عليه من جلالة الملك المحبوب » . ولم تجر الحكومة المؤتلفة هذه الانتخابات العجيبة فى يوم واحد .. بل أجرتها على عدة أيام ..

أجرتها أولا فى الوجه القبلى ثم أجرتها فى الوجه البحرى ..

وحشدت قوات من الجيش ورجال البوليس وبعثت بها الى مراكز الانتخابات فى الوجه القبلى .. للمحافظة على الامن العام ..

ثم عادت ونقلت نفس القوات الى الوجه البحرى للمحافظة على الأمن العام وكان واضحا أن قصد الحكومة هو الارهاب والتأثير فى حرية الانتخابات ... وأدرك رجال الادارة فى الاقاليم أن المطلوب هو اسقاط مرشحى الوفد فعملوا على اسقاطهم .. واسفرت نتائج الانتخابات الاولى – فى الوجه القبلى – عما يشبه الفوز لحزب الاحرار الدستوريين دون السعديين .

وهنا شكا السعديون الى السراى من أن رجال الادارة المؤتمرين بأوامر رئيس الوزارة وزعيم الاحرار الدستوريين محمد محمود يضطهدونهم ويعملون على اسقاطهم لكى ينجح مرشحو الأحرار الدستوريين .

وصدرت الاوامر من رياسة الديوان رأسا الى مديرى الاقاليم « بمساعدة » مرشحى حزب السعديين ..

وانقلبت الموازين فى انتخابات الوجه البحرى ورجحت كفة السعديين . أما حزب الوفد فقد سقط جميع مرشحيه فى الوجهين البحرى والقبلى ما عدا اثنى عشر مرشحا فقط .

اثنا عشر نائبا للوفد بعد ان كان له فى المجلس السابق المنحل فوق المائتى نائب .. وسقط فى هذه الانتخابات زعيم الوفديين مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد وجميع أعضاء الوفد وكبـــار الوفديين .

ولم ينجح من الوفديين البارزين سوى الاستاذ عبد الحميد عبد الحق الذى تولى زعامة المعارضة فى مجلس النواب الجديد .

***

واجتمع المجلس الجديد فى شهر ابريل عام ١٩٣٨ .

وفى شهر يولية ـ على ما أذكر ـ بعث السيد على ماهـر رئيس الديوان الى السيد مصطفى النحاس رئيس الوفد يطلب منه أن يقابله سرا على الكورنيش فى مكان ما برمل الاسكندرية ... وفى ظلام الليـل .

اما لماذا طلب أن تكون المقـــابلة على الـكورنيش .. لا فى دار احدهما فان السبب بسيط ..

خاف « رفعته » ان يرام أحد وهو يدخل دار مصطفى النحاس .. او أن أحدا يرى النحاس وهو يدخل داره . وسوف يكون من الصعب تفسير أو تبرير هذه الزيارة .

أما اذا رآهما احد معا وهما يتحدثان على الكورنش فان من السهل ان يقال ساعتئذ أن المقابلة تمت بطريق الصدفة .

النحاس باشا يحب المشى على قدميه .. وكذلك « رفعة » رئيس الديوان فأية غرابة فى أن يلتقى الاثنان مصادفة على الـكورنيش بينما كل منهما يتنزه سائرا على قدميه ؟

***

وكان غرض على ماهر من هذه المقابلة هو « التفـــاهم » مع زعيم الوفديين . والتفاهم على أساس اسقاط وزارة محمـــد محمود خصم الوفد العنيد .

وهكذا ولما يمض على وزارة محمدمحمود ستةشهور بدأ السيد على ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التى كان قد جاء بهـا وداس

بها على الاغلبية البرلمانية وعلى جسد الدستور .
لماذا ؟ لكي يتولى هو رياسة الوزارة .
ولا أطيل الحديث ..
نفس العقبات ونفس العراقيل التى كانت توضع فى طريق مصطفى النحاس ... وضعت فى طريق محمد محمود ... ونفس الاشاعات التى كان يذيعها ويروج لها أعوان وأذناب على ماهر فى عهد وزارة مصطفى النحاس .. عادت وبعثت من جديد ..
واحس محمد محمود ـ رحمه الله ـ وكان المرض انهك قواه وأعصابه ـ أحس أن بقاءه غير مرغوب فيه فاستقال ..
ونال على ماهر مشتهاه . وانتقل من رياسة الديوان الى رياسة الوزارة . وكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب ... وهتلر يدق طبول الحرب فى كل صباح وموسولينى يخطب فى كل يوم عن حرابه التى عددها ثمانية ملايين والتى تنتظر اشارة منه بالهجوم ..

***

وكان وضع على ماهر فريدا فى بابه فهو رئيس وزارة حزبية برلمانية ولكنه لا ينتسب الى حزب ما وليس له فى البرلمان حزب ما
على من كان يعتمد اذن ؟ على من كان اعتماده فى بقائه رئيسا للوزارة ؟ على فاروق .. وعطف فاروق .. لا على البرلمان . فقد كان الاحرار الدستوريون ـ أحد شقى حكومته المؤتلفة ـ ناقمين عليه بسبب مؤامراته ضد زعيمهم محمد محمود . وكان نفس شقيقه المرحوم الدكتور أحمد ماهر زعيم السعديين أى الشق الآخر من حكومة على ماهر . كان أحمد ماهر ضده فى السياسة ، فقد كان ينادى بوجوب دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا ، بينما كان شقيقه على ماهر يقول بوجوب تجنيب مصر ويلات الحرب . ولم يكن هذا رأيه فى أول الامر كما سوف نرى .
ولكن الحزبين ـ الاحرار الدستوريين والسعديين ـ صدعا بأمر القصر وأذعنا لمشيئة فاروق وأيدا سياسة على ماهر .

ومن هنا اصبح على ماهر يعتمد على فاروق .. بعد أن كان فاروق يعتمد على السيد على ماهر .

وأصبح فرضا على رفعة رئيس الوزارة ان يعمل ما يمكن عمله استبقاء لعطف فاروق اذا هو شاء الاحتفاظ بمنصبه فى رياسة الوزارة ..

واعلنت الحرب فى أول سبتمبر ١٩٣٩ . وفى اليوم التالى دعا على ماهر باشا مجلس الوزراء للاجتماع .. وقال لزملائه الوزراء انه دعاهم للاتفاق على صيغة قرار اعلان الحرب ضد المانيا ..؟

وبهت الوزراء .. وقال أحدهم وهو الاستاذ عبد الرحمن عزام

ـ ولكن لماذا نعلن الحرب يا رفعة الباشا ..؟

ـ أجاب رفعة الباشا :

ـ طبقا لنصوص معاهدة عام ١٩٣٦ .

وانبرى الاستاذ عبد الرحمن عزام يفند هذا الرأى ويفسر مواد معاهدة ١٩٣٦ وان ليس فى المعـــاهدة المذكورة شىء يلزم مصر بدخول الحرب الى جانب بريطانيا .

وبعد مناقشة طويلة طلب عبد الرحمن عزام من على ماهر أن يترك له هذه المسألة ليسويها مع السفير البريطانى سير مايلز لامبسون .

ووافق على ماهر . وذهب عبد الرحمن عزام ، وقابل مايلز لامبسون وناقشه طويلا فى نصوص المعاهدة واستطاع أن يقنعه أن من مصلحة بريطانيا نفسها عدم اعلان مصر الحرب ، على المانيا .

وهكذا سويت المسألة ..

ومع ذلك فان السيد على ماهر زعم فيما بعد انه صاحب الفضل فى تقرير سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب . ولقد رايتم كيف كان يريد ان تعلن مصر الحرب ضد المانيا غداة اعلان الحرب..؟

***

والواقع ان على ماهر باشا لم تكن له سياسة معينة ازاء الحرب العالمية الثانية .. او لعل سياسته ازاء الحرب والدول المتحاربة كانت مثل سياسته الداخلية ازاء الاحزاب وزعماء الأحزاب أى سياسة التهازية .

كان يعتقد فى أول الامر . أى فى اول شهور الحرب أن النصر لبريطانيا وفرنسا ومن هنا أراد كما رأينا أن تعلن مصر الحرب ضد المانيا ثم عدل عن هذا الرأى مكتفيا بتقديم جميع المساعدات والتسهيلات الممكنة لبريطانيا .

ولقد أعلن فيما بعد ـ وبعد خروجـــه من الوزارة ـ أعلن ان السيد على ماهر تلقى خلال الشهور العشرة التى تولى فيها الحكم ثلاثة وثلاثين خطاب شكر من الجنرال ويلسون القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط .

وقد شكر فيها القائد البريطانى رفعة رئيس وزراء مصر على الولاء الصادق والتعاون المخلص الذى يلقاه منه ..

ولقد ظل على ماهر على ولائه واخلاصه لبريطانيا وقضية بريطانيا من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ الى شهر يونية ١٩٤٠ .

أما من شهر يونية والشهور التاليـة فان رفعتـــه نقل ولاءه واخلاصه من بريطانيا وحلفائها الى المانيا وحليفتها ايطاليا ..

لـــماذا ..؟

كان على ماهر يعتقد فى أول الحرب كما قلت ان النصر لبريطانيا وفرنسا .. ولكن انتصارات المحور بدات تتوالى . وراحت دول أوروبا تسقط واحدة بعد واحدة تحت سنابك جحافل هتلر ..

بولنده . الدانمرك . النرويج . هولنده . بلجيكا . وظل على ماهر على ولائه واخلاصه لأنه كان يعقد الامل على فرنسا وخط دفاعها المشهور « ماجينو » ..

ولكن هتلر حطم « ماجينو » وانهارت فرنسا واستسلمت . ولم يحل منتصف يونية ١٩٤٠ حتى كان هتلر يدخـل باريس والى جانبه جورنج مارين من تحت قوس النصر فى ميدان «الاتوال»

وهنا تحول على ماهر باخلاصه وولائه الى المانيا . ولا استطيع ان الوم الرجل . فلعله كمصرى مخلص كان يطلب الخير والامان لبلاده ومن هنا حرص على أن يقف دائما الى جانب الفريق الغالب المنتصر .

وعلى كل حال فان على ماهر باشا لم يضيع وقتا قبل ان يطلق

لسانه بالسخرية والتشهير ببريطانيا وفرنسا وضعف جيوشهما .
وصرح ذات مساء فى مجلسه الخاص بانه لن يمضى شهر واحد حتى تستسلم بريطانيا .

ورد عليه وزير حربيته اللواء صالح حرب باشا ..

ــ بل شهران يا رفعة الرئيس فسوف تقاوم انجلترا شهرين ثم تسقط ..

واتصل خبر هذا الحديث بالسلطات البريطانية فى مصر .

وكان فاروق بدوره قدبدأ يسخر من بريطانيا وفرنسا و «ينكت» عليهما فى مجالسه . وكان يحيط به يومئذ بعض الامراء الشبان من المتحمسين لالمانيا النازية مثل عمر الفاروق وعباس حليم ..

كذلك كان خدمه الخصوصيون من الايطاليين مثل بوللى وبيترو

ويروى ان فاروق خرج مرة للصيد . وكان معه بعض رجال السلك السياسى الاجنبى ومنهم السفير البريطانى مايلز لامبسون .

واراد سير مايلز لامبسون ان يطرى مهارة فاروق فى اصابة الهدف . فقال له عبارة اعجاب فى هذا المعنى ..

وعلى الفور قال له فاروق :

ــ طبعا لأن بندقيتى صناعة المانية ..

ثم قهقه فاروق .. وقهقه معه مدعووه من الامراء الشبان ..

***

ورأت حكومة لندن ان على ماهر باشا الذى كان قائدها جنرال ويلسون قدشكره فى ثلاثة وثلاثين خطابا على صادق ولائه وحسن تعاونه .. قد انقلب الى النقيض واخذ يقيم العراقيل والعقبات امام السلطات البريطانية العسكرية فى مصر .

وها هو ذا ملك البلاد يقفو اثره .. وارسل وزير خارجية بريطانيا يومئذ لورد هاليفاكس برقيته المشهورة « على ماهر يجب ان يخرج » .

وكان هذا أول انذار بريطانى أو أول تدخل مكشوف واعتداء مفضوح على سيادة مصر المستقلة منذ عقد معاهدة ١٩٣٦ أو معاهدة

الشرف والاستقلال كما اسموها .
وذهب السفير البريطاني سير مايلز لامبسون الى القصر وقابل فاروق وابلغه نص البرقية أو الانذار ، ثم قال :
انه ينصح بقيام وزارة وفدية او على الاقل وزارة يرضى عنها الوفد ويؤيدها وبادر فاروق وأرسل عبد الوهاب طلعت « باشا » لمقابلة النحاس «باشا» فى كفر عشما وعرض ظروف الموقف عليه .
وكان رفعة رئيس الوفد قد ترك القاهرة خوفا من الغارات الجوية ولجأ الى ضيافة اصهار السيدة زوجته فى كفر عشما .
وقابله عبد الوهاب طلعت « باشا » وابلغه نص برقية لورد هاليفاكس ونصيحة سير مايلز لامبسون ثم قال ان « جلالة الملك » يستشيره فيما يجب أن يفعله .
ولكن ... بينما كان مصطفى النحاس «باشا» يتأهب للعودة الى القاهرة وجمع اعضاء الوفد وعرض الامر عليهم راستصدار قرار برأى الوفد وما يجب عمله .. اذا بالامر الملكى يصدر الى حسن صبرى باشا بتشكيل الوزارة ..
وكانت مفاجأة للوفد .. ومفاجأة للسفير البريطانى . مفاجأة اغضبت مصطفى النحاس كما اغضبت سير مايلز لامبسون .
وأسرع أحمد حسنين الى السفارة وقابل السفير ليسأله عن سبب غضبه . وقال سير مايلز « وهذه التفاصيل التى أرويها هنا قصها على المرحوم حسنين باشا » قال :
ــ لقد كان كلامى واضحا وهو ان الحكومة البريطانية تنصح باسناد الحكم الى وزارة وفدية أو على الاقل الى وزارة يؤيدها الوفد
وقال حسنين وقد تظاهر بالدهشة ..
ــ ولكن حسن صبرى باشا صديقكم .. وقد اخترناه بالذات لهذا السبب ..
قال السفير :
ــ نعم حسن صبرى صديقى .. ولكن يا باشا الصداقة شىء والسياسة شىء آخر .. ووزارة حسن صبرى لا هى وزارة وفدية

ولا هى وزارة يؤيدها الوفد ..

وأجاب حسنين وهو يمعن فى اظهار الدهشة والأسف :

ــ أذن فهذه غلطتى أنا . وأنا المسئول عن هذا الخطأ .. ولكننى أقول انصافا لنفسى اننى حرصت عند اختيار أعضاء الوزارة على أن يكونوا جميعا من أصدقائكم .. حرصا على توافر التعاون الذى لا بد من وجوده فى الظروف الحاضرة بين السلطات البريطانية والسلطات المصرية .. ومن هنا اخترنا حسن صبرى .. ومحمود فهمى القيسى أليس صديقا لكم ..؟

وراح حسنين باشا يذكر أسماء أعضاء الوزارة الجديدة ويشفع كل اسم منها بنفس السؤال « اليس صديقا لكم ؟ » ثم أنهى حديثه ودفاعه بأن الغلطة غلطته هو .. وانه المسئول عن هذا الخطأ المؤسف ، ولكن يشفع له حسن نيته ..

ورضى سير مايلز أو تظاهر بالرضا . ووقفت المسألة عند هذا الحد ..

***

وكان على ماهر باشا مغيظا حانقا .. بسبب ارغامه على الاستقالة وترك الحكم ..

وأشاع انصاره وذيوله أنه ذهب ضحية شجاعته ووطنيته ومواقفه ضد مطالب الانجليز .. وصدق فريق كبير من الجمهور هذه الدعوى .. وتمتع على ماهر باشا (بالبطولة) ولقب (البطل) بضعة أسابيع.

ولكن الحقائق لم تلبث أن تكشفت فعرف الجمهور أن السيد على ماهر كان يريد ــ غداة قيام الحرب ــ أن تعلن مصر الحرب ضد المانيا وتقف الى جانب بريطانيا وفرنسا .. وأن السيد على ماهر تلقى خلال الشهور التى امضاها فى رئاسة الحكم ثلاثة وثلاثين خطابا من الجنرال ويلسون يشكر فيها رفعته على ولائه وصادق تعاونه مع السلطات البريطانية .

تكشفت هذه الحقائق .. وسقط ثوب البطولة عن رفعة الرئيس السابق .

ومع ذلك فان على ماهر «باشا» لم يسكت.. بل انطلق يقيم العراقيل ويخلق المتاعب فى طريق وزارة حسن صبرى وكان رفعته لا يزال محتفظا بشيء من نفوذه عند فاروق .

وذهب عبد الوهاب طلعت « باشا » صديق على ماهر او الذى كان صديقه الى يوم استقالته من رياسة الوزارة .. ذهب الى حسن صبرى باشا وقال له ان على ماهر يشنع عليك ويتهمك بانك صنيعة الانجليز وانك ...

ولكن المرحوم حسن صبرى باشا لم يتركه حتى يتم حديثه بل قال له :

ــ أن على ماهر صديقى.. وأنا لا اسمح لك بأن تطعن فى أخلاقه امامى .. وخصوصا انك كنت صديقا له ..

***

وقال حسنين باشا وهو ينهى هذه التفاصيل :

ــ وهكذا القى حسن صبرى باشا درسا فى الاخلاق على عبد الوهاب طلعت .. وعلى ماهر فى الوقت نفسه .

ثم حدثنى رحمه الله عن سبب أختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة..وعدم الاخذ بنصيحة سير مايلز لامبسون وهى اسناد الحكم الى وزارة وفدية أو وزارة يؤيدها الوفد .. قال :

لقد كان رأيى دائما ان الوفد هو القوة الشعبية الوحيدة فى هذا البلد وانه بهذه الصفة أحق بالحكم من جميع الاحزاب الاخرى لانه يتمتع بثقة الناخبين . وانا اعتقد كذلك ان الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص حقوق البلاد من الانجليز .. ولقد عملت ولا أزال اعمل على تسوية جميع الخلافات بين الملك ومصطفى النحاس وازالة اسباب سوء التفاهم التى خلفها عام ١٩٣٧ وما تلاه..وهذه خطوة لا بد منها قبل عودة المياه الى مجاريها الطبيعية اى قبل عودة الوفد الى تولى الحكم . ومن هنا تفهم لماذا رفضت ان اعمل بنصيحة سير مايلز لامبسون..لان العمل بهذه النصيحة كان معناه أن الوفد .. وهو القوة الشعبية الوحيدة . وقوتها فى استخلاص حقوقنا من انجلترا ، انما يعود الى الحكم بارادة الانجليز وهذا امر

ليس فى مصلحة البلاد ولا فى مصلحة الملك ولا فىمصلحة الوفد نفسه .. واظن انك توافق على انه من مصلحتنا جميعا انه اذا عاد الوفد الى الحكم فيجب ان يعود بالطريق الشرعى السليم أو بموافقة صاحب العرش لا بارادة الانجليز .

ثم قال رحمه الله وهو يبتسم :

ــ ورايت أن نقوم بمناورة تمويه وتضليل ذرا للرماد فىعيون السفير البريطانى فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس « باشا » فى كفر عشما.. لكى الفت انظار السفارة وعيونها الى كفر عشما واصرفها عما يجرى فى القاهرة ، وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عشما كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرىواعضاء وزارتهواعددت المراسيم بتشكيلالوزارة.. وفوجىء السفير البريطانى بوزارة حسن صبرى وبالامر الواقع. صحيح أن حسن صبرى باشا صديق للسفير وللانجليز ، ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدى فقد كان اغفال نصيحة السفير البريطانى تحديا منا لا شك فيه .. ولكن حسنصبرى مع ذلك مصرى وطنى مخلص لبلاده قبل كل شيء .

***

هذا هو مجمل حديث المرحوم أحمد محمد حسنينعن الظروف والاسباب التى دعت لاختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة فى شهر يونية عام ١٩٤٠ . وللتاريخ وحده أنيحكمعلى سياسة حسنين باشا ..وهل أصاب فيهاأو اخطأ ؟..وهل قيام وزارة وفدية..او وزارة يؤيدها الوفد فى يونية ١٩٤٠كانيجنب مصر مذلة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وهل أغفل « نصيحة » السفير البريطانى كان السبب فى وقوع الحادثالمشئوم المذكور ام لا ؟.

كل هذه الأسئلة فرضية سوف يجيب عنها التاريخ .

تولت اذن وزارة حسن صبرى باشا الحكم ..وكاناول طلب جاءها من السلطات البريطانية هو « أعتقال على ماهر باشا بسبب نشاطه العدائى ضد بريطانيا وحلفائها » .

ورفض حسن صبرى هذا الطلب بالرغم مما كان يعرفه عن نشاط على ماهر ضد وزارته ومساعيه لاسقاطها والاشاعات التى كان يذيعها عنه وعن الوزارة ..

ولكنه ـ اى حسن صبرى ـ اوفد رسولا الى على ماهر يبلغه ما حدث وينصحه بالاخلاد للسكينة والكف عن « التشنيع » فى مجالسه الخاصة على بريطانيا وحلفائها .

ولم يعمل السيد على ماهر بالنصيحة.. بل استمر فى نشاطه العدائى ضد الانجليز وضد حسن صبرى الذى رفض أن يعتقله .

وعاد المرحوم حسن صبرى واوفد رسولا آخر الى السيد على ماهر وكان الرسول فى هذه المرة هو الدكتور أحمد ماهر شقيق على ماهر .

وكانت النصيحة هذه المرة أن يغادر على ماهر باشا القاهرة الى قصره الاخضر فى ريف البحيرة .

وعمل على ماهر بالنصيحة وسافر الى القصر الاخضر واقام فيه يومين اثنين ثم عاد الى القاهرة .

***

ولا اعرف لماذا أو كيف.. ولكن حسن صبرى باشا ـ وبعد شهر واحد من توليه الحكم ـ تقدم الى فاروق يلتمس تعيين احمد حسنين باشا رئيسا للديوان.. وكانت حجته ان المنصب المذكور شاغر منذ عام ، وانه مادام حسنين باشا هو الذى يقوم فعلا بأعمال رئيس الديوان فان من المرغوب فيه ان يعين رسميا فى المنصب المذكور.

وأعتقد ـ وان كنت أعترف ان ليس تحت يدى دليل يبرر هذا الاعتقاد أعتقد أن حسن صبرى باشا انما تقدم بهذا الطلب استجابة لرغبة وتلميح من حسنين باشا . او لعله أراد ان يكافىء حسنين على حسن صنيعه يوم أشار باختياره رئيسا للوزارة التى خلفت وزارة على ماهر .

وعلى كل حال فان فاروق رفض فى اول الامر ان يعين حسنين رئيسا للديوان ..لانه كان يريد أن يحتفظ بالمنصب المذكور لعلى ماهر باشا. ولم يكن ينتظر سوى الفرصة المناسبة التى تتحسن

فيها العلاقات بين الانجليز وعلى ماهر.. لكى يعيده رئيسا للديوان.
ولكن حسن صبرى لم يسكت بل مضى يكرر هذا الطلب أو هذا الترشيح.. وفاروق يرفض.. حتى نشأ ما يشبه الازمة الوزارية لان حسن صبرى جعل بقاءه فى رئاسة الوزارة رهنا بتعيين احمد حسنين رئيسا للديوان .

واخيرا ــ وكان ذلك فى شهر اغسطس ١٩٤٠ على ما أذكر ــ وافق فاروق وصدر الامر بتعيين احمد محمد حسنين باشا رئيسا لديوان « جلالة الملك » .

وتحقق لحسنين باشا ما كان يتمناه منذ عام ١٩٣٧ .

***

ولكن الاجل لم يطل بالمرحوم حسن صبرى باشا ، فبينما كان يلقى « خطاب العرش » فى يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر ١٩٤٠ اصيب بنوبة قلبية .. وفاضت روحه رحمه الله فى قاعة مجلس النواب .

وفى مساء نفس اليوم صدر مرسوم ملكى يكل الى عبدالحميد سليمان باشا القيام بأعمال رئيس الوزارة .. ريثما تتم المباحثات والاستشارات بشأن اختيار الذى يخلف حسن صبرى باشا فى رئاسة الوزارة .

وكان هذا المرسوم مناورة تمويه وتضليل اخرى من حسنين باشا رئيس الديوان لان السفارة البريطانية فهمت ــ كما فهم الناس ــ من انابة عبد الحميد سليمان باشا للقيام بأعمال رئيس الوزراء ان امر اختيار الرئيس الجديد للوزارة قد يطول ويستغرق بضعة ايام .

ولكن السفارة والسفير والوفد والاحزاب.. كل هؤلاء فوجئوا بعد يوم واحد باختيار حسين سرى « باشا » رئيسا للوزارة .

***

وقص على حسنين رحمه الله تفاصيل ما حدث فى مساء يوم وفاة حسن صبرى باشا فقال :

ــ كلمنى الملك بالتليفون فقلت له : « هل يأذن لى مولانا بمقابلته ؟ »

فقال : « أيوه . لكن خليك فى مكتبك وانا جاى عندك » .
وجاء فاروق وجلس وقد تكلف هيئة الجد . . وعرض على رياسة الوزارة . . وكان على ماهر باشا هو السياسى الوحيد الذى استقبله الملك سرا بعد وفاة حسن صبرى باشا واستشاره فى الموقف . . وادركت ان ترشيحى لرياسة الوزارة جاء من جانب على ماهر . . وانه مقلب من رفعته . . لكى يتخلص منها نهائيا . . يعنى ابقى رئيسا للوزارة اسبوعين او شهرا ثم اقال او ارغم على الاستقالة واخرج من السراى الى دارى لابقى فيها نهائيا .
ادركت هذا بالبديهة ، ولأن فاروق الذى كان يعارض ويرفض تعيينى رئيسا للديوان لا يمكن ان يكون هو صاحب فكرة تعيينى رئيسا للوزاره . . الفكرة اذن فكرة على ماهر ولغرض خبىء . .
ومضى حسنين فى حديثه فقال :
ــ واعتذرت بأدب من عدم قبول المنصب الكبير .
وقال لى الملك : « لاتتسرع . . فكر شوية كمان وسوف أعود اليك » وتركنى وانصرف . . وهنا دخل على عبد الوهاب طلعت باشا فطلبت منه أن يوافينى بدوسيهات رؤساء الوزارات والوزراء السابقين وفى ادارة المحفوظات بقصر عابدين ملف أو « دوسيه » خاص لكل رئيس وزارة سابق وكل وزير سابق وكل زعيم سياسى من الساسة المصريين .
وعاد الملك وسألنى :
ــ هيــــه ؟
وقلت له :
ــ يا تقعدنى جنبك . . يا تخرجنى من السراى .
قال : يعنى ايه ؟
قلت : أنا لا أصلح لهذا المنصب ، ثم ان الناس سوف تقول ان حسنين ربى فاروق وكسب نفوذا عنده لكى يستغل هذا النفوذ ويعمل نفسه رئيس وزارة بينما فى البلد عشرات ممن يصلحون خيرا منه لهذا المنصب .

وهنا تساءل فاروق : زى مين يعنى ؟
قال حسنين : هذا ما ابحث فيه الآن .
قال فاروق : ضرورى هذا المساء .. تقول لى مين .
قلت : سمعا وطاعة .. سوف اقدم اسم المرشح هذا المساء .

***

وخرج فاروق .. ووضعت امامى (الدوسيهات) التى كان جاءنى بها عبد الوهاب طلعت .. وفتحت بعضها .. حتى يظن من يدخل وينظر اليها اننى كنت ابحث فيها .. ولكننى لم احاول ان ابحث لاننى كنت اخترت فعلا اسم المرشح لرياسة الوزارة .

وعاد فاروق بعد نحو ساعة وسألنى : « مين بأه يا سيدى الذى ترشحه ؟ » .

قلت : حسين سرى .

وصاح فاروق : أعوذ بالله ده راجل بتاع الانجليز . مش ممكن شوف لك حد تانى .

وتركنى وخرج .

وجلست انتظر عودته .. وكنت اعرف ان فاروق لا يستريح الى حسين سرى ولا يحبه رغم وجود صلة النسب العائلية ورغم اجتماعه به مرارا فى سهرات الاسرة ، فقد كان حسين سرى زوجا للسيدة خالة « الملكة فريدة » .

كنت أعرف هـذا ولكننى مع ذلك صممت على التمسك بترشيح حسين سرى لرياسة الوزارة .

وعاد فاروق وسألنى : هيه ؟ وجدت مين غير حسين سرى ؟
قلت : مش لاقى حد تانى يامولانا .. مفيش قدامى غير حسين سرى ..

وانفجر فاروق غضبا وصاح :
ـ ايه الحكاية ؟ دى مؤامرة انجليزية والا ايه ؟

وطفرت دمعة من عينى ـ هكذا قال لى حسنين .. ولا ادرى هل كانت دمعة صادقة أم كانت دمعة تمثيل ؟ فقد كان حسنين رحمه الله

يجيد التمثيل ويعرف كيف يندمج فى دوره .

وتأثر فاروق ـ فقد كنا لا نزال فى عام ١٩٤٠ وكان قلب فاروق لم يتحجر بعد . . تأثر فاروق وتقدم من حسنين وقبله واعتذر اليه .

ثم قال : لكن يا حسنين مش فاهم سر تمسكك بحسين سرى . اشمعنى يعنى حسين سرى وده بتاع الانجليز ؟

وأجاب حسنين :

ـ معاذ الله ان ارغم مولانا على قبول أمر ما ، ولكننى اعتقد اننى أستطيع أن أخدم جلالتك واخدم البلد وانا فى منصب رئيس الديوان وحسين سرى فى منصب رئيس الوزراء . . فاذا لم يوافق مولانا فانى التمس منه ان يتركنى اروح بيتى . .

ـ يعنى ايه . . تفوتنى ؟ .

قال حسنين :

ـ لا يا مولانا . . وانما علشان يكون مولانا حر فى اختياره وفى سياسته .

وعاد فاروق يتساءل :

ـ يعنى عايز تسيبنى دلوقت ؟ .

وهنا انطلق حسنين يتحدث عن حبه واخلاصه لفاروق وعن الخدمات التى اداها له . . وعن كيف كان يأمل انه قد كسب ثقة « مولاه » الملك ، ولكنه قد أدرك مع الأسف من حديث اليوم أن « مولاه » لا يثق فيه .

واغرورقت عيناه مرة اخرى . .

واغرورقت عينا فاروق . . وقبل حسنين مرة اخرى . . وهنا راح حسنين يشرح لفاروق سبب ترشيحه لحسين سرى فقال :

ـ يعرف مولاى ان سياستى هى هى لم تتغير منذ اول يوم استلمتك فيه وانت امير . وسياستى هى أن تكون لك حقوقك . . وحسين سرى مهما يكن رأى مولانا فيه فانه نسيبك وهو احرص الناس على حقوقك . . ونحن فى ظروف حرب عالمية ومفاجآت دولية خطيرة . . والحكم الآن فى أيدى احزاب اقلية لاتمثل البلاد . . والوفد صاحب الاغلبية

الحقيقية مقصي عن الحكم .. وتعيين رجل مستقل غير حزبي مثل حسين سري في رياسة الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفد للسراي. ثم أن حسين سري رجل مقبول عند الانجليز .. وسوف يسكتون على تعيينه كما سبق أن سكتوا على تعيين حسن صبري ولا يلحون ولا ينذرون بوجوب قيام وزارة وفدية .. يعني اننا بتعيين حسين باشا سري نتفادى الاصطدام الآن بالانجليز .. وحسين سري كذلك هو الوحيد الذي سوف يرضى بتنفيذ سياستي بل ويرضى بمساعدتي فيها .. وسياستي هي التمهيد لعودة الوفد الى الحكم بعد أن يقدم الوفد لمولانا الترضية الكافية والضمانات الكافية على عدم تكرار ما فعلوه في سنة ١٩٣٧ .

ولما انتهى حسنين من بيانه او من دفاعه .. هز فاروق رأسه موافقا وقال :

ـ وهو كذلك .. فتشوا عن حسين سري .

وكان الوقت بعد منتصف الليل .

وراح الرسل والتليفونات تبحث عن حسين سري .. ووقف عبد الوهاب طلعت باشا بباب السراي ينتظر وصول رئيس الوزارة الجديد .. فلما وصل استقبله بالاحضان وهنأه .. فكان أول المهنئين .

قال حسنين : « ويظهر ان عبد الوهاب باشا أراد أن يفهم حسين سري انه هو صاحب الفكرة او صاحب الفضل في اختياره لرياسة الوزارة .. » .

واشهد ان حسنين رحمه الله كان مخلصا في تنفيذ سياسة التمهيد لعودة الوفد الى الحكم . وكان يصارح بها الساسة والزعماء الذين يطمئن اليهم ويثق في سلامة تقديرهم وحكمهم ومنهم الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الاحرار الدستوريين .

روى لي حسنين ان الدكتور هيكل زاره ذات يوم بعد قيام وزارة حسين سري وقال له :

ـ قل لي بأه يا أبو الحسن .. وسيبك من شغل المشيخة والدروشة بتاعتك .. ايه بالضبط سياستك دلوقت ..؟

فشرحت له سياستى وهى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم لانه صاحب الاغلبية الحقيقية . هذا مع قيام حياة نيابية سليمة ووجود معارضة صالحة قوية تؤدي مهمتها على الوجه الصحيح ، هذا مع الحد من طغيان الاغلبية والعمل على وجود معارضة قوية ..

ووافقنى الدكتور هيكل على سياستى هـــذه وتمنى لى التوفيق فى تنفيذها .

***

قامت وزارة حسين سرى فى نوفمبر عام ١٩٤٠ ، واقبل صيف ١٩٤١ وذهب مصطفى النحاس باشا ومكرم باشا الى مصيف رأس البر ليمضيا الصيف .. فى أمان من الغارات الجوية .

وذات يوم هبط على رأس البر الاستاذ مصطفى امين الذى كان يومئذ رئيسا لتحرير مجلة الاثنين .

وقال مصطفى امين للاستاذ مكرم عبيد انه جاء يحمل رسالة من رئيس الديوان احمد حسنين باشا . وفحوى هذه الرسالة انه اذا التمس « رفعة » رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا مقابلة « جلالة الملك » فان التماسه سوف يجاب فى الحال .

وكان مصطفى النحاس لم يقابل الملك فاروق منذ اقيلت وزارته فى ديسمبر ١٩٣٧ وكان المعنى واضح من هذه الرسالة او هذه المقابلة المطلوبة ان السراى تخطو الخطوة الاولى فى سبيل التمهيد لعودة المياه الى مجاريها بين صاحب العرش .. وبين الوفد صاحب الاغلبية فى البلاد .

ورحب الاستاذ مكرم عبيد بهذا الطلب .. وذهب لفوره وابلغه للسيد مصطفى النحاس .

ولكن النحاس باشا تشكك فى صدق الرسالة وفى صدق الرسول مصطفى امين وقال ما معناه ان هذا كله «كلام فارغ وتخدير اعصاب»

وكان رفعته ولا شك متأثرا بمناورة كفر عشما يوم زاره عبد الوهاب طلعت باشا ليستشيره باسم فاروق فى الموقف السياسى بعد

نلغراف لورد هاليفاكس .. وكيف فوجىء بعدها بتأليف وزارة حسن صبرى باشا .

تشكك اذن مصطفى النحاس باشا فى جدية رسالة الاستاذ مصطفى امين .

واخيرا قال الاستاذ مكرم عبيد : ان الدليل على جدية أو عدم جدية الرسالة هو ان يطلب الاستاذ مصطفى امين بالتليفـــون حسنين باشا ويحدثه امامنا فى الموضوع .

ووافق مصطفى النحاس باشا وطلب مصطفى امين قصر عابدين بالتليفون . وقال أعطونى حسنين باشا واعطوه حسنين باشا .

وقال مصطفى :

ـ مكرم باشا واقف جنبى وعاوز يسمع منــك الـكلام الذى طلبت منه ابلاغه لمصطفى النحاس باشا .

وناول مصطفى امين سماعة التليفون لمكرم باشا عبيد .. وقال حسنين لمكرم نفس الكلام الذى كان نقله اليه مصطفى أمين . واضاف ان مقابلة النحاس للملك امر مرغوب فيه وخطوة اولى لا بد منها .

وسأله الاستاذ مكرم عبيد :

ـ وهل احضر انا ايضا الى القاهرة مع مصطفى باشا .. ؟

وقال حسنين باشا :

ـ نعم ، يستحسن لو معاليك حضرت كمان .

وهنا قال مكرم باشا :

ـ اذن وانا التمس مقابلة جلالة الملك باسم مصطفى النحاس وباسمى .

واجاب حسنين باشا :

ـ والالتماس مقبول .

وحدد حسنين باشا موعدا للمقابلة « الملكية الكريمة » .

***

وغادر النحاس باشا ومكرم باشا مصيف راس البر الى القاهرة .

وفى القاهرة عرف مكرم عبيد باشا ان المقابلة مقصورة على النحاس باشا وحده .

وغضب مكرم وتساءل عن معنى دعوته للحضور الى القاهرة وهل دعوه للحضور لكى يبلغوه ان الملك يريد أن يستقبل النحاس باشا وحده ..؟

***

وتمت المقابلة .. بين فاروق والنحاس .

وتحدث فاروق عن الموقف وعما يلقاه من عنت الانجليز واضطهادهم له وسأل رئيس الوفد هل يقف الوفد الى جانبه اذا اصطدم يوما بالانجليز ..؟

وتحمس مصطفى النحاس واعلن انه وجميع الوفديين يفتدون « الملك » بدمائهم ورقابهم .

ومرر « رفعته » بيده على عنقه تأكيدا لمعنى الفداء .. ثم اخرج من جيبه مصحفا وأقسم عليه انه ورجال الوفد مخلصون لفاروق وانهم . . وانهم .. الى آخره ..

وهكذا محت هذه المقابلة جميع الآثار السيئة التى كانت خلفتها اقالة وزارة النحاس باشا فى ديسمبر ١٩٣٧ .

وخرج النحاس باشا من مقابلة فاروق ، وهو يدعو له ولعرشه بالعز والتأييد .

***

وعاد النحاس ومكرم الى مصيف رأس البر .

ولم يمض على عودتهما أيام معدودة حتى اقام بعض كبار الوفديين من المصيفين حفلة تكريم لمصطفى النحاس — ولعلها كانت حفلة موعزا باقامتها — وقام النحاس والقى خطبة شن فيها على الانجليز حملة شعواء .. واذكر انه قال بين ما قاله ان انجلترا تزعم انها تحارب من أجل الديمقراطية والحريات ، بينما هى تحارب الديمقراطية وتضطهد الحريات فى مصر .

... ثم دعا رئيس الوفد لجلالة الملك المفدى .. فاروق ، وأعلن

اخلاصه واخلاص الوفديين لصاحب العرش المجيد .

***

وكان هذا كما قلت فى أواخر صيف عام ١٩٤١ .

واهتزت مقاعدوزارة حسين سرى تحت اصحابها . . وحسب الناس ان ايام هذه الوزارة « الائتلافية » المؤلفة من احزاب الاقليات . . حسبوا ان ايامها معدودة وان الوفد يوشك أن يعود الى الحكم ولكن . .

***

ولكننى أعود اليوم الى الحديث عن سياسة حسنين وهى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم وكيف سار فيها وكيف عمل على تنفيذها . . وهل هو اخطأ فى مماطلته وتسويفه . . ؟

قال لى المرحوم حسنين باشا فى حديث طويل فى مساء يوم ٩ مارس عام ١٩٤٢ :

ـ لقد كان دائما من رأيى ان نظام الحكم القائم فى مصر نظام غير طبيعى وغير مأمون ولا مرغوب فيه ، اذ ان الحكم كان فى يد احزاب الاقلية . . بينما تقوم الاغلبية بمهمة المعارضة . . وهذا وضع مقلوب ومن هنا بدأت أعمل لتصحيح الاوضاع واعادة الامور الى سيرها الطبيعى . . اى اغلبية تحكم واقلية تعارض . .

وذات يوم ـ وقد أحسست أن الجو المناسب مهيأ تماما ـ قلت للملك :

« أظن يا مولانا أن وزارة حسين سرى تعبت خلاص » .

فقال لى : ايوه . . والورقة اللى فاضلة هى مصطفى النحاس .

***

وكنا فى أواخر صيف ١٩٤١ وكانت أحاديث الخلاف بين السعديين والدستوريين وبينهم وبين رئيس الوزارة حسين سرى على الالسنة فى الاندية والمجتمعات . . وكان حسين سرى يرسل من وقت لآخر لسانه بكلام مقذع شديد فى حق بعض اقطاب السعديين حتى انه تحدث مرة أمام بعض الكبراء فقال عن قطب سعدى كبير انه يأوى اللصوص فى عزبته ويحميهم وان له دوسيها خاصا بين دوسيهات المشبوهين بوزارة الداخلية ، ومع ذلك ـ هكذا قال حسين سرى ـ

ومع ذلك فان السعديين يطلبون منى تعيين « المشبوه » المذكور وزيرا . .؟!

ومضى حسنين يقول : وكانت اخبار هذا الخلاف تصل الى الملك أولا بأول . ومن هنا وافقنى على رأيى عندما قلت له ان وزارة حسين سرى تعبت خلاص ..

ثم قال حسنين :

ــ لكن الملك دخل على فى صباح اليوم التالى لحديثنا ، وقال انه يرحب بقيام وزارة على راسها مصطفى النحاس .. بس بشرط ان تكون وزارة ائتلاف تمثل فيها جميع الاحزاب ..

ولابد أن يكون الملك قد أفضى برأيه هذا ــ أو بحديثنا كله ــ الى آخرين من رجال الحاشية لأن الخبر بلغ رئيس الوزارة حسين سرى باشا فقد زارنى فى مكتبى وقال لى بلهجة غضب وعتاب مر :

ــ طيب يا اخى ما تجيب اصحابك الوفديين فى الحكم وتخلص مرة واحدة بدل ما تمرمط فى كده ..

***

والآن نلخص الموقف فى أواخر صيف ١٩٤١ ..

فاروق تصالح مع مصطفى النحاس ..

مصطفى النحاس يخطب ويمتدح « المليك المفدى فاروق » ويسب الانجليز أعداء البلاد ..

فاروق يفوض رئيس ديوانه حسنين فى اعادة الوفديين الى الحكم على شرط ان تكون الوزارة ائتلافية تمثل فيها الاحزاب تحت رئاسة مصطفى النحاس ..

وبدأ حسنين فى تنفيذ الخطوات الاخيرة وهى اقناع الوفد والاحزاب الإخرى بالاتفاق على هدنة وقبول الاشتراك فى الحكم .

وقيل يومئذ ان الاستاذ مكرم عبيد تعهد باقناع النحاس باشا بقبول رئاسة الوزارة الائتلافية ..

واقتنع النحاس باشا فى وقت ما وأعلن فى حديث له انه يمد يده

الى الجميع من أجل العمل فى هـذه الظروف الخطيرة لمصلحة البـلاد العليـا .

ولما لم تجب الاحزاب على هذه الدعوة .. عاد « رفعته » واعلن انه « قبض يده الممدودة » . وأن الحكم للامة وللناخبين . أى انه رفض الأئتلاف وتوزيع كراسى الوزارة ، وعاد الى طلبه القديم. وهو الاحتكام للشعب فى انتخابات تجرى .. والحكم يكون لمن يفوز ..

***

ومر عام ١٩٤١ ..

واقبل عام ١٩٤٢ .. وقد بدأ ثعلب الصحراء المراوغ ماريشال روميل كما وصفه يومئذ ونستون تشرشل ، بدأ يتحرك من مكمنه .

وكان الانجليز قد سمعوا طبعا وعرفوا بمساعى حسنين لاعادة الوفديين الى الحكم .. وسمعوا طبعـا وعرفوا بمقـابلة فاروق لمصطفى النحاس . وسمعوا طبعا بخطبة النحاس باشا فى راس البر وكيف انه حمل عليهم وأسماهم أعداء الديمقراطيـة وجـلادى الحريات . وان رفعته القى هذه الخطبة بعد مقابلته لفاروق ..

اذن .. فان فاروق ضدهم ، والوفـد ورئيسه ضـدهم ، والرأى العام فى مصر ضدهم ..

***

واحس حسنين انه فى سباق مع الزمن فذهب الى فاروق يقول ان السعديين والدستوريين قد ركبهم الفرور أو لعلهم قد أستعذبوا الحكم بعد بقائهم فيه أربع سنوات ، ومن هنا لا يريدون أن يخطوا من جانبهم خطوة الى الوفديين ، بل ذهبوا يتدللون ويشترطون قبل قبولهم الائتلاف ان ينزل لهم الوفد عن كذا وكذا من الدوائر وان يكون لهم فى الوزارة كذا وكذا من المقاعد ، وان النحاس باشا يرفض وقد عدل عن رأيه وعاد واسترد يده الممدودة .. فماذا نعمل ..؟

وقال فاروق .. « وهذا كلام حسنين باشا » ..

ــ اذن هات النحاس باشا على شروطه ..

أى أن فاروق رضي بعودة النحاس باشا والوفـــد الى الحكم بلا قيد ولا شرط ..

ولكن حسنين لم يصدع بأمر فاروق ، ولم يبادر الى الاجهـاز على وزارة حسين سرى المتعبة .. والعمل على عودة النحاس الى رياسة الحكم بدون قيد أو شرط .. بل استأنف مساعيه عنـد الوفد وعند الاحزاب من أجل الاتفاق والائتلاف ..

وكانا عز عليه أن يسلم بفشله فى تأليف الوزارة القومية . ومن هنا عاود الـكرة ..

وقد يتساءل قارىء : ولماذا كان قد ذهب الى فاروق وابلغه أن النحاس قد استرد يده الممدودة وانه يرفض الائتـلاف ..؟ وبالغ فى وصف الصعوبات التى يلقاها ..؟

والرد .. لكى يحمل فاروق على اعطائه تفويضا مطلقا بالعمل .. أو بعبارة أخرى لكى يحصل على تفويض على بياض ..

اذا نجحت مساعيه وأفلح فى حمل الوفد والاحزاب على الاتفاق فيما بينهم وتأليف وزارة قومية عاد الى فاروق ــ وقد تضاعف فوزه وقدره ــ وقال : « لقد حققت لمولانا رغبته ومع ان مولانا قد فوضنى فى عودة النحاس الى الحكم على شروطه فاننى قد نجحت فى عودة النحاس الى الحكم على شروط مولانا .. »

واذا لم تنجح مساعيه وأصرت الاحزاب على موقفها ومساوماتها .. وأصر النحاس باشا على استرداد يده التى كان مدهـــا الى الاحزاب .. عاد حسنين الى فاروق وقال : « لقد صدعت بأمر مولانا وأعدت النحاس باشا الى الحكم بدون قيد أو شرط » .

فى الحالة الاولى .. يكسب حسنين كثيرا لأنه جاء فاروق بكسب يفوق ماكان يطلبه. وفى الحالة الاخرى ، لا يخسر حسنين شيئا لانه لم يفعل شيئا سوى تنفيذ اوامر « مولانا » فاروق ..

تلك اخلاق حسنين .. أو تلك كانت سياسته ..

***

حـادث ٤ فبـراير

وهكذا .. مضت الايام .. وحسنين يسعى ويفاوض ويساوم رجال الاحزاب .. لانه كان حريصا على الفوز وعدم الهزيمة ..

ولكن خوفه من هذه الهزيمة كان سببا فى اصابته باكبر هزيمة حلت به فى حياته السياسية ، واعنى حادث ٤ فبراير ..

ذلك انه اغفل الحقيقة التى كان أدركها منذ اسابيع أو منذ شهور قليلة ، وهى انه فى سباق مع الزمن .. أو لعله لم يقدر سرعة هذا الزمن ..

او لعل انتصاره على مايلز لامبسون يوم فاجأه بالأمر الواقع وتعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة .. ويوم فاجأه مرة ثانية بوزارة حسين سرى .. لعل انتصاره فى هذين الحادثين ملأه ثقة بنفسه ، ومن ثم اراد ان يفاجىء الانجليز بقيام الوزارة الوفدية التى طالما الحوا فيها وتمنوا قيامها .. ولكنها وزارة وفدية تأتى الى الحكم بارادة فاروق ...

وبفضل من فاروق لا بارادة الانجليز او بمشورتهم أو بفضل منهم ..!

ويا له من انتصار لاحمد محمد حسنين ..! هاكم وزارة الوفد برياسة مصطفى النحاس ..

هاكم الوزارة التى تطلبونها وتقدمون لنا الانذارات بسببها .. ولكنها وزارة تلى الحكم وهى تلعنكم وتلعن سياستكم وتتهم حكومتكم بانها تحارب الديمقراطية والحريات ..

نعم .. يا له من انتصار لاحمد حسنين .. او هكذا قدر احمد حسنين ..

ولكن رئيس الديوان المناور الداهية أخطأ هذه المرة فى الحساب ، وفى تقدير مدى خبث السياسة البريطانية .. او المدى الذى يمكن ان تذهب اليه اذا تحرجت الامور واحست ان مصالح بريطانيا فى خطر ..
أخطأ فى الحساب والتقدير وترك الانجليز يسبقونه ..

***

قلت ان ثعلب الصحراء ماريشال روميل تحرك من مكمنه ..
وفى شهر يناير سنة ١٩٤٢ بدأ روميل هجوما عنيفا على الجيش البريطانى فى الصحراء . وأوفدت لندن وزير الدولة مستر ليتلتون الى القاهرة لكى يساعد وجوده فى منطقة الخطر على اتخاذ قرارات سريعة من غير حاجة الى استشارة لندن فى كل كبيرة وصغيرة ..
وطلب مايلز لامبسون من السراى تحديد موعد يتشرف فيه وزير الدولة البريطانى مستر ليتلتون بمقابلة « جلالة الملك » .
ولكن السراى أبقت وزير الدولة والسفير ثلاثة أيام فى انتظار الرد ..
وكانت اهانة أغضبت الوزير والسفير .. أو هكذا قال لى حسنين رحمه الله وهو يشرح لى اسباب حادث ٤ فبراير ..
روميل يشن هجوما عنيفا فى الصحراء الغربية وهزائم الجيش البريطانى تتوالى .. ومواقعه الحصينة تسقط تباعا فى ايدى جيش روميل ..
النحاس باشا يخطب ضد الانجليز ، وزارة حسين سرى استقالت بسبب الازمة التى كان بطلها الاستاذ صليب سامى وزير الخارجية يومئذ وهى الازمة التى عرفت باسم ازمة وزير فيشى المفوض ..
الرأى العام فى مصر هائج ضد الانجليز .. يصفق ويهتف لكل انتصار يحرزه روميل وكل هزيمة تقع بالانجليز .. والمظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بسقوط انجلترا وحياة روميل ..
وكان انقلاب بطله رشيد عالى الكيلانى وقع منذ شهور فى العراق .. واضطر الوصى على العرش يومئذ الامير عبدالاله أن يغادر بغداد

ويلجأ الى البصرة.. والسيد نورى السعيد ان يسافر من بغداد ويلجأ الى القاهرة .. لأن الانقلاب كان ضـــد الانجليز وضـــد اعوانهم فى العراق ..

وخشى الانجليز أن تمتد هذه النار أو هذه المظاهرات من القاهرة الى الارياف .. وان يحدث فى مصر ما حدث فى العراق .. فتكون الضربة قاضية على خطوط مواصلاتهم الخلفية ، بينماهم يحاربون روميل .. ومن هنا قرروا ان يعملوا وبسرعة ..

والمصرى الوحيد الذى كان على علم سابق بما ينوى الانجليز عمله هو « المرحوم » أمين عثمان .. بل لعلهم أستشاروه أو لعله هو الذى اشار عليهم بما يفعلونه ..

اريد ان أقول ان مصطفى النحاس ومكرم عبيـــد كانا بريئين تماما من جريمة تدبير حادث ٤ فبراير .

ولـكننى لا أستطيع أن انفى عن مصطفى النحاس انه استفاد من الحادث المذكور ..

***

وعقد كبار الانجليز فى مصر مجلسا برئاســـة مستر ليتلتون وحضور السفير مايلز لامبسون وكبار قواد الجيش البريطانى .. وفى الجلسة المذكورة تقرر تقديم الانذار البريطانى المعروف الى فاروق بوجوب تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة .. والا .

.. وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ..

وقبل النحاس باشا رياسة الوزارة رغم الحاح الزعماء عليـه بعدم القبول فى هذه الظروف أو على الاقل بتأليف وزارة قوميـة انقاذا للمظاهر لوجه مصر وحتى لا يقال انـنا خضعنا .. للانذار البريطانى ونفذناه بحروفه ..

***

واليكم التفاصيل ..

قلت فى الفصول السابقة أن السفيرالبريطانى كان طلب من رئيس الديوان احمد محمد حسنين قيام وزارةوفدية او على الاقل وزارة

يؤيدها الوفد .. وان حسنين ناور وداور وفاجأ مايلز لامبسون بوزارة على رأسها حسن صبرى باشا .. ومرة أخرى بوزارة حسين سرى باشا .. وسكت السفير البريطانى ، ولكن على مضض .. وقد أضمر فى نفسه شيئا ..

وفى نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية .. وكانت المظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بحياة المانيا وسقوط بريطانيا ..وسقوط جورج السادس.

واحس الانجليز ان الشعب — شعب مصر — ضدهم . وفاروق ضدهم .. وصديقهم مصطفى النحاس قد مل الانتظار فانقلب هو بدوره ضدهم ..

ومن هنا قرروا — وبنصيحة امين عثمان غفر الله له — قرروا أن يضربوا ضربتهم ..

***

وفى نفس الوقت —ومرة أخرى ! — كان احمد محمد حسنين يسعى لتأليف وزارة قومية ..هذا وبالرغم من ان مصطفى النحاس كان اعلن مرة ومرارا انه يرفض ان يضع يده فى يد خصومه السياسيين .. ويرفض الاشتراك فى وزارة قومية .. وانه لا يرأس الا وزارة وفدية خالصة ..

.. وكذلك بالرغم من ان فاروق كان قد رضى بقيام وزارة وفدية وقال لحسنين : « فليكن ، وهات النحاس باشا على شروطه » ..

رغم هذا كله لم يشأ احمد محمد حسنين ان يسلم بالهزيمة.. امام مصطفى النحاس أو مايلز لامبسون ، فقد كان من خلقه عدم اليأس وعدم التسليم بالهزيمة .. وما دام فاروق كان يفضل قيام وزارة قومية او وزارة ائتلافية فليحاول حسنين المستحيل من اجل تحقيق رغبة مولاه ..!

وبينما حسنين باشا لا يزال فى محاولاته ومداولاته ومفاوضاته مع زعماء الاحزاب ، وبعض كبار الوفديين — وكالما قد نسى انه فى سباق مع الزمن — بينما هو كذلك ضرب الانجليز ضربتهم ...

وفى يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سرى باشا ، وأرسل مايلز لامبسون الى فاروق يطلب منـه ان يكلف مصطفى النحاس باشا بتاليف الوزارة .. أو يقبل اسناد رياسة الوزارة الى من يختاره مصطفى النحاس ويعد بتأييده ..

وأرسل فاروق واستدعى لمقابلته رؤساء الوزارات السابقين ، ورؤساء الاحزاب والرؤسـاء السابقين لمجلس الشيوخ ومجلس النواب .. الى آخره ..

وشاورهم فى الأمر وطلب منهم أن يختـاروا من بينهم وزارة قومية تواجه الاحداث الخطيرة التى تمر بالبلاد ..

وقبلوا جميعهم ان يشتركوا فى وزارة يرأسها مصطفى النحاس.

ولكن مصطفى النحاس أصر على موقفه أو على رفضه ..

وفى اليوم التالى ـ الثلاثاء٣فبراير ـ ذهب مايلزلامبسون الى قصر عابدين وقابل رئيس الديوان احمد محمد حسنين وقال له انه علم ان مصطفى النحاس باشا يرفض الاشتراك فى وزارة قومية ، ولهذا فانه ـ السفير البريطـانى ـ يطلب من حسنين باشا أن يقدم هذه النصيحة للملك فاروق ، وهى أن يعهد الى النحـاس باشا بتأليف وزارة وفدية ..

ومرة اخرى عز على حسنين باشا أن يسلم بالهزيمة ..! ومن ثم فقد قال للسفير البريطانى ان المشاورات لا تزال جـارية مع رؤساء الاحزاب لتاليف وزارة قومية وانه واثق من ان وطنيـة الزعماء سوف تتغلب على كل شىء .

وانصرف مايلز لامبسون ..

انصرف لكى يعود عند ظهر اليوم التالى ــ الاربعاء ــ ويسلم حسنين باشا هذا الانذار ..

ونص الانذار :

اذا لم اعلم قبل السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعات ما يحدث .

***

ومرة اخرى لم ييأس احمد محمد حسنين..ولم يشأ ان يسلم بالهزيمة ــ بل لم يتردد فى مواجهة الموقف الخطير ..

واستدعى الزعماء للاجتماع بقصر عابدين ..

وطال اجتماعهم . وطالت مناقشاتهم ..

ودخل عليهم حسنين باشا مرة ومرتين لكى يذكرهم ان عليه أن يرد على الانذار البريطانى.وان يرسل جواب الملك فاروق قبل السادسة مساء ..

ولكن اجتماع الزعماء لم ينته الى النتيجة المرجوة بسبب اصرار النحاس باشا على موقفه ..

والوحيد بين رؤساء الوزارات السابقين الذى انضم فى الراى الى مصطفى النحاس كان احمد زيور باشا صاحب العبارة المشهورة : « انقاذ ما يمكن انقاذه » .

وغادر الزعماء والرؤساء السابقون قصر عابدين على أن يستأنفوا الاجتماع مرة اخرى .. ولكن ..

حوالى الساعة التاسعة مساء أمتلأ ميدان عابدين « ميدان

الجمهورية الآن » بآلاف الجنود البريطانيين وهم يملابس الميدان وبعشرات الدبابات ..

وطوقت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع الجهات .. وصوبت اليه مدافعها .. وتقدمت اخداها وحطمت الباب الرئيسي ـ أو كما كان يسمى «الباب الملكى» ـ ودخلت منه الى حرم القصر .

ودخلت وراءها سيارة تحمل السفير البريطانى ومعه جنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ..

ووقفت السـيارة أمام باب القصر الداخلي ونزل منهـما مايلز لامبسون والقائد البريطانى ..

ودخلا القصر ، بينما كان يسير أمامهما ثمانية ضباط بريطانيين ومسدساتهم فى أيديهم ..

وتقدم كبير الامناء بالنيابة يومئذ اسماعيل تيمور باشا يسألهم ماذا يريدون .. ولكن مايلز لامبسون نحاه بيده من طريقه وهـو يقـول :

ـ انا اعرف طريقى ..!

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من السلاح . وحاصروا ثكنات الحرس .. وقاوم بعض افـراد الحرس ، ولـكن البريطانيين تكاثروا وتغلبوا عليهم واصيب بعض جنود الحرس بكسور فى العظام وبجروح مختلفة ..

وصدر امر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة .. حتى لا تحدث مذبحة امام قصر عابدين ..!

وفى نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية واقفـة على قـدم

الاستعداد للتحليق فوق ثكنــات الجيش المصرى ومعســـكراته وقذفها بالقنابل وتدميرها اذا بدرت من الجيش أية مقاومة ..

وحاصر الجنود الانجليز كذلك أقسام البوليس فى القاهـــرة وقطعوا جميع الاسلاك التليفونية بين قصر عابدين والخارج ..

كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية لكى يمنعوا وصول الخبر الى الشعب ...

***

ودخل سير مايلز لامبسون « الذى كوفىء فيما بعد على عدوانه الشنيع بلقب لورد كليرن » .. دخل على فاروق وكان واقفا فى غرفة مكتبه والى جانبه رئيس ديوانه احمد محمد حسنين ..

وكان يقف وراء السفير البريطانى جنرال ستون . بينما وقف خارج الغرفة الضباط الانجليز يحرسون الباب وفى أيديهم المسدسات

وقال السفير البريطانى لفاروق ما خلاصته انه يخيره بين التنازل عن العرش ، أو تكليف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة ،

وقبل فاروق أن يعهد الى رئيس الوفد بتشكيل الوزارة .

وقال مايلز لامبسون :

ـ الآن .. هذا المساء ..

ووعده فاروق بذلك ..!

وانصرف مايلز لامبسون ومن معه ..

ولكن الدبابات البريطانية ظلت تحاصر القصر وثكنات الحرس.

***

ومرة أخرى – وفى نفس المساء – أرسل حسنين باشا واستدعى الزعماء والرؤساء السابقين ... الى آخره ..

وتوافدوا على قصر عابدين ورأوا الدبابات البريطانية تحاصر القصر

وقال لهم فاروق انه قد قبل الانذار البريطانى وانه يعهد الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة .

وهنا قال الدكتور أحمد ماهر :

– اسمع يا مصطفى باشا ، اننى أقول لك أمام جلالة الملك وزعماء مصر انك تتولى الحكم مسنودا بالدبابات والحراب البريطانية ..

وقال اسماعيل صدقى باشا :

– نعم .. مسنودا بالحراب البريطانية حقيقة لا مجازا .. وقد رأيناها بأعيننا فى الميدان .

وهنا قال مصطفى النحاس باشا انه لم ير شيئا من هذا .. لأن الدنيا كانت ضلمة !

ثم قال فاروق :

– ولى عندك رجاء يامصطفى باشا .. وهو أن تذهب الآن الى السفير البريطانى وتبلغه اننى قد عهدت اليك بتأليف الوزارة

قال مصطفى النحاس :

– ولكن الوقت متأخر يا مولاى

ولكن فاروق ألح .. وقال :

– سوف تجد سير مايلز فى انتظارك ..!

***

ومنعت الرقابة نشر أى خبر عن هذا العدوان فى مصر .. كما انها منعت ارسال أية برقية فى هذا الموضوع الى خارج مصر .

وفى صباح اليوم التالى – ٥ فبراير ١٩٤٢ – توجه مصطفى النحاس الى مكتبه برياسة مجلس الوزراء .

وكانت اللجان الوفدية قد استدعيت من مختلف جهات القطر لتهنئة « الرئيس الجليل » ..

وكان الشعب يجهل تماما ما حدث في مساء ٤ فبراير ..

وانطلقت المظاهرات .. وسارت الى دار الرياسة تهتف بحياة النحاس باشا ..

وأقبل السفير البريطاني ليهنىء النحاس باشا ..

ثم خـــرج الاثنـــان معا الى الشرفة .. مصطفى النحـــاس ومايلز لامبسون وأيديهما متشابكة .

وهنا خرج احد اذناب الوفد يصيح بجمـوع المحتشدين ان تهتف بحياة السفير البريطاني الصديق !!

وهتفت الجماهير .. ولما غادر مايلز لامبسون دار رياسة مجلس الوزراء حمله بعض شباب الوفد على الاعناق ..

واسرعت محطة اذاعة لندن واذاعت هذا الخبر ، وقالت ان الشعب المصرى قد حمل سفير بريطانيا على الاعناق ! ..

***

وفى يوم ٧ فبراير ـ أى بعد الحادث بثلاثة أيام ـ تنـــاولت الغداء مع حسنين باشا فى داره . وقص على كثيرا من التفاصيل التى أوردتها هنا .. ومن بينها ان فاروق ـ عندما راى اصرار مصطفى النحاس على الانفراد بالحكم ورفض كل اقتراح خاص بقيام وزارة قومية أو ائتلافية او محايدة تجرى انتخابات جديدة قال لحسنين باللغة الانجليزية :

ـ يظهر ان النحاس باشا واثق من الارض التى يقف عليها .. اى واثق من تأييد الانجليز له ..!

وقال : ان فاروق قال لرجال حاشيته عقب الحادث :

ـ يظهر ان الانجليز وقد خسروا معـــركة بنى غازى ارادوا أن يكسبوا معركة عابدين ..!

وكان الجيش البريطاني قد أخلى مدينة بنى غازى وتراجع أمام جيش روميل ..

.. واقف قليلا عند حادث ٤ فبراير ..

على كثرة ما كتب ونشر عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فانه لاتزال هناك تفاصيل وأسرار لم تنشر بعدا . كما أن أحدا من الذين كتبوا عن الحادث المذكور لم يحاول أن يجلو هذه النقطة وهى .

هل كان اعتداء الانجليز على السيادة المصرية وعرش مصر فى حادث ٤ فبراير نتيجة قرار اتخذ فجأة عندما توالت انتصارات قوات المحور بقيادة المريشال روميل فى الصحراء الغربية واشتد خطر غزو المحور ..؟

أم كان هذا الاعتداء ـ حادث ٤ فبراير ـ نتيجة سياسة تقررت ورسمت قبل ذلك بوقت طويل ..؟ بعامين او بعام واحد على الأقل ..؟

ثم من هم الذين رسموا أو قرروا هذه السياسة او هذا الاعتداء على سيادة مصر وعرشها ..؟

هل هم الساسة .. تشرشل وايدن فى لندن .. ووزير الدولة مستر ليتلتون وسفير بريطانيا سير مايلز لامبسون فى القاهرة ..؟ أم رجال الجيش البريطانى فى مصر والشرق الاوسط .. جنرال ويلسون وزملاؤه ..؟

ثم ما هو السبب أو الاسباب التى حاولت السياسة البريطانية أن تبرر بها هذا الاعتداء الشنيع على سيادة وعرش بلد مستقل ؟

هذه النقطة أو النقط لا تزال ملفوفة فى غموض كثير ..

***

ذات يوم فى اوائل شهر يونية عام ١٩٤٠ تقابلت صدفة فى محل « جروبى » مع مستر جرافتى سميث السكرتير الشرقى وقتئذ بالسفارة البريطانية ..

وجلسنا نتحدث عن معركة فرنسا وانهيار مقاومة الجيش الفرنسى وعن دخول ايطاليا الحرب . وشكا جرافتى سميث مما تلقاه السلطات البريطانية من معاكسات السلطات المصرية وكيف ان الحكومة المصرية قد انقلبت فى الأيام الأخيرة من حكومة صديقة

تنفذ المعاهدة ـ معاهدة ١٩٣٦ ـ باخلاص وتعاون . الأمر الذى شكرها عليه الجنرال ويلسون فى نحو ثلاثين خطـــابا ارسلها الى رئيس الحكومة « صاحب المقـــام الرفيع » على ماهر باشا .. انقلبت من هذا الى حكومة تضع العقبات والعراقيل ولا تبالى فى طريق السلطات البريطانية . ومن ذلك انها رفضت اعتقال عـدد كبير من وكلاء المحور ممن كانوا يشغلون مناصب مدنية أو يقومون فى الظاهر بأعمال تجارية بريئة ، بينما هم فى الحقيقة يؤلفون شعبة تابعة لأقلام مخابرات العدو السرية .. أى الجاسوسية ..

ثم قال مستر جرافتى سميث أن سنيور دودونى مدير وكالة الانباء الايطالية هو فى الحقيقة رئيس الجاسوسية الايطاليـــة فى مصر .. ولقد طلبت السلطات البريطانية اعتقاله وعدم تمكينه من مغادرة مصر والعودة الى ايطاليا لأن المعلومات التى جمعها اثنـــاء اقامته فى مصر تفيد ولا شك القيادة العليا للمحور فائدة كبيرة ..

ومضى جرافتى سميث فى حديثه يقول :

ـ ولقد قدر حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الخارجية طلبنا هذا حق قدره وفهم الاسباب التى تبرره . ولهذا فانه ماطل سنيور دودونى عندما تقدم بطلب تأشيرة الخروج من مصر وأبقى طلبه تحت البحث والنظر . ورفض فى نفس الوقت أن يعيد أليه جواز سفره . ولقد أراد حسن فهمى باشا من هـــذه المـــاطلة والتسويف أن يتيح للسلطات البريطانيـــة الوقت الكافى لاقنـــاع الحكومة المصرية بوجهة نظرها وهى وجوب اعتقال سنيور دودونى .

ولكن رئيس الحكومة على ماهر باشا تكلم بنفســـه مع ادارة الجوازات وألح فى استعجال اتمام اجـــراءات (الفيزا) أو الاذن بمغادرة الاراضى المصرية الى سنيور دودونى ..!

بل لم يكتف على ماهر باشا بهذا وذهب بنفســـه الى ادارة الجوازات ولم يبرحها الا بعد أن تمت اجراءات (الفيزا) وغادر المكتب ومعه جواز سفر سنيور دودونى .. وقد سلمه اليه بيده .. واستطاع السنيور أن يغادر مصر تحت انفنـا وبصرنا ونحن مكتوفى الأيدى لا نستطيع شيئا ..

وكان الغيظ واضحا في نبرات صوت السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية وهو يروى لي هذه القصة ، ثم يتساءل أين الاخلاص والتعاون اللذان كانت السلطات البريطانية تلقاهما من قبل من حكومة علي ماهر باشا ؟! وهل هذه العقبات والعراقيل التي تضعها حكومة مصر امام المجهود الحربي البريطاني مما يتفق مع المعاهدة المعقودة بين البلدين ..؟!

وانصرف مستر جرافتي سميث وهو يقول لي ما معناه أن للصبر حدودا ، وان دوام هذه الحال من المحال ..

***

ولقد تلقت السلطات البريطانية في مصر يومئذ تقارير فحواها ان الوزارة المصرية قد قلبت سياستها رأسا على عقب . وان سياستها التي كانت تجري – قبل انهيار فرنسا – على أساس الاخلاص والتعاون مع انجلترا ، قد انقلبت واصبحت تقوم على اساس أن النصر لدولتي المحور المانيا وايطاليا .. وان الهزيمة لبريطانيا . وان بعض الوزراء المصريين قد صرحوا في مجالسهم وفي حضور وبموافقة « رفعة » رئيسهم بما يفهم منه هذا ، بل لقد ذهب احدهم وهو صالح حرب باشا الى حد القول بأن أيام بريطانيا معدودة وان مقاومتها لالمانيا لن تزيد على شهرين اثنين ..

وكان أن خطت انجلترا خطوتها الأولى في الاعتداء على سيادة مصر واستقلالها وأرسلت انذارها الأول مصحوبا بالبرقية المشهورة التي أرسلها لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية الى سفير بريطانيا في مصر سير مايلز لامبسون وفيها يقول :

«Aly Mahir Must Go.»

وترجمتها حرفيا : « علي ماهر يجب ان يذهب » .. أي يترك الحكم ..!

***

واستقالت وزارة على ماهر باشا .. وفوجىء الانجليز كما سبق ان قلت باختيار حسن صبري باشا رئيسا للوزارة ..

وهكذا يمكن القول بأن الاعتداء على سيادة مصر وعرشها كان قد بدأ فعلا — وبصورة ما — في صيف عام ١٩٤٠ ، ولم يكن هناك يومئذ خطر داهم على مصر لأن القائد البريطاني الجنرال ويفيل كان منتصرا فعلا على الجيش الايطالي في الصحراء الغربية .

.. والتفكير في فرض وزارة مصرية معينة وزعيم مصري معين يتولى الحكم كان قد بدأ في صيف عام ١٩٤٠ ..

ومن ثم يمكن القول وعلى أساس من الاستنتاج المنطقي السليم ان حادث ٤ فبراير لم يكن نتيجة قرار أو سياسة اتخذت فجأة وتحت ضغط خطر داهم .. وانما كان الفصل الاخير .. أو الخاتمة لسياسة مرسومة كان قد بدأ تنفيذها ..

أو قل ان شئت ان حادث ٤ فبراير كان تحقيق أو تنفيذ الفكرة أو « المشورة » التي تقدم بها مايلز لامبسون في يونية عام ١٩٤٠ ! وهي أن تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد ..

***

وفي منتصف شهر أبريل عام ١٩٤٥ — وكانت الحرب العالمية لا تزال دائرة — قمت برحلة الى تركيا مارا بلبنان ..

وتفضل صاحب الدولة السيد حسين العويني — وقد قابلته في بيروت — وأعطاني خطاب تقدمة وتوصية الى صديقه سعادة السيد فؤاد حمزة وزير المملكة السعودية العربية في انقرة ..

وكان السيد فؤاد حمزة — يرحمه الله — مستودع اسرار كبير ولا اعرف بين دبلوماسيي العرب وساستهم من يفوقه علما والماما باسرار ما يجري وراء الستار . ولعل مما ساعد على هذا المامه واتقانه لاكثر من لغة اجنبية واحدة..وهو لبناني الاصل ، وكان مغرما بالأسفار ..

وكان اثناء الحرب العالمية الاخيرة وزيرا مفوضا لدولته لدى حكومة ماريشال بيتان في فيشي وحكومة الاتحاد السويسري في برن .. ثم لدى حكومة تركيا في انقرة .

ولقد تمكنت في هذه المناصب في البلدان الثلاثة من الوقوف على أسرار كثيرة منها ما يتصل مباشرة بحادث ٤ فبراير .. وأنا هنا انقل مباشرة عن مذكراتي :

حدثني سعادة فؤاد حمزة بك الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية ، فقال انه لما كان في زيوريخ (سويسرة) في عام ١٩٤٢ - بعد وقوع حادث ٤ فبراير - قابله اللورد ... الذى كان يدير في الخفاء قلم المخابرات البريطانية في سويسرة وقال له ان الحكومة البريطانية قد هالها ما يجرى ويقع في مصر فقررت خلع الملك فاروق وان الصعوبة كانت في اختيار الذى يخلفه على العرش .. ولقد فكرت الحكومة البريطانية في اول الامر في حفيد الخديو عباس حلمي - أي نجل الأمير السابق محمد عبد المنعم ، وكان لا يزال يومئذ في سن الرضاعة - على أن يكون هناك وصى كما هو الحال في العراق ، ثم انتهى الرأى الى مفاوضة الخديو عباس حلمى فاتصلوا به في سويسرة وسافر سموه ، رحمه الله ، الى استانبول لكى يكون على مقربة من مجرى الحوادث ..!

وفى استانبول قابله مستر مرتون وسلمه رسالة من الحكومة البريطانية .

ومستر مرتون هذا عاش معظم سنى حياته في مصر وكان يعرف البلاد ويعرف أعيانها وساستها حق المعرفة كما كان يجيد الحديث باللغة العربية .. وكان في أول أمره موظفا بوزارة الزراعة المصرية ثم استقال وعمل مندوبا لجريدة المورننج البوست ثم مندوبا لجريدة الديلى تلغراف ..

وكان بحكم عمله الصحفى اثناء الحرب كثير التجول والتنقل بين ميادين الحرب في الشرقين الادنى والاوسط . وقد قتل في حادث انقلاب سيارة في الصحراء الغربية . وقتل معه في نفس الحادث قائد انجليزى مشهور اسمه جوك كامبل ..

***

قلت أن الخديو عباس حلمى غادر سويسره الى أستانبول حيث قابله

مستر مرتون وتحدث معه وسلمه رسالة من حكومة لندن ..
واقام الخديو السابق ينتظر « الاشارة » أو الخطوة الثانية ..
ولكن قلم المخابرات الالمانية أحس أن هناك شيئا مريبا يجرى ..

***

وكذلك احس الخديو ان الالمان يشكون فيه .. وان عيونهم فى استانبول يرقبون حركاته .. ويشكون فى سبب قدومه الى استانبول واتصاله بأعدائهم الانجليز .. فخشى الخطر على نفسه ، واسرع بمغادرة استانبول عائدا الى مقره الأمين فى سويسرة .

وقلت لفؤاد حمزة بك :

ـ ولماذا لم يرشح الانجليز لعرش مصر « ولى العهد » الامير محمد على توفيق وهو صديقهم الحميم ..؟

قال : فى الواقع ان ترشيح البرنس محمد على للعرش لم يكن محل تفكير فى اى وقت لأن الانجليز كانوا يعرفون انه غير محبوب وليست له أقل شعبية فى مصر .. ولقد فكروا فى الخديو عباس حلمى لأنه كان محبوبا الى حد ما وكانت له شعبية .. ثم هو الرجل الذى كان الانجليز أغتصبوا منه العرش واعطوه لحسين كامل ثم لأحمد فؤاد .. ومن هنا رأوا أن يعيدوه أو يعيدوا اليه عرشه ترضية لشعب مصر حتى لا يثور أو يقوم باضطرابات عند خلع الملك فاروق المحبوب ..؟!

***

قلت ان حسنين باشا أكد للسفير البريطانى مايلز لامبسون الذى لم يكن قد انعم عليه بعد بلقب لورد كليرن ، انه قد روعى فى اختيار حسن صبرى باشا وجميع أعضاء وزارته انهم أصدقاء مخلصون لبريطانيا والا لما كان الاختيار قد وقع عليهم ..

وسكت مايلز لامبسون أو اطمأن الى هذا التفسير . ولكن رئيس الحكومة الجديدة حسن صبرى باشا لم يطل به الأمر حتى بدأ يشكو لمن يلقاهم من كبار الانجليز من انه لا يستطيع القيام بكل مايقتضيه تنفيذ المعاهدة بصدق وتعاون واخلاص لأن خصومه السياسيين

اقوى منه وأوسع نفوذا وان على راس هؤلاء الخصوم على ماهر .

وطلب منه الانجليز اعتقال على ماهر باشا ولكنه رفض .. ثم توفى حسن صبرى باشا فجأة ، بينما كان يلقى خطاب العرش فى حفلة افتتاح البرلمان فى نوفمبر ١٩٤٠ .

ومرة اخرى طلب فاروق من احمد حسنين البحث عن رئيس جديد للحكومة ..

ومرة أخرى فوجىء الانجليز بقيام وزارة ليست وفدية او يؤيدها الوفديون كما كانوا يطلبون ..!

***

ولكن حسين سرى ــ هو أيضا ــ لم يكد يسير فى الحكم اسابيع حتى ذهب يشكو لكل من يلقاه هنا وهناك من كثرة العراقيل التى توضع فى سبيله ومن مناورات ودسائس بعض الساسة المصريين بقصد اضعافه وشل يده ..!

وكانت السلطات البريطانية فى ذلك الوقت كثيرة الشكوى من نشاط بعض الساسة والكبراء المصريين فى مصر .. وفى خارج مصر وهو نشاط وصفه الانجليز يومئذ بأنه نشاط « محورى » يعمل لمصلحة دول المحور .. او على الاقل هو نشاط معاد للسياسة البريطانية ومعرقل لجهودها الحربية ضد أعدائها .

وكان بين اسماء الكبراء الذين يقومون بهذا النشاط خارج مصر : « سعادة مراد سيد أحمد باشا » ــ رحمه الله ــ الذى كان وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب .. ولقد رفض يومئذ أن يعود الى مصر ، ومضى يتنقل بين ايطاليا وسويسرة والمانيا ! وتركه الالمان والايطاليون حرا ، بينما اعتقلوا مئات من الرعايا المصريين .

هذا وقد لفت انظار اقلام المخابرات البريطانية نشاط مراد سيد احمد باشا .

وهنا تذكرت السلطات البريطانية ان مراد سيد احمد باشا صديق حميم لعلى ماهر باشا ، وان على ماهر باشا كان قد اختاره وزيرا فى وزارته ، ثم وزيرا مفوضا لمد

وازداد الشك وسوء الظن فى على ماهر .

وتساءلت السلطات البريطانية يومئذ لماذا لا تتخذ السلطات المصرية اجراء ما ضد سيد احمد باشا ولو بوصفه موظفا كبيرا فى المعاش ..؟

واذا كان كونت شيانو - وزير خارجية ايطاليا يومئذ وصهر موسولينى - قد كتب فى مذكراته التى نشرت بعد وفاته ونشرت ترجمتها زميلتنا الاهرام ، شيئا عن حديث دار اثناء الحرب طبعا - بين مراد سيد احمد باشا وبين وزير ايطاليا المفوض لدى الفاتيكان ، وقد قال مراد سيد احمد باشا فى هذا الحديث ان الملك فاروق يميل الى المحور ويكره البريطانيين « وقد اغفلت جريدة الاهرام يومئذ نشر ترجمة هذا القسم من المذكرات » .. فان اقلام المخابرات البريطانية كان لديها اقوال اكثر خطورة منسوبة - ان صدقا وان كذبا - الى مراد سيد احمد باشا ..

ولقد كان فى مقدور السلطات البريطانية أن تفهم وتقدر نشاط هؤلاء الكبراء المصريين .. لا على انه خيانة لقضية بريطانيا وحلفائها .. وانما على انه اخلاص لقضية مصر واستقلالها . وان المصريين هؤلاء ذوى النشاط « المحورى » لا يحبون المحور لسواد عينيه ولا يكرهون الانجليز لذاتهم .. ولكنهم كانوا يعملون لمصر ولتحقيق ما يعتقدن باخلاص انه فى مصلحة مصر . ولقد كانت الدول المحايدة او معظمها على الاقل تؤمن يومئذ ايمانا راسخا بان النصر للمحور . وان الهزيمة مكتوبة لبريطانيا ..

ولم يكن اذن هذا النفر من الساسة والكبراء المصريين هم وحدهم الذين يؤمنون بانتصار المانيا ومحورها . فقد كان هناك اخوان لهم فى فلسطين والعراق وسوريا يرون نفس الرأى ..

بل وفى اسبانيا والبرتغال وسويسرة والسويد وامريكا الجنوبية .. وفى الهند . بل وفى فرنسا نفسها كان يوجد كثيرون ممن يؤمنون بان النصر لدول المحور .

وفى جميع هذه الدول كان يوجد ساسة يحبون بلادهم ، وكانوا

يرون من بعد النظر وحسن الاحتياط ان يؤيدوا المحور ويعملوا معه لكى يضمنوا السلامة لبلادهم ويضمنوا معها إستقلالها وتحقيق أمانيها المشروعة يوم يتم النصر للمحور ويعود السلام ..

لم تكن هناك اذن خيانة لقضية الديمقراطية .. وانتصار أو تعاون مع قضية النازية والفاشية وإنما كان هناك إخلاص لقضية البلاد وحرص على تحقيق امانيها فى العزة والسيادة والاستقلال.

والبريطانى الكبير الوحيد الذى فهم الموقف على حقيقته وقدر وجهة نظر هؤلاء الساسة المصريين ، كان الجنرال « آلان فيلد مارشال » هنرى ميتلاند ويلسون ، ومن هنا فقد نظر الى نشاطهم « المحورى » ـ كما وصفوه يومئذ ـ بشيء غير قليل من سعة الصدر ، وقال عن الصدام الذى وقع بين السياسة البريطانية وبين هذا النشاط المصرى المحورى انه نشاط بين ولاءين ..!

بين ولاء الساسة المصريين لقضية بلادهم واستقلالهم . وبين ولائهم لقضية الحلفاء والديمقراطية .

ولكن زملاءه وانداده من القادة البريطانيين سواء فى لندن او فى القاهرة لم ينظروا الى الموقف بنفس العين . بل نظروا الى نشاط هذا النفر من الساسة والكبراء المصريين على انه نشاط خطر بالغ الخطورة

واستدارت بريطانيا فى سياستها نحو مصر وكان هذا فى أوائل يوليه عام ١٩٤٠ . وأرسلت برقية وانذارا بوجوب تخلى السيد على ماهر عن رئاسة الوزارة .. وأسناد الحكم الى وزارة وفدية برئاسة السيد مصطفى النحاس أو على الاقل وزارة يؤيدها الوفد ومصطفى النحاس ..

وكان منطق حجة بريطانيا فى هذا ان مصطفى النحاس هو المساهم الاول فى معاهدة ١٩٣٦ وانه اذن المسئول الاول عن تنفيذها نصا وروحا بولاء ووفاء واخلاص ..؟!

ولكن السلطات البريطانية فوجئت باختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة

ثم فوجئت مرة أخرى باختيار حسين سرى باشا خلفا له فى رئاسة الوزارة ..

ثم جاءت حكاية البوليس الخاص ووضعه تحت قيادة محمد طاهر « باشا » ..

وطاهر « باشا » كان من بين الذين طلبت السلطات البريطانية اعتقالهم بدعوى « نشاطهم المحورى » وكانت هذه السلطات تتلقى تقارير يومية عما يجرى فى نادى السيارات « الملكى » وعن الأحاديث المنسوبة الى بعض كبار أعضائه مثل النبيل « السابق » عباس حليم ومحمد طاهر « باشا » .. وكانت التقارير المذكوره تزعم أن الرجلين وغيرهما يفضون بأحاديث مملوءة بالعداء المر للانجليز وبالتأييد الصريح لدول المحور .

فلما شكل البوليس الخاص وعلى رأسه طاهر « باشا » رفضت السلطات البريطانية أن تصدق ان مهمة هذا البوليس الخاص هى مساعدة البوليس المصرى أثناء الغارات .. الى آخر ما قيل ونشر يومئذ عن الغرض من تشكيله .

رفض الانجليز أن يصدقوا هذا وزعموا أن هذا البوليس الخاص انما أنشىء خصيصا لكى يسهل على قوات المحور مهمتها يوم تدخل مصر .. ويمهد لها ويعاونها أثناء فترة الانتقال المضطربة وهى الفترة التى لا بد منها أثناء انسحاب البريطانيين .. ودخول الالمان والايطاليين ..

.. وان هناك ــ كما جاءهم من استانبول ــ نظاما خاصا للاشارات والتعليمات متفقا عليه بين هذا البوليس الخاص وبين الالمان .. وكان الانجليز يعتقدون ــ فوق هذا وذاك ــ ان فى مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والارسال .. أى محطات تستطيع أن تلتقط الرسائل وترسل الرسائل من مصر بدون أن تمر الرسائل المذكورة بالرقابة العسكرية !

.. وان هذه المحطات اللاسلكية السرية كانت ترسل الى «وكلاء المحور وسلطاته الحربية » تفاصيل عن بعض ما يجرى فى مصر

وما تحرص السلطات البريطانيــة كل الحرص على كتمــانه كل الكتمان ، كما انها ــ أى هذه المحطات السرية ــ كانت تتلقى من وكلاء المحور وسلطاته الحربية التعليمات عما يجب عمله .

وبعبارة أخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد ان هــــذه المحطات اللاسلكية السرية جزء من « النشاط المحورى » الذى يقوم به « طابور خامس » يتزعمه نفر من كبار الساسة المصريين .

واثناء هذا وذاك ــ اى فى الفترة مابين يونية ١٩٤٠ واواخــر عام ١٩٤١ ــ تلقت السلطات البريطانية تقارير من اقلام مخابراتها فى مصر وفى انقرة واستانبول ولبنان وقد جاء فيها :

١ ــ ان سمير ذوالفقار بك التشريفاتى السابق ــ وأحد أصدقاء على ماهر باشا ــ قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة التجارة فى الجلود والتبغ وانه اجتمع بسفير المانيا فى انقرة فون بابن عدة مرات . وانه قابل أيضا بعض وكلاء الالمان فى لبنان وانه لما عاد الى مصر اجتمع بفلان وفلان من الساسة وكبار رجال الدولة ؛

٢ ــ وان شوقى الهان وزير تركيا المفوض يومئذ فى مصر قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة الاجازة أو مراجعة حكومته فى بعض الشئون بينما هو سافر فى الحقيقة موفدا من «سلطات مصريه عليا » للاتصال بالسلطات الالمانية فى تركيا وابلاغها كذا وكيت .. لكى تبلغها هى بدورها الى « السلطات العليا » فى برلين .

وكانت تركيا يومئذ أى فى عام ١٩٤١ على الحياد .. ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل لالمانيا وتأييد المحور .. وكان فريق كبير من ساستها وقوادها العسكريين يؤمن بأن النصر للمحور ..

٣ ــ وان الآنسه دولورس دى بدروزو الملحقــــة السياسيه بمفوضية أسبانيا فى القاهرة كانت « واسطة » اتصال بين فريق الكبراء المصريين الموالين للمحور .. وبين سفارة ألمانيا فى مدريد .

وكانت أسبانيا يومئذ على الحيــاد .. ولــكنها كانت تؤيد المحور صراحة .

٤ ــ وان مسيو بوتزى الوزير المفوض لحكومة فيشى الفرنسيه فى القاهرة يقوم بنفس الدور .

وحكومة فيشي كانت تتعاون مع الالمان .

كانت السلطات البريطانية تتلقى هذه التقارير فى عام ١٩٤١ . وكانت تؤمن بصحة ما فيها .. هذا بينما كانت الحرب تمر بمرحلة من اخطر مراحلها .. بالنسبة لانجلترا وحلفائها فقد كانت بريطانيا تحارب فى الواقع وظهرها الى الجدار وقد توالت عليها الهزائم ، ثم اذا باليابان تقوم بهجومها المفاجيء فى نهاية العام - عام ١٩٤١ - وتجتاح المعاقل البريطانية فى الشرق الاقصى .

وتوالت انتصارات اليابان فى البر والبحر ضد البريطانيين وحلفائهم الامريكان . وسقطت جزرالباسفيك والملايو وجزر الهند الشرقية وبورماوسنغافورة ، ثم بدأ زحف اليابانيين صوب الهند

واضطرت بريطانيا أن تعيد توزيع قواتها المنهكة .

كان هذا هو الموقف فى الشرق الاقصى .

أما فى أوروبا فان الجيوش الالمانية كانت تحاصر موسكو ولينينجراد .. وتعدو عدوا صوب آبار البترول فى القوقاز .

وفى كلمة موجزة كان هتلر - قد سحق أوربا تحت حذائه العسكرى من النرويج الى اليونان ومن شاطيء الاطلنطى الى نهر الفولجا وجبال الاورال .

وفى افريقيا وعلى حدود مصر الغربية كان الثعلب المراوغ الماريشال روميل - كما أسماه يومئذ تشرشل - كان لا يتراجع مرة الا ليرتد بعدها - مثل وتر القوس - وهو اكثر شدة وقسوة وعنفا ليكيل للبريطانيين ضربات قاصمة !

وكانت انجلترا قد هرعت خلال العام - عام ١٩٤١ - الى التدخل فى العراق لتحبط الانقلاب الذى قام به السيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان متهما بانه ضالع مع المحور .

... وتدخلت كذلك فى ايران - بالاتفاق مع حليفتها روسيا - وخلعت شاه ايران رضا بهلوى ونفته الى جزر سيشيل .

وفى كلمة موجزة كانت أعصاب الانجليز متوترة .. وصوابهم يكاد أن يطيش .. ما بين هزائم متوالية .. وانقلابات فى بلدان صديقة موالية .

وكانت السلطات البريطانية في مصر تخشى أن يقع هنا انقلاب كالذى وقع فى العراق .

انقلاب يخرج به الامر نهائيا من أيدى الساسة المصريين « اصدقاء » بريطانيا الى أيدى الساسة المصريين خصومها الذين يعملون على احباط مجهودها الحربى فى مصر وفى الشرق الاوسط ويمهدون لانتصار المحور .

وكانت تقارير اقلام المخابرات البريطانية كما سبق ان ذكرت تزعم ان ساسة وكبراء مصريين يترقبون الفرصة للقيام بانقلاب فى الوقت الذى يتفق عليه بينهم وبين وكلاء المحور وعيونه فى مصر .. وان الغرض من هذا الانقلاب هو احراج البريطانيين فى الوقت المناسب الذى يشن فيه روميل هجوما عنيفا على مصر فيضطر البريطانيون الى توزيع قواتهم بين مصر وميدان القتال فى الصحراء الغربية .. وتضطرب خطوط التموين وتقطع خطوط المواصلات مع جبهة القتال .

كان الموقف اذن خطيرا بالغ الخطورة وكانت السياسة البريطانية قد فقدت اتزانها وطاش صوابها وكانت تتعثر وهى تتلمس أسباب النجاة .. وكان ساسة بريطانيا وقوادها ورجال سفارتها فى مصر يشعرون ان شعب مصر يكرههم وان عواطفه كلها مع المانيا وهتلر .. وكانت عيون السفارة ورجال اقلام المخابرات البريطانيون يقدمون تقارير فيها ان رواد المقاهى فى الاحياء الشعبية فى القاهرة والاسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول اجهزة الراديو وينصتون للاذاعات العربية من محطات المحور وخصوصا محطة برلين ..

وتناقلت الالسن يومئذ نكتة أو عبارة مشهورة قالها المرحوم احمد زيور باشا عندما سئل عن رأيه فى الحالة . فقد قال :

ـ حالة ايه يا مونشير ! .. شعب مصر المانى .. وملك مصر طليانى والحكومة انجليزية .

أى أن عواطف الشعب مع الالمان .

والملك السابق فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة ابيه والصداقة الموروثة والحاشية الايطالية التى تحوطه .. بينما الحكومة تتعاون مع الانجليز !

***

كان الانجليز يدركون هذا ويشعرون ان المصريين ضدهم .. والملك فاروق ضدهم ..

.. وان هناك « نشاطا محوريا » - كما وصفوه - يقوم به نفر من كبار المصريين في مصر وفى خارج مصر .. وان هناك اتصالات سرية تجرى بين السلطات المصرية العليا - أى فاروق ورجاله - وبين السلطات العليا فى برلين . وان بين الذين يقومون بهذه الوساطة ويسهلون هذه الاتصالات وزير تركيا المفوض فى مصر شوقى الهان .. والانسة بدروزو الملحقة بالمفوضية الاسبانية ومسيو بوتزى وزير حكومة فيشى المفوض فى مصر .

.. وان هناك خطة مرسومة لاحداث انقلاب فى مصر عندما يشدد روميل هجومه على مصر .

***

كانت هذه هى حال البريطانيين وكان هذا موقفهم .. والمعلومات التى تجمعت لديهم .

ومن ثم كانوا يوجسون شرا ويخشون ان يقع فى مصر ماسبق ان وقع فى العراق وان يفاجأوا فى ساعة الخطر - وهجوم روميل - بوقوع انقلاب فى مصر تتولى على اثره الحكم أحد الساسة الموالين للمحور ذوى « النشاط المحورى » الذى سبق أن أشرت اليه .

وكان الانجليز يرون أن الحل الوحيد لعلاج الموقف هو أن يتولى الوفديون الحكم . وهو ماسبق أن اشاروا به فى صيف عام ١٩٤٠ ثم عادوا وأشاروا به بعد وفاة المرحوم حسن صبرى باشا .. ولكن مشورتهم لم يعمل بها فى المرتين .

وكان الاعتقاد السائد فى لندن وفى الدوائر البريطانية فى القاهرة أن «رفعة» مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر

على « تحويل الدفة » .. دفة عواطف الشعب . .من الاتجـــاه الى المانيا الى الاتجاه الى بريطانيا وحلفائها ؟!

***

ومرت شهور الصيف .. والخريف .. وأقبل الشتاء . وبدا روميل يتحرك بجيوشه فى الصحراء الغربية صوب مصر ..

واستعرض الانجليز الموقف فاذا به :

الملك ضدهم .

والشعب المصرى او الراى العام فى مصر ضدهم .

وحزب الاغلبية الشعبية ـ اى الوفد ـ ضدهم بعد خطبــة النحاس باشا المشهورة فى راس البـــر . وانه ـ اى الوفد ـ ينتظر من فاروق ـ ومن يوم لآخر ـ ان يعيده الى الحكم .

وكان الانجليز ـ طبعا ـ يعرفون جميع الخطوات التى تمت من أجل عودة المياه الى مجاريها بين الملك فاروق وحزب الاغلبية الوفدية .

ومن هنا قدرت السياسة البريطانية انه اذا تولى الوفد الحكم فسوف يتولاه وهو يشعر بأنه مدين بهذا «الفضل» لفاروق ؟..

فاروق الذى كان ممالئا او نصيرا لسياسة المحور .. وان الوفد والحالة هذه سوف يسير على نفس السياسة أى سياسة العداء لبريطانيا وممالأة أعدائها دول المحور !

واسرع الانجليز وانتهزوا فرصة حوادث آخر يناير ١٩٤٢ ـ ازمة فيشى واستقالة وزارة حسين سرى باشا ـ اسرعوا وضربوا ضربتهم التى فرقوا بها بين الملك والوفد .. وكسبوا فيها الوفد وأغلبيته الى جانبهم .

وفى غداة حادث ٤ فبراير . هتف الشعب ـ شعب الوفد ـ لسفير بريطانيا وهو فى طريقه الى رياسة مجلس الوزراء .

وهتف وصفق له طويلا عندما أطل عليه السفير سير مايلز لامبسون والى جانبه رئيس الوزراء مصطفى النحـاس باشا من شرفة رياسة مجلس الوزراء !

واحس الوفديون يومئذ أنهم مدينون فعلا «بالفضل» .. فضل

توليهم الحكم - بعد حرمانهم منه زهاء أربع سنوات - مدينون بهذا « الفضل » لبريطانيا وسفيرها سير مايلز لامبسون .. لا لفاروق او احمد حسنين !

***

وكانت أكبر هزيمة منى بها حسنين فى حياته السياسية فقد ترك الانجليز يسبقونه وينتزعون النحاس والوفديين من بين يديه .

وقال لى يوم قابلته بعد حادث ٤ فبراير بثلاثة ايام :

القلم كان جامدا يا محمد .. لسه بيرن على صدغى .. شغل ثمانية اشهر راح فاشوش .

وكان يقصد مساعيه من أجل عودة الوفد الى الحكم .. ولكن لا بهذه الطريقة بل بالطريق الشرعى السليم .

وتنهد حسنين وقال :

- آه لو كنت قابلت ليتلتون قبلها ولو بأربع وعشرين ساعة بس .. ماكنش حصل حاجة من دى ..

وحدثنى طويلا عن تفصيلات الحادث والانذارات التى سبقته وعن اجتماعات الزعماء فى قصر عابدين ثم محاصرة الدبابات البريطانية للقصر وحضور السفير مايلز لامبسون .. الخ .

ولقد خرجت يومئذ من هذا الحديث بهذا الاثر وهو أن حسنين كان لا يزال حائرا لا يعرف كيف وقعت هذه الضربة .. ولا من اين جاءت هل من السفير ؟ .. او من مستر ليتلتون وزير الدولة ؟ ... وهل النحاس باشا برىء كما يقول من تبعة هذا الحادث ومن الاشتراك فى تدبيره ؟ .. واذا كان هو بريئا فهل مكرم وامين عثمان بريئان كذلك .. أم تراهما اتفقا مع الانجليز من وراء ظهر مصطفى النحاس .. الى آخره ؟ ..

كان حسنين لا يزال حائرا يوم قابلته عقب الحادث فى يوم ٧ فبراير .. ولكنه عاد بعد ايام وفى مقابلة أخرى وقال انه اقتنع بأن النحاس ومكرم بريئان وانه أفلح فى اقناع فاروق بذلك ..

ولكننى أتساءل اليوم - وفى ضوء تصرفات حسنين التالية مع

مصطفى النحاس ـ اتساءل هل كان حسنين قد اقتنع حقا ببراءة النحاس أو انه قال هذا الكلام لكى انقله الى مصطفى النحاس فيطمئن الى حسنين ولا يأخذ منه حذره ؟

واخرج من هذا السؤال او هذا التساؤل بحقيقة قررها ويشهد كثيرون على صحتها وهى ان حسنين باشا رحمه الله اقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس ..

والقسم على الانتقام من رئيس الوفد ينهض دليلا على أن حسنين لم يكن يؤمن ببراءة مصطفى النحاس .

ولكننى أترك المنطق والاستنتاج وأروى حديثه او احاديثه كما سمعتها منه ..

***

فى حديث له افضى به الى فى جلسة لنا بداره فى مساء ٢٧ مارس عام ١٩٤٢ قال : ان فاروق قال له عقب الحادث مباشرة : «حصل اللى حصل وعلى كل حال انا أعطيت النحاس كلمة انى سوف اساعده .. وجم الحكم خلاص ولازم اشتغل معاهم » ..

قال حسنين :

ـ وكان على بصفتى رئيسا للديوان ان اقيم سياستى على هذا الاساس .. وهو التعاون مع حكومة الوفد .. والتعاون مع السلطة التى جاءت بها الى الحكم أى الانجليز وأن أنسى عواطفى الشخصية .

واشهد انه قال هذه العبارة بمرارة فلم تكن الهزيمة امرا سهلا على حسنين واية هزيمة اكبر واشنع من هزيمته السياسية فى حادث ٤ فبراير .. وهو الذى طالما باهى وفاخر بانتصاره على السفير لامبسون وكيف كسب منه الجولة يوم فاجأه بوزارة حسن صبرى باشا .

ويوم كسب منه الجولة الثانية يوم واجهه بالامر الواقع ووزارة حسين سرى ، وها هو ذا السفير مايلز لامبسون يكسب الجولة الاخيرة الحاسمة ويفاجئه بالدبابات تحيط بالقصر .. وبوزارة الوفد يفرضها على فاروق فرضا والا !

وزاد فى مرارة حسنين وفى حدة شعوره بالهزيمة علمه أن الشامتين فيه كثيرون .. وان الساخرين منه ومن سياسته قد أطلقوا فيه السنتهم فى كل ناد ومجلس .. وان خصومه فى داخل القصر وفى خارج القصر قد بدأوا يستخفون به ولا يبالون ان يعلنوها صراحة انه - اى حسنين - لا يصلح لمنصب رئيس الديوان .. وان احدهم - وهو على ماهر باشا - قد سأل بعض أصدقاء حسنين بلهجة اصطنع فيها الدهشة والعجب. كيف أن حسنين باشا لم يستقل من منصبه حتى الآن ؟

ويستطيع القارىء ان يدرك من هذه التفصيلات ان حسنين باشا لم يكن شريكا فى جريمة تدبير حادث ٤ فبراير .. ولم يكن مطية للسفير او غيره من الانجليز. بل كان ضحية من ضحايا الحادث الشنيع المشئوم .. وان كل ما قيل عن تآمره مع الانجليز فى الحادث المذكور كان محض افتراء اذاعه عنه الحاقدون المغرضون.

وامشى الآن فى سرد الحوادث كما رواها لى أحمد حسنين .. ولقد اتفق معه على ترتيب الوقائع ولكنى اختلف معه قطعا فى الاسباب والنتائج .

ومن ذلك .. قال رحمه الله :

- ... ورغبة منى فى تصفية الجو بين الملك والوزارة وتحسين العلاقات بينهما سعيت عند الملك حتى وافق على مقابلة مكرم وأمين عثمان .. وذلك لكى تعرف البلد ان الملك لا يكره مكرم أو أمين عثمان كما يذاع ويشاع .. ولاننا كنا جميعا نعرف ان مكرم باشا هو ذراع النحاس اليمنى ومستشاره فى الشئون الداخلية والمالية .. وان امين عثمان هو ذراعه اليسرى ومستشاره فى الشئون الخارجية فكان من المرغوب فيه - والحالة هذه - ان نوثق علاقاتنا بهذين الذراعين او بالرجلين المقربين الى رئيس الحكومة. وهكذا طلبت من مكرم باشا ان «يلتمس» مقابلة جلالة الملك لسبب ما. وسألنى مكرم « سبب زى أيه ؟ » .. وسكت مكرم قليلا ثم قال :

ـ وجدت السبب .. لقد أعددنا أوراق نقد جديدة وأحب أن أعرض الرسم الجديد على جلالة الملك قبل البدء فى طبعها .

قلت : عظيم .. والسبب وجيه .

وتمت المقابلة فعلا .. وقد نجح مكرم باشا واستطاع أن يكسب عطف الملك وخصوصا بعد أن قال له : أنا أعرف يامولاى أن من السهل جدا مهاجمتى وتحميلى مسئولية كل مايقع من الوفد .. وأنا والله شهيد .. برىء .

وكذلك تمت مقابلة الملك بأمين عثمـــــان .. ولكن المقابلة لم تنجح .

الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد

اذن فان حسنين السياسى الداهية يزعم انه سعى لدى فاروق حتى اقنعه بالموافقة على مقابلة مكرم عبيد رغبة منه فى « تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الوفد وفاروق ».
هذا ما قاله او ما زعمه حسنين غفر الله له .

والحقيقة ان غرض حسنين كان أبعد ما يكون عن الصفــاء والوئام والسلام .

لقد كان غرض رئيس الديوان ـ فى تنفيذ او تحقيق سياسة الانتقام من مصطفى النحاس ـ كان غرضه ان يوقع بين النحاس ومكرم وبين النحاس وامين عثمان .. او بعبارة اخرى ان ينتزع من رئيس الوفد ذراعية الاثنتين اللذين يستند اليهما فى ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية .

ويا له من انتصار يمحو عار هزيمة ٤ فبراير يوم ينجح حسنين فى ضم مكرم وامين عثمان الى جانب القصر .. ضــد الوفــد ومصطفى النحاس .

او على اقل القليل يوم يستطيع ان يستغل نفوذ مكرم عند النحاس فى تحقيق اغراض السراى والموافقة على طلباتها .. ويوم يستطيع ان يستغل حظوة امين عثمان عند الانجليز فى اقناعهم بتعديل سياستهم الجافة او موقفهم المتعنت المتشدد من القصر ..

كان هذا هو الغرض الحقيقى من هذه الخطوة التى خطاها حسنين وجمع فيها بين فاروق ومكرم .. وبينه وبين امين عثمان .

ولقد نجح فوق ما كان يأمل .. ويوم عرف مصطفى النحاس ان السراى قد حددت موعدا يتشرف فيه معالى وزير المالية مكرم عبيد

باشا بمقابلة جلالة الملك فاروق .. قال النحاس باشا لجلسائه « اما عارف انهم عايزين يفرقوا بينى وبين مكرم » .

ثم عاد وقالها لمكرم نفسه . قال : « يا مكرم خد بالك .. عاوزين يفرقوا بيننا » .

ومشت الحوادث سريعة تلهث . خرج مكرم باشا من مقابلة فاروق مغتبطا مسرورا واتصل به زميل كان يعمل فى « الاهرام » وسأله عن المقابلة وما دار فيها وأثرها فى نفس « معاليه » . وكان اتصاله بناء على ايحاء من حسنين باشا وكان مكرم كما قلت مغتبطا مسرورا ومن هنا أفاض فى وصف العطف السامى الكريم الذى لقيه الى آخره .

وقال مكرم باشا انه سيملى الجريدة تصريحا مكتوبا .

وكان هذا هو الفصل الثانى فى المؤامرة او الشباك التى نصبها احمد حسنين لمصطفى النحاس ومكرم عبيد ولم تكن العادة قد جرت بأن يخرج الوزير — أى وزير — من مقابلة الملك ، أى ملك فى أى بلد — ويصف المقابلة فى مقال ينشر فى الصحف .

ولكن هذا هو ما حدث .. فقد طلعت جريدة « الاهرام » فى عددها الصادر بتاريخ يوم الجمعة ١٣ مارس عام ١٩٤٢ وفيها الكلمة أو المقال الآتى :

وزير المالية
فى الحضرة الملكية

تشرف معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا وزير المالية بمقابلة صاحب الجلالة الملك بعد ظهر أمس فعرض على المسامع الملكية بعض الشئون المالية والاقتصادية فلقى من لدن جلالته كل عطف ورعاية وقد أفضى معاليه الى مندوب « الاهرام » بالتصريح الآتى :

« تشرفت مساء امس بمقابلة جلالة المليك المحبوب . وعرضت على مسامعه الكريمة أهم شئون التموين والسياسة التى ندرسها الآن تمهيدا لاقرارها وتطبيقها على محصول القمح الجديد كما عرضت على جلالته بعض التعديلات فى الميزانية التى اعتزم عرضها على مجلس الوزراء وفى مقدمتها المشروع الذى يرمى الى تخفيف

الاعباء المالية عن صغار الفلاحين والمزارعين . ورفع مستوى معيشتهم وغير ذلك من المشاريع التى تؤدى أو أرجو ان تؤدى الى موازنة الميزانية موازنة حقيقية لا حسابية بحيث لا تهمل المشاريع الحيوية ويكون جباية المال وانفاقه فى حدود العدالة الاجتماعية .

ثم تشرفت بعرض ما تم فى مسألة القطن والحبوب ومبلغ ما وفقت اليه حكومة جلالته فى هذا الصدد . بالتعاون مع الدولة الحليفة .

واطلعت جلالته على نموذج من أوراق النقد الجديدة .. التى لوحظ فى طبعها واعدادها تعذر تزييفها . فنالت رضاءه السامى .

وقصارى القول .. فقد تناول حديثى فى حضرة جلالته .. حالة البلاد المالية من مختلف وجوهها — وهى حالة بفضل الله مرضية — ولقيت من جلالته لا مجرد عطف فحسب او تشجيع فحسب — مما الهج لسانى بالشكر والحمد — بل لقيت ماهو اعظم من ذلك واهم فقد لقيت اطلاعا واسعا . وارشادا نافعا ونظرة دقيقة وعميقة الى جوهر المسائل المعروضة رغم تباينها وبعد نواحيها . فلم البث طويلا حتى ادركت ان ملكنا الشاب قد ملك زمام الامور . بفضل ما اوتى من رجولة مبكرة وخبرة منوعة نادرة . قلما اتيحت لملك من الملوك .

ولذلك لم يلبث الحديث طويلا حتى انتقلت دفته الى يديه الكريمين فكان ينتقل من موضوع الى آخر ومن نصح الى نصح . فى عطف ووداعة . وصراحة اخاذة ونفاذة معا ..

وغاية القول انه قد اتيح لى فى هذه المقابلة السامية أن اعرف الرجل الملك فكان الرجل فى رجولته لايقل جلالة عن الملك فى مملكته .

وقد تفضل جلالته فاكد لى فى بساطة وديمقـراطية انه ملك للجميع . لا يفرق بين طوائف . او احزاب او طبقات فى شعبه . وقد خرجت من لدنه وهذا اعتقادى .. بل ويقينى .

***

وكان النحاس باشا يقيم هو والسيدة حرمه فى جناح خاص بفندق مينا هاوس وتصادف انى ذهبت ازوره فى مساء نفس اليوم الذى ظهرت فى صباحه كلمة الاستاذ مكرم عبيد بجريدة الاهرام .

وبينما نحن نتحدث دق جرس التليفون الموضوع فوق مائدة صغيرة بجوار « رفعته » وكان المتكلم الاستاذ مكرم عبيد ، وكان يتكلم من مدينة المنيا .

وفهمت من الحديث الذى دار بينه وبين السيد مصطفى النحاس ان مكرم كان قد سافر فى صباح نفس اليوم الى المنيا لكى يسوى خلافا خاصا بترشيحات الوفد لانتخاب مجلس النواب وكان الخلاف بين مرشحين وفديين احدهما الاستاذ ابراهيم الشريعى .

وبينما كان مكرم يتحدث .. ولم اسمع حديثه طبعا وان اكن قد فهمت بعض ما قاله من تعليق او رد مصطفى النحاس . . اقول بينما كان يتحدث قاطعه النحاس وهو يقول :

ـ لكن سيبك من ده كله وقول لى ايه الكلام ده يامكرم اللى انت كاتبه فى اهرام النهارده ؟ ...

ويظهر ان مكرم باشا ابدى دهشته او عجبه من استنكار النحاس باشا او قال ما معناه انهم جميعا يقولون مثل هذا الكلام عن الملك فى كل يوم .. لان النحاس باشا قال :

ـ ايوه لكن لما اقوله انا باقوله فى مقابل شىء . . باقوله واخد حاجة فى مقابل كده . . لكن انت تقول ليه . . ثم علشان ايه ماعرضتوش على قبل نشره . . دى غريبة . . لانك دايما بتاخد رايى فى احاديثك وتصريحاتك قبل نشرها اشمعنى المرة دى لا ..؟

ويظهر ان مكرم قال ان الساعة كانت متأخرة وانه لم يرد ازعاج « رفعته » او ايقاظه من نومه .. لان النحاس باشا قال :

ـ يعنى ايه .. عايز تقول انك كتبت الكلام ده نص الليل .. وقبل كده ماكنتش لسه كتبت حاجة ؟

***

وانتهت المحادثة بين الصديقين . . رئيس الوفد وسكرتير الوفد . وكانت لهجة الحديث فى نهايته قد اشتدت واحتدت .

ولاحظت عندما انهى النحاس باشا الحديث واعاد سماعة التليفون الى مكانها أن علامات الغضب كانت مرسومة واضحة على وجهه وفى

عينيه .. وقال « رفعته » :

ــ ده كلام ما يكتبوش الا العبيد . أقول ايه للانجليز اللى جابونا علشان نقف فى وشه «يقصد الوقوف فى وجه فاروق» اقول لهم ايه ؟. اقول لهم بعد جمعة والتانية بقينا امامه عبيد نتكلم عنه بلهجة العبيد . ؟

***

ولم يكن احمد محمد حسنين سبب الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد السيد مصطفى النحاس والاستاذ مكرم عبيد . ولكنه كان أحد الذين عملوا بمهارة « وشطارة » على توسيع شقة الخلاف .

وكان حسنين ــ كما سبق ان ذكرت ــ قد أقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مصطفى النحاس . ومن هنا سعى الى اضعاف مصطفى النحاس ــ ولا اقول هدمه ــ عن طريق التفريق بينه وبين اخلص صديق له واقوى اعضاء الوفد نفوذا واقربهم الى قلب الشعب وهو مكرم عبيد ...

وما من شك فى ان الخلاف بين الصديقين القديمين والذى انتهى الى خروج أو اخراج مكرم عبيد من الوفد ثم هجومه وحملاته الشديدة على مصطفى النحاس .. ما من شك فى ان هذا كله كان ضربة قاسية للوفديين عامة ولمصطفى النحاس بوجه خاص .

أما عن اسباب الخلاف الأصلية او الاصيلة . . فقد قال لى دكتور محمد صلاح الدين الذى كان من اخلص الوفديين لمصطفى النحاس وكان اقربهم اليه وكان موضع ثقته والذى عهد اليه النحـــاس باشا بمنصب وزير الخارجية فى وزارة الوفد فيما بعد قال لى ذات يوم أثناء الخلاف بين مكرم ومصطفى النحاس :

ــ ان مصطفى باشا بحكم طبيعته لابد ان يسيطر عليه شخص ما . . ولقد كان هذا الشخص فى وقت ما هو مكرم عبيد ، أما الآن فانها زوجته زينب هانم التى تسيطر عليه وتسيره كما تريد .

ــ ثم قال :

ــ وزينب هانم تتدخل الآن فى شئون الحكم ومع ذلك فقد كانت قالت لى فى أول أسبوع من قيام هذه الوزارة كلاما سررت منه جدا

وتفاءلت منه خيرا .. قالت لى : « لازم نتعظ بأخطاء الماضى ونمشى فى الحكم كويس . وانا سأستعمل نفوذى عند الباشـا ــ تقصد زوجها ــ من اجل هذا » .. ولكنها للاسف سرعـان ما نسيت وعدها وعملت على العكس .

***

اذن فقد كان مكرم عبيد صاحب السيطرة والنفوذ .. الى ان زحزحته او ازاحته السيدة زينب الوكيل ..

وكان طبيعيا ان تتطور المنافسة بين الاثنين الى اعداء او مايشبه العداء .. وأن يطلق كل من الاثنين لسانه فى صاحبه .

وامتلأت المجالس والاندية بالاشاعات «والتشنيعات » وسمع الجمهور لاول مرة أن السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزراء تستغل نفوذ زوجها ونفوذ الوزارة من أجل الثراء السريع . وانها ليست وحدها بل ومعها عدد من اقاربها واصهارها .

وعرف النحاس باشا والسيدة حرمه أن مكرم عبيد واقاربه وانصاره هم مصدر هذه الاشاعات .

وسمع الناس ان مكرم باشا يقـول فى مجالسه الخاصة ان زينب هانم تحاربه بسبب نزاهته ولانه ــ وهو زير المالية ــ رفض ان يوافق على طلباتها وطلبات شقيقها السيد احمد الوكيل الخاصة باذونات التصدير والاستيراد .

وهذا فضلا عن الخلاف الذى شجر حـول الاستثناءات والترقيات والعلاوات .

واحب ان اعفى قلمى هنا من الخوض حديث الفساد واستغلال النفوذ وماقيل يومئذ ، وبعدئذ . فما أظن ان قلمى او اى قلم آخر يمكنه أن يكتب اليوم اكثر مما كتب أو يقول اليوم شيئا جديدا لم يسبق قوله ونشره . ولكنى حريص مع ذلك على تقرير حقيقة منصفة وهى ان الاستاذ مكرم عبيد سبق أن دافع دفاعا بليغا قويا عن الاستثناءات والترقيات فى عام ١٩٣٧ .. فما باله يحاربها فى عام ١٩٤٢ ؟

الحقيقة المنصفة هى أن السيدة حرم النحاس باشا واقاربها أرادوا

ان يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ما تطيق .

انا شخصيا اعتقد ان مكرم باشا لم يكن ليمانع او يعارض كثيرا او طويلا فى اجابة بعض الطلبات الصغيرة التى ـ مع مخالفتها للقوانين ـ لا تثير ضجة وقالا وقيلا . وذلك حرصا منه على رضاء صديقه النحاس باشا .. وثمنا لسكوتها عنه او تأييدها له عند زوجها .. ولقد سبق ان تساهل او اغمض عينيه ..

ولكنه فى هذه المرة وجد ان المطلوب منه ـ او الحمل على نزاهته ـ ثقيل وفوق ما تطيق ... فرفض .

ثم تشدد بعد ان اشتد الخلاف وراح يتعنت ويرفض الطلب الصغير اليسير كما يرفض الموافقة على الطلب الكبير الخطير .

اى ان الامر كله اصبح بين السيدة حرم رئيس الوفد والوزراء ومكرم عبيد نوعا من العناد .

***

هذا سبب ..

وسبب آخر وهو ان كثيرين من اعضاء الوفد كانت صدورهم ضاقت بالنفوذ الاكبر الذى يتمتع به « زميلهم » مكرم عبيد دونهم جميعا عند « رئيسهم » مصطفى النحاس وبالسلطات الواسعة التى كانت له فى كل شأن من شئون الوفد وخصوصا بعد خروج احمد ماهر والنقراشى من الوفد .

هؤلاء الاعضاء رأوا ان الخلاف بين زينب هانم ومكرم عبيد فرصة طيبة او فرصة سانحة يحسن بهم ان ينتهزوها لكى يتخلصوا من مكرم عبيد ومن نفوذه الطاغى فى الوفد . او كما قال لى احدهم : « نريد ان تكون ارقاما صحيحة .. لا اصفار الى اليسار » .

وقال لى الدكتور محمد صلاح الدين اثناء الخلاف : « ان صبرى باشا أبو علم ونجيب الهلالى يعملان على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم باشا .. وليس هناك من يعمل معى على تسوية الخلاف سوى الاستاذ محمود سليمان غنام » .

وتناول الاستاذ فؤاد سراج الدين العشاء معى مرة فى مسكنى ..

وكنا وحدنا . .وكان يومئذ وزيرا للزراعة .وسألنى :ـ«ايه رايك فى فصل مكرم باشا من الوفد ؟ . . ».

وقبل ان اجيب مضى يقول :

اظن ان الاحسن فصله دلوقت . .لان الخلاف استفحل ومستحيل بعد كده تصفى القلوب . .اويتصالح تانى مع مصطفى باشا وزينب هانم . . واذا فصلنا مكرم دلوقت مش راح يقدر يعمل حاجة لان الوفد فى الحكم وتحت يدنا الرقابة . .لكن اذا سبناه جايز نخرج من الحكم . .ويخرج هوه بعدها علينا ويحاربنا . .

***

وهكذا . . السيدة حرم رئيس الوفد تحارب مكرم وتعمل على خروجه او اخراجه من الوزارة والوفد . . وكل من فى الوفد او معظم اعضاء الوفد يعمل كذلك على اخراج مكرم عبيد .

وكذلك «القصر» او الرجل الاول فى القصر ورئيس الديوان احمد محمد حسنين . .اسباب وعوامل تضافرت جميعا على التفريق بين الصديقين الحميمين القديمين النحاس ومكرم عبيد .

***

وكانت الوزارة قد تقدمت بطلب عدد من الاستثناءات والترقيات لبعض الموظفين الوفديين الذين اضطهدوا ــ كما قالت الوزارة ــ فى عهد الوزارات غير الوفدية .

ورفض وزير المالية ــ مكرم عبيد ــ الموافقة على هذه الطلبات .

ولما راجعه رئيس الوزارة مصطفى النحاس فى الامر احال مكرم المسألة كلها على اللجنة المالية .

وطال الاخذ والرد . . وتطور الخلاف فى الرأى الى ازمة . . . كل هذا وعوامل التفريق التى اشرت اليها تسعى وتعمل .

وفى مساء ١٨ مايو ١٩٤٢ اقمت فى دارى حفلة بمناسبة عيد مولدى وغنت فيها ام كلثوم .

وكان بين المدعوين الاساتذة صبرى ابو علم ونجيب الهلالى واحمد حمزة ودكتور محمد صلاح الدين وعدد من الشيوخ والنواب الوفديين

وبعض الزملاء الصحفيين ومنهم انطون الجميل ومحمود ابو الفتح ومصطفى امين وعلى امين وحسن الاعور وكان يومئذ مديرا لمكتب وزير المالية الاستاذ مكرم عبيد .

ولاحظت اثناء السهرة « حركة » او نشاطا بين بعض المدعوين . لاحظت مثلا ان محمود ابو الفتح تكلم بالتليفون بصوت خافت مرة او مرتين ..

وان حسن الاعور وعلى امين اختليا فى غرفة مكتبى بمكرم باشا .. واخيرا عرفنا ان مكرم باشا كان ارسل الى جريدة المصرى بصورة من المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية وفيها قرارهـا برفض جميع الاستثناءات .

وان جريدة المصرى ادركت خطورة نشر هذه المذكرة ـ لانها تخالف رأى الوزارة ورأى رئيسها مصطفى النحاس ـ فاتصلت بصاحبها الاستاذ محمود ابو الفتح فى مسكنى .

واراد الاستاذ ان يتخلص من مسئولية ابداء رأيه فطلب من جريدته ان تعرض المذكرة على الرقيب . « وكانت الرقابة مفروضة يومئذ على الصحافة بحكم حالة الحرب » .

وسمع مكرم باشا بهذا كله فثار وهاج وتساءل منذ متى كان للرقابة سلطان على الوزراء وما يريد الوزراء نشره ..؟

واتصل مكرم باشا بالتليفون بالاستاذ محمود سليمان غنام الذى كان موكولا اليه امر الاشراف على شئون الرقابة وابلغه انه سوف يستقيل من الوزارة اذا لم تنشر جريدة المصرى المذكرة كما هى .

وكان سليمان غنام كما سبق أن قلت احد القليدين الذين كانوا يسعون لتسوية الخلاف بين النحاس ومكرم .. ولقد خشى أن ينفذ مكرم وعيده ويستقيل فاذن بنشر المذكرة .

سمعنا أثناء السهرة بهذا كله فاشفقنا من عواقب النشر . وراح على امين وحسن الاعور يرجوان الاستاذ مكرم عبيد أن يعدل عن نشر المذكـرة حتى لا يثيـر نشرها مصطفى النحـاس .. الى آخره .. الى آخره .. وخرجت « المصرى » فى الصباح وفيهـا

مذكرة اللجنة المالية ومكرم عبيد برفض طلبات الاستثناءات .

وكانت القاضية على كل امل في الصلح اوتسوية الخلاف. وثار مصطفى النحاس واعلن انها مؤامرة ضده وضد الوزارة وان صاحب المصري محمود ابو الفتح شريك في المؤامرة ولا بد من «شلحه» من الهيئة الوفدية واصدار قرار من الوفد بأن المصري لم يعد يعبر عن راي الوفد .. وكان هذا القرار يومئذ شبيه بقرار الحرمان الذي يصدره بابوات روما ضد المغضوب عليهم من اعداء الكنيسة .

واختفى محمود ابو الفتح بضعة ايام .. ريثما تهدأ العاصفة وثورة « الرئيس الجليل » ثم عاد من مخبئه وذهب وقابل النحاس باشا . وكانت اول مرة يلقاه فيها بعد نشر المذكرة وكان النحاس هائجا ثائرا ضده وقال :

ـ ارجو من رفعتك ان تطول بالك شوية.. وان يتسع حلمك لما اقول ...

وقال النحاس باشا ساخرا :

ـ حلمي يا سي محمود .. طيب قول يا سي محمود ..

وقال محمود ابو الفتح :

ـ ماهو اساس حملة التشهير التي يقوم بها مكرم باشا ضدك ؟. أليس أساس هذه الحملة المحسوبية التي يزعم أن اقارب رفعتك يتمتعون بها ؟.. أليست الاستثناءات التي يرفضها ويجعل منها أساسا لحملة التشهير. . أليست مطلوبة لاقارب وانصار رفعتك ؟.. وأليس شقيقي متزوجا من بنت شقيق رفعتك ؟ ..

السنا اذن من اقارب رفعتك المقصودين بالتشهير ؟ فكيف اذن يخطر ببال رفعتك انني اتآمر ضدك مع مكرم باشا ؟.. ثم اذا انهار مصطفى النحاس وضاع نفوذه الا ننهار نحن ايضا معه ونفقد نفوذنا ؟. اننا الآن نستمد جاهنا من جاهك فاما ارتفعنا معك واما سقطنا معك فكيف اذن يمكن ان اعمل عملا يؤذي او يحط من قدر رفعتك ؟.. ورفعتك تعرف أن مكرم عدوى وانه يكرهني وكان دائما يشككم في وفى اخلاصي لكم وفي ولاء المصري لرفعتكم .. وانا لم انشر المذكرة

الا كارها وقد رفضت نشرها ولكن ازاء الحاحه احلت الامر على الاستاذ غنام فصرح بالنشر .. ولما انتهى الاستاذ محمود ابو الفتح من دفاعه قام النحاس باشا وضمه الى صدره وتعانقا .

***

واقف هنا قليلا لاتساءل مرة اخرى لماذا نشر محمود ابو الفتح هذه المذكرة مع علمه بخطورة ووخامة العاقبة ..

واذا كنت ألح فى هذا السؤال فذلك لان المذكرة كما وصفتها ـ كانت القاضية .. وكانت السبب المباشر لاخراج مكرم عبيد من الوزارة اولا .. ثم اخراجه من هيئة الوفد ثانيا ..

لقد قرأتم دفاع الاستاذ ابو الفتح عن نفسه وهو دفاع ضعيف عند الذين يعرفون الحقائق .. وكان من السهل جدا على صاحب «المصرى» ان يرفض نشر المذكرة بعد ان رفض الرقيب اجازة النشر . اما اعتذار ابو الفتح بان الاستاذ سليمان غنام اجاز النشر فمردود عليه بانه لم يسمح بالنشر الا لكى يحول دون استقالة الاستاذ مكرم عبيد.

فهل كان الاستاذ ابو الفتح حريصا مثله على عدم استقالة مكرم عبيد .. بالعكس كما سترون مما يأتى .. ثم لماذا لم يختصر الاستاذ ابو الفتح ليلتئذ الطريق ويتحدث مباشرة بالتليفون مع النحاس باشا ويعرض عليه الامر .. واذن لكان سمعها من رئيس الحكومة ورئيس الوفد حاسمة قاطعة بعدم نشر المذكرة .. ولكنه لم يفعل .. واستتر وراء الاستاذ غنام !

ومرة اخرى لماذا نشر المذكرة هل مراعاة او مجاملة لمكرم عبيد .. ؟ هذا احتمال ولكنه كما سترون اضعف الاحتمالات .

أم لأنه كان يعلم ان نشر المذكرة سوف يوسع الهوة بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ومن هنا نشرها لكى تكون القاضية ؟ .

وهذا هو الاحتمال الراجح .. لان اصدقاء ابو الفتح كانوا يعرفون يومئذ انه حانق مغيظ لعدم دخوله الوزارة .. وقد كان اذاع او اذاع له بعض اصدقائه وبعض الصحفيين ـ والمحوا الى الخبر فعلا فى صحفهم ـ انه سوف يدخل الوزارة ..

وفي هذا سألت مرة الاستاذ فؤاد سراج الـــدين ـ وكنا في النادي الاهلي ـ فقال وهو يضحك :

ـ وبتصدق برضه الكلام الفارغ ده . . طيب دحنا رفضنا ان نرشحه وكيلا لمجلس الشيوخ فكيف اذن نقبل دخوله معنا في الوزارة ؟ . .

اذن فقد كان فؤاد سراج الدين أحد الذين عارضوا في ترشيح صاحب المصري لكرسي الوزارة . ولكن الاستاذ ابو الفتح لم يكن يعرف هذه الحقيقة . بل كان يعتقد ان الذي عارض في دخوله الوزارة هو الاستاذ مكرم عبيد . ومن هنا نشر المذكرة لكي تكون القاضية على كل امل في تسوية الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد .

هذه هي الحقيقة . .

واكثر من هذا . .

قال لي الاستاذ الشافعي البنا ـ رحمه الله ـ انه كان في وقت ما رئيسا لتحرير جريدة المصري أيام كان الوفد في المعارضة . . وكان يحدث ان يطلب الوفد نشر مقال معين في موضوع معين . . وكان ابو الفتح يماطل في نشر المقال اما خوفا من ان تبطش الحكومـــة القائمة « بالمصري » واما لان له مصلحة معينة في عدم النشر وكان سكرتير الوفد مكرم عبيد يتكلم بالتليفون ويلح في نشر المقال ثم يهدد ويتوعد ويقول : « قولوا للاستاذ ابو الفتح انه اذا لم ينشر المقال غدا في المصري فان الوفد سوف يصدر بيانا يعلن فيه ان جريدة المصري لا تعبر عن رأي الوفد » .

وكنت اشفق من عواقب هذا التهديد واذهب الى ابو الفتح ارجوه ان ينشر المقال المطلوب فكان يبتسم ويقول « ماتخافش . بس سيبني أنا بكره يشتمونا شتمتين ويزعلوا منا يومين وبعدها الحكاية تفوت » .

وحكاية اخرى . .

قال لي الاستاذ فؤاد سراج الدين في نفس المعنى ونفس الموضوع انه حدث مرة وكان موجودا في مصيف راس البر مع النحاس باشا ومكرم باشا ان نشر « المصري » مقالا فيه دعاية قوية لوزارة حسين سري من اجل اتفاقية القطن التي كانت عقدتها مع الانجليز . وغضب مكرم

باشا وثار ثورة عنيفة وطلب من محمود أبو الفتح ان ينشر «المصرى» مقالا تنقض فيه المقال الاول ولكنه ماطل ولم ينشر . وهنا اعلن مكرم باشا اما ان يشلح ابو الفتح من الهيئة الوفدية واما ان يستقيل هو من الوفد .

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين يقول :

لقد امضيت يوما وليلة وانا اهدىء من ثورة مكرم باشا ضد المصرى وصاحبه .

خلاصة القول اذن ـ وهذه جرأة ابو الفتح فى نشر ما يريد او عدم نشر ما لا يريد رغم الوفد وزعماء الوفد ـ خلاصة القول اذن ان ابو الفتح كان يمكنه ان يرفض نشر المذكرة .. ولو كان فى رفضه ما يغضب مكرم عبيد ..

ولكنه نشرها .. لانه كان يريد ان تنشر

حدث مرة فى عام ١٩٣٨ وكان السعديون والدستوريون فى الحكم والنقراشى باشا وزيرا للداخلية .. حدث ان اعتدى رجال البوليس على «موكب» النحاس باشا اثناء سيره من المحطة الى داره . وكان مكرم باشا يجلس بجوار النحاس باشا فى السيارة .

واصابت هراوة احد رجال البوليس رأس مكرم باشا واحدثت به جرحا عميقا . وحملت الصحف الوفدية حملات عنيفة على الحكومة وطالبت بمحاكمة ضباط البوليس المسئولين .

وقال لى حسين ابو الفتح شقيق محمود ابو الفتح ان شقيقه قال يومها : « معلوم يجب ان يحاكموا العسكرى ابن .. اللى ضرب مكرم لانه ماعرفش يضرب مكرم ضربة جامدة كفاية تخلص عليه وتريحنا منه » .

***

قلت ان جريدة المصرى نشرت المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية ووزير المالية مكرم عبيد وقد رفضت فيها الموافقة على الاستثناءات التى طلبها النحاس باشا وبعض زملائه الوزراء لطائفة من الوطنيين الوفديين . وكان رفض اللجنة مسهبا ومقرونا بالاسماء والاسباب .

وكانت القاضيه .. واعلن السيد مصطفى النحاس ان التعاون بينه وبين مكرم باشا اصبح مستحيلا .. ومن ثم فهو يطلب منه ان يبر بوعده ويستقيل .

ولهذا «الوعد» حكاية اذكرها بايجاز .. ذلك انه كان حدث قبل ذلك ببضعة اسابيع – اى فى بدء الخلاف وايام كان العتاب لا يزال مقبولا بين الرجلين – حدث فى احدى جلسات العتاب ان اعلن الاستاذ مكرم عبيد انه لا يزال الصديق الوفى والوفدى المخلص لرئيس الوفد مصطفى النحاس وانه – معاذ الله – لن يسمح لنفسه بالخروج على الوفد او زعيمه مصطفى النحاس .. وانه مستعد فى اى وقت اثباتا لولائه واخلاصه ان يقدم استقالته من الوزارة وفى اى وقت يطلبها منه مصطفى النحاس .

وهكذا .. اوفد النحاس باشا وزير الاشغال عثمان محرم باشا بصفته اكبر الوزراء سنا واقدمهم عهدا بالوزارة .. اوفده الى الاستاذ مكرم لكى يطلب منه ان يفى بوعده ويستقيل ..

ولكن مكرم باشا لم يكد يرى عثمان محرم داخلا عليه فى داره حتى صاح :

– انا عارف انت جاى ليه .. علشان تطلب منى ان استقيل لكنى ارفض .. ولن استقيل .. فاذهب وقل لمن ارسلك ان يقيلنى من الوزارة اذا استطاع .

وحاول عثمان محرم ان يقنع مكرم عبيد بالنزول على رغبة مصطفى النحاس والاستقالة ويقول له « ولو الى حين تهدأ ثائرة النفوس ويصفى الجو .. وليس من المستحيل ان تعود وتدخل الوزارة الى آخره » ..

ولكن مكرم رفض ان يصغى ورفض ان يستقيل .. وسمع النحاس باشا . وكانت مصادر اخبار السوء ووسطاء السوء يومئذ كثيرة كما ان الساعين لاخراج مكرم من الوزارة ومن الوفد – وقد اشرت اليهم – لم يقصروا جهدا فى نقل الاخبار التى توسع الهوة بين النحاس ومكرم .

وسمع النحاس ان مكرم لم يرفض الاستقالة الا لانه موحى اليه او موعز اليه بهذا الرفض.. وان مصدر الايحاء او الايعاز هو رئيس الديوان احمد محمد حسنين .

وازداد النحاس غضبا وثورة . واعلن انه اذا لم يستقل مكرم عبيد طوعا فسوف يخرج من الوزارة مقالا .

هذا ومكرم يخرج لسانه ساخرا ويتحدث الى بعض الصحف الافرنجية في مصر والى مندوبي وكالات الانباء ويعلن انه لن يستقيل. وليفعل النحاس باشا اقصى ما يستطيع .

وذهب النحاس باشا الى القصر يطلب اقالة وزير المالية مكرم عبيد.

وحاول فاروق ان يهدىء من ثائرة رئيس وزرائه ضد وزير المالية وان يسوي ويصلح ما بين الرجلين والصديقين القديمين . ولكن عبثا !

وما من شك في انها «مناورة» او سياسة مرسومة. . وان فاروق مثل رئيس ديوانه احمد حسنين كان يريد التفرقة بين الرجلين والصديقين القديمين. . واضعاف الوفد وقسمته شيعا واحزابا.

***

اصر اذن النحاس على اقالة مكرم عبيد من منصب وزير المالية. . واخيرا قال له فاروق :

ـ طيب بلاش الاقالة . .

واقترح ان يقدم النحاس باشا استقالة الوزارة. . فيكلفه باعادة تشكيلها. وهنا يمكنه ان يعيد تشكيل الوزارة من غير مكرم عبيد.

ولم يعجب هذا الاقتراح السيد مصطفى النحاس. . لم يعجبه لانه كان اولا يريد « مرمطة » مكرم عبيد والانتقام منه باخراجه من الوزارة مطرودا او مقالا . .

ولم يعجبه ثانيا لأنه خشي أن ينتهز فاروق الفرصة فيقبل استقالته هو واعضاء وزارته. ويكلف زعيما آخر بتشكيل الوزارة الجديدة.

وتململ مصطفى النحاس . . ولكن فاروق ثبت على رأيه و قال :

ـ لا . . لا . . كله الا الاقالة . . بلاش حكاية الاقالة دي . .

واضطر مصطفى النحاس ان يتراجع وان يذعن. . و قدم استقالته ثم اعاد الوزارة بدون مكرم عبيد .

خرج مكرم عبيد من الوزارة ولكن خروجه لم يهدىء من ثورة مصطفى النحاس. بل على العكس.. فقد ازداد حنقا وغضبا لان « خصوم الامة » – على حد تعبيره – الذين فى السراى وعلى راسهم رئيس الديوان احمد حسنين حالوا بينه وبين طرد مكرم عبيد ولم يمكنوه من اقالة مكرم عبيد ..

ومضى النحاس باشا يتحدث فى مجالسه وبين شيوخه ونوابه عن المؤامرات التى تحاك ضده والتى يدبرها رئيس الديوان بمساعدة بعض خصومه – خصوم النحاس باشا – من رجال الصحافة وغيرهم .

وانقل هنا من مذكراتى :

زرت حسنين باشا بناء على موعد سابق حددناه بالتليفون وبقيت معه نحو ساعتين ..

وقلت له .. ان النحاس باشا يعتقد انك ضالع مع مكرم عبيد. وهو يكره بعض الصحفيين الذين يعارضونه. ولما كان بعض هؤلاء صديقا لك ومتصلا بك ويستقى اخباره منك وهو ينشر دعاية واسعة لمكرم باشا وينشر فى الوقت نفسه دعاية ضد النحاس باشا – كما تقول التقارير التى يقدمها رجال البوليس السرى لرفعته – فان « رفعته » معذور اذا هو اعتقد ان بعض هؤلاء الصحفيين انما يفعل ما يفعله بايعاز منك ومن السراى .

فقال حسنين .. وانا مالى ؟.. ما هو مصطفى النحاس ومكرم عبيد اللى كانوا بيبعتوا لى هؤلاء الصحفيين فى كل حاجة .

ثم اخذ حسنين يدافع عن نفسه دفاعا طويلا .. فقال :

– لقد كانت سياستى بعد حادث ٤ فبراير وقيام وزارة مصطفى النحاس ان ما جرى قد جرى واللى فات فات.. وانه لا بد من التعاون مع الوزارة ورئيسها مصطفى النحاس وان «مولانا» الملك قد اعطى النحاس كلمة بمساعدته .

.. ولقد رأيت ان هناك رجلين من الصق الناس بالنحاس باشا وهما مكرم وامين عثمان وان العلاقات بين الرجلين وبين الملك والقصر لبست على ما يرام لان الاشاعات كانت دائما كثيرة عنهما. كما ان

الاشاعات فى البلد كانت تزعم ان الملك لا يحب مكرم عبيد ولا يحب امين عثمان . ومن هنا اردت ان اخدم الوزارة واخدم النحاس باشا نفسه بل واخدم امين عثمان ومكرم عبيد . وذلك بأن اجعل الملك يقابلهما ويظهر عطفه عليهما فيخرج الاثنان راضيين شاكرين، لكي يعرف البلد ان هذه الاشاعات ليست صحيحة وان الرجلين أو ذراعي النحاس ومستشاريه والصق الناس به ليسا مغضوبا عليهما بل على العكس يتمتعان برضاء الملك وعطفه .. ولقد خرج مكرم من مقابلة الملك راضيا مسرورا . وكذلك امين عثمان فهل يلومني النحاس على هذا ..؟

***

وهكذا خرج حسنين رحمه الله عن الموضوع الذى زرته من اجله.

وقلت : ولكن النحاس باشا ليس غاضبا بسبب مقابلة الملك لمكرم وامين عثمان .

قال : صبرك على شوية ..

ثم مضى يقول : ان هذه لم تكن محاولته الاولى من اجل تقريب مكرم من الملك وذلك انه أثناء الازمة أول فبراير « أى الازمة التى انتهت بحادث ٤ فبراير » اقترح حسنين على الملك دعوة مكرم عبيد مع الزعماء الذين استدعاهم القصر للمشاورة فى الموقف السياسى ولكن فاروق عارض وقال ان الدعوة مقصورة على طبقة من الزعماء وهى طبقة رؤساء الوزارات السابقين .. ورؤساء الاحزاب السياسية فكيف اذن يمكن دعوة مكرم عبيد وهو ليس من هؤلاء او هؤلاء ؟

قال حسنين :

— لكننى استطعت فى آخر الامر ان احصل على موافقة الملك بدعوة مكرم باشا . وكان فى النية استدعاؤه فعلا الى القصر للاشتراك فى مناقشات الزعماء بصفته السكرتير العام لاكبر هيئة سياسية فى البلاد. ولكن الازمة تطورت بسرعة والحوادث اسرعت وكان ماكان.

ثم تحدث حسنين عن مقابلة فاروق لمكرم عبيد باشا مرة اخرى فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو . وقد تمت المقابلة المذكورة من غير علم مصطفى

النحاس وأثناء اشتداد الإزمة بينه وبين مكرم عبيد والحاج النحاس باشا فى اقالة مكرم عن الوزارة .

قال حسنين :

ــ لم يكن من مصلحة احد ولا من مصلحتى كرئيس الديوان ان اتصرف أى تصرف يبدو منه اننى ضالع مع النحاس ضد مكرم . بل كان من واجبى ان احافظ على الحياد الدقيق . وانه اذا كان النحاس باشا سوف يقابل الملك لكى يعرض عليه اقالة مكرم من الوزارة ويبسط الاسباب فانه من واجبى ــ ومقتضيات الحياد ــ ان امكن مكرم كذلك من مقابلة الملك لكى يعرض عليه وجهة نظره فى الخلاف الذى نشب بينه وبين رئيسه مصطفى النحاس . كذلك كنت ارجو ان نتمكن من تسوية الامر وازالة اسباب الخلاف بين الرجلين الصديقين القديمين « كذا ؟ » ولهذا السبب أشرت على الملك بدعوة مكرم باشا لمقابلته .. ولم يعلم النحاس باشا بهذه الدعوة الا فيما بعد وبلغنى ان رفعته غضب جدا يومها ولكن مالوش حق .

ثم قال حسنين ان فاروق قال له بعد مقابلة النحاس : « مفيش فايدة .. لقد حاولت ولكنه مصمم على خروج مكرم من الوزارة » .

لقد قالها فاروق وهو « بيشوح » بذراعيه شأن الذى افرغ كل ما فى جعبته ولم يفلح .

***

ثم قال حسنين انه هو الذى اشار على فاروق برفض طلب النحاس الخاص باقالة مكرم عبيد وقال فى هذا :

ــ ان اقالة مكرم كانت ستفرح النحاس باشا يوما واحدا وهو يوم تنشر فى الصحف ولكن هذه الاقالة كانت ستدفع مكرم الى «التشليت» للنحاس باشا . فهل كان هذا فى مصلحة رفعته كرئيس للحكومة ورئيس للوفد ؟ .. ثم لماذا الاقالة وتوسيع الهوة بين الرجلين ؟ .. فليخرج مكرم من الوزارة ما دام النحاس مصمما على اخراجه . ولكن اليس من الافضل ان يخرج بطريقة لا توغر صدره وتملؤه حقدا ونقمة على مصطفى النحاس ؟ .

ثم قال حسنين ان هــذه الشكوك لم تتولد ضــده فى صــدر مصطفى النحاس الا بسبب زينب هانم ..

قال حسنين باشا ان السيدة زينب الوكيل هى التى أوغرت صدر النحاس باشا ضده بسبب موقفه منها فى مشروع تبير. ثم مضى يقول : ان لا كلمة ولا رأى للنحاس باشا عند زوجته وانها تسيطر عليه تماما . وهى امرأة ذكية الفؤاد و «شاطرة جدا» وواسعة الافق. وهى اذا اقتنعت برأى سارت فيه الى النهاية ولقد ساعدتنى فى عدة مسائل فكثيرا ما كنت اذهب لمقابلة النحاس باشا فى فندق مينا هاوس اثناء اقامته فيه فكانت تستقبلنى وتجلس معى الى ان ينتهى «رفعته» من ارتداء ملابسه. وكانت تقدم لى القهوة وتتبسط معى فى الحديث. وكنت فى بعض الاحيان اتحدث معها فى المسألة او الموضوع الشائك الذى يشغل بالنا والذى جئت اتحدث فيه مع زوجها وكنت ابسط وجه المصلحة ووجهة نظرنا فكانت اذا اقتنعت برأيى ساعــدتنى واقنعت زوجها النحاس باشا بأن المصلحة فيما اقوله او اطلبه .

ومضى حسنين يقول :

ولكن زينب هانم بالرغم من ذكائها فانها امرأة على كل حال . ومن عيوب المرأة انها اذا جرحت فى كبريائها اختل ميزانها وحسن تقديرها للامور. . كنا نتحدث ذات يوم عن الرتب والالقاب عندما ضحكت وعرضت لما اسمته « رتب الجزم » وهى الرتب التى كان أنعم بها جلالة الملك على الذين تبرعوا لمشروع مقاومة الحفاء . . ثم قالت ان عندها مشروعا تستطيع ان تجمع به نصف مليون جنيه . . وان هناك اشخاصا مستعدون لان يتبرع الواحد منهم بعشرة آلاف جنيه. بس على شرط أن ينعم عليهم برتبــة الباشوية . ولقــد سألتها زى مين . . ؟ فقالت : توفيق مفرج ، وصبحى الشوربجى ولكننى اشرت عليها بتأجيل هذا المشروع وان الافضل عدم الخوض فيه الآن لأن الظروف غير مناسبة .

ولكن زينب هانم لم تستمع لنصحى ومشت فى مشروعها . واعلنت عنه فى الصحف واصبح « مشروع البر » الذى تتولاه زينب

هانم حديث الناس فى كل مجلس وناد .. ولقـــد كنت أوثر ــ ولمصلحتها هى بالذات ــ مادامت قد مضت فى مشروعها ان تترك امر جمع التبرعات للجنة منظمة وان يكون هناك بنك يشرف على هذه العمليات كلها .. ولكن زينب هانم والذين معها تركوا الامر فوضى بلا ضابط ولا رقيب ولا حساب . وازدادت اشاعات السوء انتشارا .
ولقد كانت اقاويل الفساد والرشوة واستغلال النفوذ موجودة قبل مشروع البر . ثم جاء هذا المشروع وضاعف من انتشارها . ففيم كان هذا التصرف ؟ وفى مصلحة من ؟ ..

ثم استطرد حسنين يقول :

وفى هذا الجو .. جو الاشاعات والقيل والقال والاتهامات التى ترمى من هنا ومن هناك طلبت منى زينب هانم ان يتفضل «جلالة الملك » بحضور الحفلة التى اقيمت لمشروع البر فى دار الاوبرا .. ومن حسن الحظ حتى لا أصدم بها ــ كان الملك غائبا عن القاهرة فى رحلة فى سيناء .. ومع ذلك فقد بذلت وساطتى ارضاء لها وحضرت الملكتان فريدة ونازلى الحفلة فى الاوبرا .. وعاد الملك من سيناء .. وعادت زينب هانم تطلب منى أن يحضر الملك حفلة شاى التى تقيمها فى فندق مينا هاوس .

وقلت لها ان هذا امر مستحيل بحكم التقاليد .. وحاولت ان اقنعها بان هذا الامر ليس له سابقة ولكن عبثا .

قلت لها ان الملك لا يمكنه ان يجلس الى مائدة الشاى وبجانبه حرم رئيس الوزراء الا اذا كانت جلالة الملكة موجودة وان جلالة الملكــة لا يمكنها أن تحضر حفلة يدعى اليها السفير البريطانى وسفراء الدول والوزراء ورجال الدولة . لان حضورها يكون ثورة على جميع التقاليد .

ولكن زينب هانم لم تقتنع بحجتى وقالت ان الملك سبق أن حضر حفلة اقامتها هدى هانم شعراوى . «واشمعنى يحضر حفلة الولية العجوزة الوحشة دى ولا يحضرش حفلتى ؟ .. »

قلت لها ان الملك حضر حفلة هدى هانم شعراوى «متنكرا» ــ اى بصفة غير رسمية ــ ولقد منعت الصحف من ذكر خبر حضوره

الحفلة . ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الحفلتين فحفلة هدى هانم لم تكن شبه رسمية مثل حفلتك . والملكتان فريدة ونازلي حضرتاها .
وأما حفلتك انت فان لها طابعا رسميا او شبه رسمي .. الى آخره .
... ولكن زينب هانم لم تقتنع واسرتها ضدي في نفسها ..
وذات يوم ارادت ان تضاربني بعبد الوهاب طلعت باشا وكان هذا ذكاء رخيصا منها . فقد قالت لي : «تعرفي مين جانا النهارده ؟ .. عبد الوهاب طلعت باشا جه علشان يقول لي انه مستعد لاي خدمة ويقدر يعمل لي كل اللي اطلبه منه » ولكني قلت له : « أبدا .. وانني ما أطلب حاجة الا من حسنين باشا بس .. » .

***

وقال حسنين انه قال مرة لزينب هانم « قولي بس انت عاوزه مني ايه وانا اعمله علشان خاطرك .. » .
قالت : عاوزاك تكسر لي .. كذا وكذا وكيت .. «سلسلة من النعوت والشتائم وكانت تقصد مكرم عبيد .
وسألها حسنين .. وليه عاوزه تكسريه ؟
قالت : لانه بيكره الملك ..
ومرة اخرى كان ذكاؤها رخيصا ..

***

وانصرفت من مقابلة حسنين باشا الى مكتبي . ومن هناك كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقت معه على ان نتقابل في المساء في فندق مينا هاوس وكان النحاس باشا يقيم وقتئذ بالفندق المذكور . وكذلك الاستاذ فؤاد سراج الدين .
وتقابلنا في الموعد المحدد . وجلسنا الى احدى الموائد الموضوعة حول حوض السباحة . وتناول فؤاد باشا طعام العشاء بينما كنت الخص له دفاع حسنين باشا عن نفسه كما سمعته منه في الصباح .
ثم قلت : — ووافقني هو على رأيي — ان حسنين بريء مما تتهمه به النحاس باشا . وعلى كل حال « انه مصلحة للنحاس باشا في محاربة حسنين ومجاهرته بالعداء ؟ بل هل من المصلحة ان تحارب

فى جبهتين ! جبهة حسنين ومن معه من رجال القصر؟.. وجبهة المعارضة من الاحرار الدستوريين والسعديين ؟..

وبعد تناول العشاء قمنا وصعدنا الى غرفة فؤاد باشا . وتركنى فيها وغاب نحو نصف ساعة لان «رفعة» الرئيس كان يتناول العشاء مع حرمه زينب هانم والسيدة حماته وحميه عبد الواحد باشا الوكيل .

وعاد فؤاد سراج الدين وصحبنى الى غرفة الجلوس فى الجناح الخاص الذى كان النحاس يقيم فيه هو والسيدة حرمه ..

وكان النحاس باشا متربعا فوق كنبة .. ولاحظت انه مشغول الخاطر معكر المزاج .

وبدأت الحديث فقلت له ان حسنين صديقى وانا اعرفه جيدا واستطيع ان اثق فيما يقول لى كصديق .. وهو برىء ..

وسردت - او حاولت ان أسرد حجج حسنين ومنها ان النحاس باشا ومكرم باشا هما اللذان كانا يرسلان اليه الوسطاء من أصدقائه .

وهنا قاطعنى النحاس باشا بحدة . وبدأ هو يتكلم .. ولم يترك لى بعدها فرصة للكلام واتمام دفاعى عن حسنين ..

والذين يعرفون الرئيس السابق مصطفى النحاس يوافقوننى على انه لا فائدة من مقاطعة « رفعته » اذا اندفع يتحدث .

وهكذا سكت . وتركته يتكلم .

قال : هذا غير صحيح فأنا عمرى ما ارسلت له وسطاء ، ربما مكرم هو الذى ارسلهم اما انا فلم ارسلهم ولا مرة واحـــدة لاننى اكرههم ولا اثق فيهم والذى حدث اننا كنا فى مصيف رأس البر فى الصيف الماضى وجاء احد أصـدقاء حسنين يقول لمكرم انه حاضر موفد من قبل الملك لكى يدعونا لمقابلة جلالته .. وجاء مكرم فقلت له : « يا مكرم بلاش فلان لانى لااثق فيه » ..

قال : صحيح .. ولكن ما الضرر ان نسمع كلامه ..

ثم قص رفعته التفاصيل وهى لا تخرج عما سبق ان ذكرته .

ثم استطرد النحاس باشا يقول :

ـ وسافرت انا ومكرم الى القاهرة وقابلنى جلالة الملك ولكنه لم يقابل مكرم ، وغضب مكرم وقال : «وعلشان ايه جابونى باه ؟ يعنى انا طيشه » . هذه يا سى النايعى هى المرة الوحيدة اللى جاءنا فيها صديق لحسنين باشا .. ولقد جاءنا كما رأيت من حسنين .

ثم قال بحدة وانفعال شديد :

ـ ده كلام فارغ دول بيلعبوا بالنار .. هؤلاء العكاريت .

الى آخره .. الى آخره .

وبعد أن هدأ قليلا انتقل الى الحديث عن مقابلة فاروق لمكرم عقب تأليف الوزارة وهى المقابلة التى اثارت شكوك النحاس فى مكرم عبيد ولقد سبق ان اشرت الى هذه المقابلة وقلت انها كانت مناورة او مؤامرة من حسنين باشا للتفريق بين النحاس ومكرم .

واعود الآن واثبت هنا رواية النحاس باشا نفسه عن المقابلة المذكورة .

قال : بعد تأليف الوزارة بأيام جاءنى مكرم باشا وقال ان حسنين طلب منه ان يلتمس مقابلة الملك ، وانه ـ اى مكرم ـ قال له ان ليس عنده سبب يبنى عليه طلب المقابلة . ولكن حسنين قال له : « فتش على حاجة » واخيرا قال له مكرم ان عنده رسم الورق الجديد البنكنوت من فئة عشرة قروش وخمسة قروش ، فهل يطلب المقابلة ليعرضه على الملك ؟ ووافق حسنين .

ومضى النحاس باشا فى روايته .. وانا اسجلها هنا بحروفها نقلا عن مذكرات مكتوبة .. قال :

ولما قال لى مكرم هذا رأيت انها حاجة غريبة واحسست ان فى الامر شيئا غير برىء فقلت لمكرم باشا «وهو كذلك .. روح .. ولكن كن على حذر .. دول يامكرم عاوزين يفرقوا بيننا ، وابقى فوت على بعد المقابلة او كلمنى بالتليفون وقل لى على الحديث اللى دار فيها» .

وانتظرته فى المساء . الساعة التاسعة . تسعة ونصف . عشرة ..ونصف ، وكنت كلما طلبته بالتليفون وجدت نمرته مشغولة .. واخيرا وكانت الساعة منتصف الليل تقريبا دخلت ونمت .

وفى الصباح أحضروا «نوتة» أو رسالة منه كان املاها بالتليفون بعد نومى ـ أى بعد منتصف الليل وفيها يقول إن المقابلة كانت «عال وعظيمة» وانه سوف يقص على التفاصيل بعد عودته من الفشن .

وفى نفس الصباح قرأت فى احدى الجرائد بيانا لمكرم عن مقابلته للملك ، وهو بيان لا يكتبه سوى عبد . وماذا يقول الانجليز الآن ؟ امن اجل هذا جاءوا بنا الى الحكم ؟ لقد جاءوا بنا ظنا منهم اننا وحدنا الذين نستطيع الوقوف فى وجه الملك .. فماذا يقولون اليوم بعد هذا البيان الذى لا يكتبه سوى عبد .

ثم كلمنى مكرم بالتليفون من الفشن بخصوص المسألة اللى كان سافر من اجلها . وسألته ايه الكلمة اللى كتبتها دى فى الجرايد يا مكرم ؟ فقال : « ايه رايك فيها ؟ قلت له « زفت وقطران » لما ترجع واقابلك نتكلم فيها .

وعاد مكرم وقابلنى .. وقال انه لا يرى رايه وانه لم ير ضررا فى كتابة الكلمة المذكورة لاننا سبق ان كتبنا مثلها ومدحنا الملك بأعظم منها .. فقلت له : فليكن .. ولكن انا الذى اكتب وامدح لا انت » لاننى انا اقدر الظروف .. وانا اذا مدحت فانا اتقاضى فى مقابل المدح ثمنا .. انا اللى ياخد من الملك واللى باعامل الملك مش انت . ولكن قل لى لماذا لم تاخذ رايى فيها وتستشيرنى قبل نشرها » ؟

قال : فى الحقيقة حسنين باشا طلب منى بعد خروجى من مقابلة الملك ان اكتب كلمة كويسة عن الملك وانشرها .

فقلت له : هذا سبب كان أدعى لأن يحملك على أن تاخذ رايى وانت دائما تاخذ رايى فى كل مسالة فلماذا لم تفعل هذه المرة .. هذا سعى للتفريق بيننا وبكره تشوف يا مكرم .

ثم قال النحاس باشا انه عرض بلباقة لهذه المسالة فى اجتماع لمجلس الوزراء وعاتب مكرم ثم قال له امام زملائه الوزراء انه يشفق ان تصبح المسالة مسابقة أو مزايدة بين الوزراء كل واحد منهم يسابق زملاءه الى مدح الملك ويزيد فى المدح عما قاله الذى سبقه . ثم انتقل النحاس باشا الى الحديث عن اخراج مكرم من الوزارة ،

فقال انه كان يعرف قبلها بشهر أن مكرم باشا ينوى أن يجعل من « الاستثناءات » ميدانا للمعركة ، وانه ـ أى النحاس باشا ـ أفضى برأيه هذا الى بعض الوزراء فقال لهم : (مكرم مش ناوى يقعد معنا وبكره تشوفوا) ، وان نجيب الهلالى ذهب يومئذ الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم أن فى نيته شيئا من هـــذا وأكد اخلاصه للنحاس . وتضامنه مع زملائه أعضاء الوزارة ، ولكن النحاس باشا ظل متمسكا برأيه وهو «ان مكرم مش ناوى يقعد معانا» .

الى أن كانت مســـألة الاستثناءات التى كان رئيس الوزراء والوزراء طلبوها لعدد كبير من الموظفين الوفديين ومن الانصـار والأقارب والمحسوبين ، وهنا أخذ وزير المالية مكرم عبيد يسوف .. ويماطل فى الرد على طلبات النحاس والوزراء ، وكان ـ عندما يعجله النحاس باشا بالرد ـ كان يقول له : « طول بالك شوية لأن اللجنة المالية بتعارض وأنا باعمل جهدى علشان أقنعها بالموافقة »

ومضى النحاس باشا فى حديثه يقول :

ـ ولكننى قلت له : المهم ان ترسلوا لنا ردكم ايا كان ، بالموافقة أو بالرفض مش مهم ، بس ردوا علينا لأن الحركة واقفة ، وهناك حركة أخرى سوف تتلو هذه الترقيات المطلوبة ومش ممكن عملها الا بعدها ، وأخيرا جاء رد اللجنة المالية وقال مكرم انه لم يكتبه وان اللجنة المالية هى التى كتبته ، وفى جلسة مجلس الوزراء التى عرضت فيها مذكرة اللجنة المالية بعدم الموافقة على الاستثناءات المطلوبة ـ وقد رفض المجلس هذه المذكرة ـ قال مكرم انه لا يرتب اية نتيجة على رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية ، وانه يضع استقالته تحت تصرفى ، ولكننا تصافينا فى الجلسة ، وعند مغادرتنا لقاعة اجتماع مجلس الوزراء دعانى مكرم لتناول الغداء معه فى داره ولكنى اعتذرت بمرضى واننى أتناول أدوية معينة لم تكن معى .. وقلت له : اننى سوف أتناول الغداء عنده فى فرصة أخرى .

***

ولكن مكرم ـ وقد كنا تصافينا كما قلت ـ نشر مذكرة اللجنه

المالية بقصد التشنيع على وعلى أقاربى ولكى يحرجنى ويحرج زملاءه الوزراء أمام الرأى العام ، وهنا رأيت أن التعاون بيننا لم يعد ممكنا وقررت اخراجه من الوزارة ومن منصب سكرتير الوفد .. لأن دى مسألة ثقة وتعاون بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد ، ولكن ليس فى نيتى اخراجه من هيئة الوفد أو من الهيئة الوفديه .. وارسلت اليه عثمان محرم باشا بصفته أقدم الوزراء لكى يذكره بوعده ويطلب منه أن يستقيل ، ولكن مكرم لم يكد يرى عثمان باشا حتى صاح : « أنا عارف أنت جاى ليه ، لكن مش راح أستقيل .. وخلى النحاس يقيلنى اذا كان يقدر » ..

ومعنى هذا ان مكرم كان واثقا من مركزه ، وكان يعرف مقدما ومن حسنين و«شلته» أن الملك سوف يرفض أن يقيله من الوزاره

ثم انتقل النحاس باشا بالحديث الى مقابلته لفاروق فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو ١٩٤٢ .

ولقد تمت المقابلة المذكورة بينما كان مكرم باشا جالسا فى احدى غرف القصر ينتظر دوره للمقابلة «الملكية» ولكن النحاس باشا لم يكن يعرف أن مكرم موجود فى السراى وانه سيقابل الملك » .

قال النحاس عن مقابلته لفاروق :

ـ ولما قابلت الملك التمست منه اقالة مكرم وشرحت لجلالته حكم الدستور فى هذا الشأن وكذلك حكم السوابق الدستورية ومنها اقاله عبد العزيز فهمى باشا ولكن جلالته قال : لا .. لا .. بلاش السابقه دى .. شوف لنا يا مصطفى باشا طريقة تانية غير الاقالة .

قلت لجلالته : حسنين باشا هوه اللى تخن ودن مكرم علشان بعت له مع حسن الاعور يطلب منه الا يستقيل، فقل جلالتك لحسنين باشا أن يطلب من مكرم أن يستقيل او احسن من كده يبعت يجيبه فى السراى ويطلب منه باسم جلالتك أن يستقيل ، فقال الملك : دى فكرة عال ، ولكن نفرض أن مكرم رفض أن يستقيل يبقى الحل ايه ؟ اظن الاوفق يا مصطفى باشا ان تقدم استقالة الوزارة وانا اعدك ان خطاب التأليف بتشكيل الوزارة يصلك فى نفس اليوم .

ومضى النحاس باشا فى روايته ، فقال :

ـ ولما رآنى الملك ترددت قال : « والا انت خايف منى ومش واثق فى كلامى » ، وأسرعت أقول له : معاذ الله يامولانا ، وأنا أؤكد لمولاى اننى لم أقبل الوزارة الا اجابة لرغبتك ورغبة منى فى خدمتك وأنا الآن أحترق بالنار فى كل يوم ولا أنام الليل ، وثق يا مولاى ان أهنأ يوم فى حياتى هو يوم يقبل جلالة الملك استقالتى ويعفينى من أعباء الوزارة وأنامريض وصحتى متعبة .

***

وقال فاروق : لو تعلق الأمر بصحتك فقط لما كان هناك مانع من اعفائك من أعباء الحكم . ولكن الظروف لا تسمح .

ثم قال النحاس باشا ان مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب الذين زاروه اننى ـ أى النحاس ـ طلبت من الملك اقالته وان الملك رفض .. فمن الذى أخبر مكرم بهذا وبما دار بين الملك وبينى .. لازم يكون حسنين باشا .. وهى مؤامرة بينه وبين مكرم .

***

وأصبحت وكلمت حسنين باشا بالتليفون ، قلت له : «النحاس باشا هايج جدا ويصر على اتهامك انت وبعض أصدقائك بكذا وكذا »

واحتد حسنين باشا ، ولعلها كانت المرة الوحيدة التى سمح فيها لنفسه بأن ينفعل وأن يحتد .. ولعله خشى العاقبة ، وأشفق من محاربة النحاس باشا له وقد كان يعرف أن مركز النحاس يومئذ كان قويا مؤيدا ، وانه اذا ركب النحاس رأسه واعلن الحرب على حسنين وقال مثلا : « أما أنا ، وأما حسنين» فقد يتدخل الانجليز مره أخرى وقد يسفر تدخلهم عن نتائج لاتسر رئيس الديوان احمد محمد حسنين

ومن هنا بدا الانفعال واضحا فى صوت حسنين وهو يقول :

ـ شوف يا محمد ، أنا زى ما قلت لك ، لا يد لى فيما حدث ، وليس فى برنامجى أن أحارب النحاس باشا . ولكن اذا كان عايز يهاجمنى فسوف اضطر أن اشب على قدمى وأرد الضربة ضربتين .

ثم تواعدنا على اللقاء فى بحر الاسبوع على أن أكلمه بالتليفون قبلها

ووجدت أن الحالة خطيرة وان الشد من الطرفين قد يؤدي الى قطيعة أو ينتهي باصطدام ، وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له : ان مقابلتي مع النحاس باشا مساء أمس لم تنته الى النتيجه التي كنا نرجوها ، وانني اضطررت الى التظاهر بالموافقة على رأيه لأني أدركت أن لا فائدة من مناقشة « رفعته » .. وقلت :

ــ وانت تعرف النحاس باشا وتعرف عناده وانه اذا انطلق فى حديث فليس لى هناك من يستطيع ان يقاطعه او يوقفه ، وانا فى الحقيقة لا أوافقه على رأيه فى حسنين ، وبعــد هــل من حسن السياسة مبادرة حسنين بالعداء ..؟ فأرجوك يا باشا أن تعمل من ناحيتك على اقناع النحاس باشا بهذا الرأى .

ووافقنى فؤاد سراج الدين وقال انه يفكر فى دعوة النحاس باشا والسيدة حرمه وحسنين باشا لتناول العشاء معه فى داره ، ولعل هذا الاجتماع العائلى يساعد على تهدئة الجو بين الطرفين .

***

ومر يومان أو ثلاثة ، ولما لم أتصل بحسنين بالتليفون كما كنت وعدته سأل عنى هو مرتين وزرته فى داره فى صباح السبت وقلت له ان فؤاد سراج الدين يفكر فى دعوتك مع النحاس باشا لتناول العشاء فى داره فقال انه يفضل ان يبدأ هو بدعوة النحاس باشا والسيدة حرمه لتناول الغداء أو العشاء معه ، ثم عاد وقال :

ــ الافضل أن تتناول الغداء معى أنت وفؤاد باشا أولا ..

وقمت الى التليفون وكلمت فؤاد باشا واتفقنا على أن نتناول الغداء مع حسنين باشا بعد غد أى يوم الاثنين .

***

وجلسنا حول مائدة الغداء فى دار حسنين باشا بميـــدان عبد المنعم بالدقى .

وانقل هنا ــ بشىء من الايجاز ــ ما دونته يومئــذ فى مذكراتى بتاريخ الاثنين ٨ يونية عام ١٩٤٢ .

***

قص علينا فؤاد باشا ـ ويظهر انه كان أعد مقدما حديثه ـ
قص علينا بوادر الخلاف بين النحاس ومكرم ولو اننى أعتقد ان
هذه الحكايه لم تكن أول بادره من بوادر الخلاف .. قال :
ذات يوم وكان النحاس باشا لا يزال يقيم فى الباخرة محاسن
.. قالت زينب هانم للاستاذ قاسم جوده الذى كان يزورها كلأما
كثيرا معناه أنه وغيره من الصحفيين يسرفون فى الكتابة عن مكرم
باشا وعن حركاته وسكناته ، بينما رئيس الوزراء نفسه وبقيه
الوزراء لا يكتب عنهم نصف ما يكتب عن مكرم عبيد .
ويظهر ان الاستاذ قاسم جوده ابلغ مكرم باشاما قالته زينب هانم
لان مكرم ذهب وقابل النحاس باشا وقال له ان زينب هانم تسىء
اليه وتطعن فى حقه وعاتبه فى هذا .. وقال له النحاس باشا أنه
يستبعد صحة الخبر وسأله عن اسم الذى أبلغه هـذا ، ولـكن
مكرم رفض أن يبوح باسمه ..
وابلغ النحاس باشا السيدة زوجتـه أن مكرم عاتب عليهـا ،
وروى لها ما سمعه منه ، وكانت السيدة مريضـة فى فراشها ،
ولكنها كلمت مكرم بالتليفون وطلبت منه أن يزورها ففعل .
ولما دخل عليها قالت له ان مصطفى باشا أبلغها عتابه ولـكنها
تنكر انها طعنت فيه أو أساءت اليه فى أى حديث لها . وسألته
عن اسم الذى نقل اليه هذه الرواية فقال « شخص أثق فيه كل
الثقة وهو لا يكذب » ،ورفض أن يذكر اسمه .
وطال الحديث والعتاب .. وبدرت من مكرم باشا هذه العباره
.. (يظهر انك خايفة على مركز جوزك منى) .
وهنا انتفضت زينب هانم غاضبة وصاحت بصوت عال : «منك
انت .. أخاف منك على مصطفى النحاس ؟ ايه اللى تقدر عليه ؟
تقدر تعمل رئيس وزارة لكن هل تقدر ، تكسب الزعامة أو الحب
الذى تكنه الأمة لمصطفى النحاس ..؟ جوزى هو اللى خلقك ..؟
وقال مكرم : « اللى خلقنى ربنا مش جوزك .. وانا اللى كونت
نفسى بجهادى وتضحياتى » ..

وكان النحاس باشا قد آثر ان يترك مكرم باشا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان . ولكنه اقبل على صياحهما فوجد زوجته تبكي غيظا وغضبا .. ولما سال عن السبب التفت الى مكرم وقال : « انت غلطان . قوم بوس راس اختك وصـــالحها » وقام مكرم وقبل راسها ويدها .. وتصالحا وتصافيا .

***

ثم قال فؤاد باشا ان زينب هانم اتفقت مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى انه لما ذهب نجيب الهلالى باشا واحد الوزراء الى والدها عبد الواحد الوكيل لكى يوسطاه فى الصلح بين ابنته ومكرم باشا ، وجدا أن الرجل لم يكن يعرف شيئا مطلقا ولم يكن قد سمع اى شيء مطلقا عن وجود اى خلاف أو سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم ومكرم عبيد .

ثم قال فؤاد باشا : ولكن مكرم خرج يقول لأصدقائه ان زينب هانم شتمته وأهانته .

ثم انتقل فؤاد باشا سراج الدين الى نقطة أخرى فقال ان النحاس باشا كان قال للوزراء قبلها بشهر : ان مكرم باشا مش ناوى يقعد معانا ، وانه سوف يختار ميدان المعركة حول الاستثناءات .

وأنكر الوزراء على رفعته هذا القول وذهب نجيب الهلالى الى مكرم وسأله فى هذا فانكر مكرم واكد ان لا شيء من هـذا يدور بخاطره ، واكد مرة أخرى اخلاصه وولاءه لمصطفى النحاس .

ولكن النحاس أصر على رأيه واتهامه لاخلاص مكرم وان الاستثناءات هى الميدان الذى سوف يختاره لمهاجمة الوزارة ، ثم قال النحاس : « وبكره تشوفوا . وأنا أقبل منازلته فى الميدان الذى يختاره »

وتحدث فؤاد سراج الدين بعد ذلك عن وزارة التموين والخلاف الذى كان ناشئا بسببها وانكر على مكرم عبيد دعواه ، وهى أنه فوجىء بهـــا فى خطاب العـــرش ، وقال ان الحديث فى اعادة الوزارات الثلاث دار فى احدى جلسات مجلس الوزراء وان مكرم عارض بشدة فى سحب وزارة التموين منه ، ولكن مصطفى النحاس

باشا اقنعه بضرورة تخليه عن الوزارة المذكورة .. وهنا تظاهر مكرم بأنه قد اقتنع ، وبعدئذ طلب مكرم تأجيل تعيين وزير لوزارة التموين لمدة شهر واحد فأجابه النحاس باشا الى طلبه .

وكان المفهوم ــ بل والمتفق عليه ــ ان يتقدم مكرم بعد انتهاء الشهر ويقول ان صحته متعبة وانه لا يستطيع القيام بأعباء العمل فى وزارتى المالية والتموين ومن ثم فهو يرجو اعفاءه من منصب وزير التموين ــ وكان هذا هو المتفق عليه ــ وهكذا ينقذ المظاهر أمام الناس ويعتقد الجميع انه ــ مكرم ــ هو الذى تخلى بمحض ارادته عن وزارة التموين ، ولكن الشهر الذى كان طلبه انقضى ولم يحرك مكرم ساكنا وبقى محتفظا بالوزارتين ، المالية والتموين . وكان النحاس باشا قد وعد الملك بتعيين وزراء للوزارات الثلاث فى بحر أسبوعين .

واستدعى النحاس باشا مكرم وسأله متى يعلن رغبته فى ترك وزارة التموين ..؟

وقال مكرم انه لن يترك وزارة التموين .

وقال له النحاس .. ازاى يامكرم ؟ واقول للملك ايه ؟ اقول له انا كذاب .. فأجابه مكرم : لا .. قل له انا اللى كذاب .

***

وبعدها انتقل فؤاد سراج الدين الى الحديث عن البيان الذى قدم به مكرم الميزانية فقال ان البيان المذكور كان مفاجأة للنحاس والوزراء لان مكرم باشا لم يكن قد اطلع عليه احدا منهم مع انه تعرض فى البيان لكل وزارة ولعمل كل وزير ، وارتبط فى هذا البيان أمام البرلمان بوعود لا يرجع أمر تحقيقها اليه وحده بل يعود الى الوزارة كلها والى جميع الوزراء ، مثال ذلك أنه أعلن فى بيانه أن ثمانية أوامر عسكرية سوف تصدر من الحاكم العسكرى العام ــ وهو النحاس باشا ــ فى مسائل كذا وكذا وكيت ، فهل كان الحاكم العسكرى أولا عن رأيه قبل اعلان النبأ أمام البرلمان ..؟

وأعلن كذلك فى بيانه ان قوانين كذا وكذا سوف تصدر .. فهلا كان سأل الوزراء المختصين عن رأيهم .. مثال ذلك وهو أمر

سبب حرجا كبيرا للوزارة .. انه أعلن فى بيان الميزانية ومن غير أن يستشير زميله وزير العدل ان البيوع الجبرية سوف توقف .. وصفق البرلمان طويلا لهذا النبأ ..

ولقد حدث بعد أيام معدودة من القاء البيان انه كانت هناك بيوع جبرية فى المحاكم المختلطة .. واستند المدينون الذين سوف تباع املاكهم الى ما جاء فى بيان وزير المالية أمام البرلمان .. ولكن المحاكم المختلطة قالت ان بيان الوزير لا يربطها لان ما جاء فيه لم يصدر به قانون ..

وفزع المدينون الى وزير العدل .. وكان ان اضطر الوزير — صبرى ابو علم — الى ان يتصل بالنائب العمومى لدى المحاكم المختلطة وبصفة شخصية ودية ويرجوه أن يتدخل وينقذ الوزاره من هذا الحرج ..

واتفق الرأى على أن يحضر وكلاء النيابة جلسات البيوع الجبرية ويطلبوا التأجيل للاطلاع .. الى ان يصدر القانون المطلوب ..

***

وقال فؤاد باشا ان بيان مكرم كان طويلا ، وكان النحاس يتململ ويظهر ضجره وامتعاضه من بعض ما جاء فى البيان ، ولما طال القاء البيان وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء الى الحادية عشرة .. هم النحاس باشا بمغادرة الجلسة « مجلس النواب » ولكنني — فؤاد سراج الدين — همست فى أذنه انه لا يليق أن يغادر الجلسة قبل أن ينتهى مكرم من القاء بيانه .. وجلس ..

ولما انتهى مكرم من القاء البيان قام اليه النحاس باشا من باب المجاملة — وقبله وقال له « برافو يا مكرم » فكانت تحية بل ومجهودا يشكر عليه النحاس باشا ..

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين فى روايته فقال :

— وفى صباح اليوم التالى استدعى النحاس باشا مكرم وعاتبه على ما جاء فى بيانه من وعود وعهود قيد بها الوزارة من غير أن يستأذن أو يستأنس برأى أحد من زملائه الوزراء . فضحك مكرم وقال له :

ـ نبقى خالصين .. زى حكاية وزارة التموين فى خطبة العرش اى ان هذه مفاجأة لكى .. وتلك كانت مفاجأة لى ..

ثم تكلم فؤاد سراج الدين عن مذكرة اللجنة المالية عن الاستثناءات التى كانت السبب المباشر فى اخراج مكرم من الوزارة ، فقال ان النحاس ـ كماسبق الذكر ـ كان يعرف ان مكرم سوف يختارهذا الميدان بالذات فكان يستعجله رد وزارة المالية على طلبات الترقية المطلوبة فى وزارة الداخلية وكان مكرم يقول انها لاتزال قيدالبحث .. و « طول بالك ياباشا لانى الاقى صعوبة مع اللجنة المالية » .

واخيرا قال له النحاس باشا ، « ردوا علينا كما تريدون .. المهم ابعتوا ردكم بالرفض أو الموافقة علشان نقدر نتصرف » .

واخيرا جاءت المذكرة ..

وكانت جريدة المقطم فى مساء الاربعاء .. وجريدة الاهرام فى صباح الخميس قد أشارتا الى هذه المذكرة المقدمة من اللجنة المالية انها تتضمن رفض الموافقة على الترقيات والاستثناءات المطلوبة .. وقد أغضب نشر الخبر النحاس باشا ..

وكان الجو مكهربا . وكنا جميعا نخشى من الانفجار .. وتحدث بعض الوزراء فى هذا المعنى مع مكرم فأكد لهم ان المسألة مسألة « روتين » وان ليس فى نيته أى شىء خبىء ..

ودخل الوزراء قاعة اجتماع مجلس الوزراء وقلوبهم واجفة وما دار فى الجلسة المذكورة مدون فى محضر الجلسة الذى نشر ببلاغ رسمى ..

ولقد تصافى النحاس ومكرم فى ختام الجلسة ـ « وقد رويت التفاصيل » وظن الوزراء ان الجو صفا . .

ولكن خاب ظننا فقد ذهب مكرم بنفسه الى جريدة المصرى ومعه مذكرة اللجنة المالية يطلب نشرها .. ويلح ويتوعد ويهدد اذا لم تنشر ..

وكان النحاس باشا قال أثناء جلسة مجلس الوزراء التى عرضت فيها المذكرة ان مذكرة اللجنة المالية هذه مقصود منها التشنيع عليه

بالذات فقال له مكرم (لو كنت عاوز يا باشا أشنع عليك كنت نشرت الامثلة والاسماء ..) .

وها هو قد نشر فعلا الامثلة والاسماء فى المذكرة التى نشرت بجريدة المصرى فى يوم السبت التالى لانعقاد جلسة مجلس الوزراء .. وهكذا سقطت حجة مكرم فى عدم رغبته فى التشنيع على مصطفى النحاس .

***

وانتهى فؤاد « باشا » سراج الدين من حديثه الذى لخص فيه أسباب الخلاف بين النحاس ومكرم ..

وبدأ حسنين « باشا » حديثه أو دفاعه عن نفسه . وعن سياسته فاستهل كلامه بعباراته « الاكليشيهية » المعروفة وهى أنه لا يشتغل بالسياسة ولا يفهم فى السياسة وقال ـ وهو يلتفت الى كأنه يستشهد بى :

« ومحمد يعرف كده ..! مش كده يا محمد ..؟ » .

وابتسمت وقلت بأه اسمع .. ما تحرجنيش وبلاش أسئلة علشان ما تسمعش منى أجوبة صريحة ..

وضحك وضحكنا ..

وبدأ الحديث ورواية التاريخ منذ عام ١٩٣٧ .. وكيف انه كان زاهدا « كذا » فى منصب رئيس الديوان وكيف ان الملك ارغمه على قبول هذا المنصب فى عام ١٩٤٠ ..

ثم شرح سياسته .. وقد سبق أن أفضت فيها وفى شرحها . ولكننى أعود فألخص هنا حديثه فيما يلى :

قال :

ـ (١) ان سياسته قائمة على أن الاغلبية ـ وهى الوفديين ـ تحكم . وهذه سياسته منذ أن ولى رئاسة الديوان أى منذ عامين .

(٢) انه عمل ومن قبل أن يلى الوفديون الحكم على اقناع الملك بأن الوفديين قد سالموه .. لا طمعا فى الحكم وانما اعترافا منهم بخطئهم فى الماضى « أى فى وزارة ١٩٣٧ » .

(٣) انه صارح حسين سرى والدكتور هيكل والسعديين بأن سياسته تقوم على أن يتولى الوفديون ـ وهم الاغلبية ـ الحكم .. بينما الاحرار الدستوريون والسعديون يقومون بمعارضة قوية نزيهة

(٤) اسهب فى ذكر الخدمات التى أداها للوزارة الوفدية منذ تولت الحكم فى شهر فبراير الماضى .. وتحدث عن الصعاب العديدة التى ذللها من طريق الوزارة ..

(٥) أفاض فى وصف اعجابه بذكاء وظرف زينب هانم الوكيل .

(٦) قارن بين الاشاعات السخيفة والتى لا يقوم دليل واحد على صدقها .. وهى الاشاعات التى يسمعها النحاس باشا ضده ـ ضد حسنين ـ وبين هذه الخدمات والحقائق البارزة التى دلل بها على حسن نواياه نحو النحاس باشا ..

***

هذه هى خلاصة حديث أو دفاع حسنين أجملتها فى عبارات أو عناوين .. ولكننى أحب أن أذكر « طرائف » جاءت فى التفاصيل التى لم أذكرها ..

كان حسنين عرض فى حديثه لمشروع البر والحفلات التى اقامتها زينب هانم للمشروع المذكور ، وقال ان فاروق لم يحضر الحفلات المذكورة حرصا على التقاليد .

وهنا قلت أنا انه لو كان الملك حضر حفلة الشاى فى فندق مينا هاوس وجلس الى جانب زينب هانم حرم رئيس الوزراء لكانت الخطوة الثانية المنطقية أن تدعى حرم رئيس الوزراء وزوجات الوزراء الى حفلات السراى الرسمية وكن يومئذ يختلطن بالمدعوين من سفراء ووزراء .. وهذا خرق للتقاليد .. ولكننا سوف نصل اليه قريبا وبالتدريج ..

وهنا قال حسنين ان الملكتين نازلى وفريدة تقولان انه لم تبق فى مصر سيدة تلبس « اليشمك » سواهما ، وان اللى عاوز يتفرج على حاجة انتيكة فى مصر يروح يتفرج عليهما وهما باليشمك .

***

ولقد عرض حسنين أثناء حديثة الطويل لعلى ماهر وذكر رأيه فيه وفى سياسته وقد عرضت لهذا كله .

وكان مما قاله ان السيد على ماهر لم يهنئه على تعيينه رئيسا للديوان . ولكنه أرسل اليه الاستاذ ناصر شاويش يقول له « ان على ماهر باشا لم يحضر لتهنئتك لأنه مش عاوز ييجى السراى خوفا من أن يرى وجه عبد الوهاب طلعت » .

ثم قال حسنين : ولقد كان عبد الوهاب طلعت الذراع اليمنى لعلى ماهر .. ولكنه ـ بعد خروج على ماهر من رياسة الديوان ومن الوزارة ـ راح يطعن فيه ويشهر به أمام جميع الكبراء الذين كان يلقاهم ..

ثم ذكر لنا حسنين كيف ان على ماهر ـ بالرغم من ذلك وبالرغم من طعن وتشهير عبد الوهاب طلعت ـ كان لا يتردد فى الاستعانه بعبد الوهاب طلعت على الدس لحسن صبرى لدى فاروق حتى ان حسن صبرى رحمه الله مات محصورا مجزورا من على ماهر ..

وقد قال حسنين هذه العبارة وهو يمر بيده على رقبته ليرينا كيف ذبح على ماهر المرحوم حسن صبرى باشا .

وروى لنا تفاصيل آخر دسيسة أو الدسيسة التى قضت ـ فى زعمه ـ على حياة حسن صبرى باشا رحمه الله .

قال : حدث قبل افتتاح الدورة البرلمانية فى نوفمبر عام ١٩٤٠ « وكان حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة » ان ذهب اليه أحد الوزراء وهو الدكتور عبد الحميد بدوى باشا واقترح عليه مراعاة لظروف الحرب الاقتصاد فى مظاهر الابهة والفخامة والبهرج والموكب الملكى والزينات والاعلام .. الى آخره وأن يكتفى بأن يلقى رئيس الوزراء ـ أى حسن صبرى ـ خطبة العرش بالنيابة عن الملك ومن غير حضور الملك ..

وسرعان ماطار خبر هذا الاقتراح الى السراى ودخل على فاروق من صور له الامر على أنه خيانة عظمى « لصاحب الجلالة » ..

واصبح حسن صبرى متهما بالخيانة العظمى ، ولكن عبد الحميد

بدوى ذهب الى حسنين وقال له فى صراحة تامة انه هو صاحب الاقتراح وان حسن صبرى لم يقبل اقتراحه على علاته بل طلب منه ان يتحدث فيه مع رئيس الديوان ..

وعرف فاروق أن حسن صبرى مظلوم ، فقلده بيده وقبيل حفلة افتتاح الدورة البرلمانية الوشاح الاكبر من نيشان محمد على ..

وتوفى حسن صبرى بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة ..

***

وكان الساسة من خصوم الوفد ومصطفى النحاس يرون ان رئيس الديوان أحمد محمد حسنين لم يعرف أن ينتهز فرصة هذا الخلاف الذى نشب فى صفوف الوفد وفرق بين رئيسه مصطفى النحاس وسكرتيره العام مكرم عبيد ، وانه كان من واجب حسنين باشا ان ينتهز الفرصة ليطوح بالوزارة كلها وينتقم لحادث ٤ فبراير .

وكان من بين أصحاب هذا الرأى السيد على ماهر « باشا » الذى كان معتقلا يومئذ فى السرو .. فقد قابلت احد اصدقاء على ماهر فى جريدة الاهرام وقال لى : ان محمد على ماهر زار أباه على ماهر فى معتقله بالسرو وقد وجد أباه مسرورا جدا من تطور الحوادث - أى من الخلاف الذى وقع فى صفوف الوفد - وقد قال له ابوه على ماهر باشا : « لو كنت اليوم رئيسا للديوان لكنت طيرت مصطفى النحاس من الوزارة فى ٢٤ ساعة .. ولكن فى رئاسة الديوان دلوقت واحد خرنج » ..

و (خرنج) معناه عبيط أو معتوه ضعيف .. وكان يقصد حسنين باشا .. وكان من رأى على ماهر باشا انه كان يجب على « الخرنج » أحمد حسنين أن يشير على الملك فاروق يوم قدم اليه النحاس باشا استقالة الوزارة باستدعاء زعماء الوفد - وزعماء الاحزاب الاخرى لاستشارتهم فى الموقف على أساس أن هناك انشقاقا فى الوفد وهو الهيئة التى تستند اليها الوزارة فى الحكم .. ثم يشير على الملك باخراج النحاس ومكرم معا من الوزارة ..

ولكن «الخرنج» لم يعرف كيف ينتهز هذه الفرصة ، وقال لى

صديق على ماهر باشا انه يقول كذلك .. « التابعى كف عن الكتابة عنى لانه أحس بأن الرأى العام معى » ..

وقلت أنا : كلا .. لقد كففت عن الكتابة عن رفعته لا لان الرأى العام معه كما يقول ، بل لانه معتقل الان ولا حول له ولا قوة ..

***

وفى مقابلة اخرى قال لى بعض اصدقاء على ماهر باشا انه يشكو من آلام شديدة فى أسنانه وأنه يصرخ أحيانا من شدة الألم ويقسم على انه سوف ينتقم من مصطفى النحاس الذى اعتقله ويعلن انه سوف يحاكمه أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة العظمى وان المحكمة سوف تحكم على مصطفى النحاس بالاعدام .

وكانت الاشاعات الذائعة يومئذ فى دوائر القصر وبين أنصار واصدقاء على ماهر ان رفعته هو المرشح الوحيد لرياسة الوزراء بعد دخول جيوش المحور مصر .. وهزيمة الجيش البريطانى وانسحابه من مصر ، كان الرأى السائد يومئذ ان الانجليز لا بد مغلوبون على أمرهم وأن روميل سوف يدخل مصر ..

الماريشال روميل على أبواب مصر

وكان روميل قد بدأ يتحرك فى شهر يناير ..

ومضت المعارك مائعة بقية فصل الشتاء .. فلما اقبل الربيع بدات الحالة تتطور بسرعة فى مصلحة جيش المحور ـ المانيا وايطاليا ـ وضد صالح بريطانيا وحلفائها .

ومنى الجيش البريطانى بسلسلة من الهزائم . لعل اشدها واخطرها كانت معركة جسر الفرسان الذى خسر فيها الجيش البريطانى معظم دباباته وانسحب تاركا الطريق مفتوحا امام الماريشال روميل ..

واحس كل من فى مصر ان الحالة خطيرة جدا .. فقد سقطت طبرق الحصن المنيع بدون مقاومة تذكر .. ومن بعدها سقطت الضبعة .. واحتل الجيش الالمانى السلوم .. وزحفت طلائعه نحو مرسى مطروح .. والإسكندرية .

وفى صباح السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ ـ وكانت الشائعات المزعجة تملأ البلد ـ زرت حسنين فى داره فلم أجده ، وقيل لى انه ذهب يعود ابنه هشام فى المستشفى فقد أجريت له عملية الزائدة الدودية .. وانتظرت حتى حضر حسنين وقلت له انى سألت هذا الصباح وزير العدل صبرى باشا أبو علم عما اذا كان النحاس باشا قد أبلغ جلالة الملك تطورات الموقف فى الصحراء الغربية وأعطاه صورة صحيحة عن الحالة . أم تركه يستقى الاخبار من الخارج كما حدث يوم اغلاق الحدود ، وهل هو مثلا أبلغ الملك تفاصيل ما دار فى الاجتماع الذى عقده « رفعته » فى يوم الاثنين الماضى ٢٢ يونية مع السفير مايلز لامبسون والجنرال ستون ..؟ وان صبرى أبو علم باشا قال لى : أن النحاس باشا قد أدى فى هذه المرة واجبه وانه أبلغك ـ انت

يا حسنين باشا ـ كافة التفاصيل ..

قلت هذا لحسنين فابتسم بمرارة وقال : ابدا ..!

ثم مضى يقص على التفاصيل .. قال :

ـ عرفت ان النحاس باشا عقد اجتماعا مع من ذكرت وانتظرت ان يتصل بى فور انتهاء الاجتماع ولكنه لم يفعل ومضى العصر .. ثم المغرب .. وأقبل الليل ورفعته لم يتصل بى ، وسألنى الملك « هل اتصل بك رئيس الوزراء ؟ فقلت كلا .. ولعله يجمع الاخبار والتفاصيل وكل ما يمكن جمعه لكى يعطينا صورة كاملة عن الموقف » ..

« ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذار منى عن النحاس باشا لأننى كنت انتظر أن يتصل بى ويطلب مقابلة الملك لكى يبلغه ماحدث . ولكن الذى حدث أن رفعته أصدر بلاغا رسميا عن الاجتماع المذكور ونشرت الصحف البلاغ ، وكان ذلك قبل أن يطلع الملك على شىء ما »

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصحف مثل سائر الناس ومضى حسنين باشا فى روايته يقول :

« وفى صباح اليوم التالى لم أستطع صبرا ، والواقع اننى اهملت او تهاملت فى أداء واجبى كرئيس للديوان لأنه كان يجب على أن اتصل بالنحاس باشا قبل ذلك وأسأله ، ولكننى راعيت الذوق الحسن فلم أفعل ، ولكنى وجدت أنه لم يبق موجب للذوق ... فكلمت بالتليفون امين عثمان باشا وبسطت له وجهة نظرى .. وبعدها بقليل اتصل بى النحاس باشا وقال لى .. « انت فين ؟ انا بافتش عليك » ، وكلمنى كلاما عموميا عن الحالة وانها مطمئنة . وسألنى ما اذا كنت اريد ان اقابله فقلت له نعم أحب ان اقابل رفعتك ، قال « بس أنا عندى برلمان النهاردة » قلت له « اذن ففى اى وقت يناسبك » ، ثم حدثنى عن البيان الذى سيلقيه فى البرلمان وسألنى هل يرسل لى نسخة منه فقلت واكون شاكرا لو فعل »

« وهكذا انتهى حديث النحاس باشا معى بالتليفون ، وبعدها بقليل كلمنى امين عثمان بالتليفون وقال لى : « انت مش عايز

تقابل النحاس باشا ؟.. فقلت له « ازاى » بالعكس..إنا عاوز أقابله قال : « هوه فهم كده » « .. فقلت فهم غلط ، وأنا غايته احببتأن لاأربطه بموعد أو ميعاد وتركتلهاختيار الوقتالمناسب»

واتفقنا على موعد المقابلة ثم أبدى حسنين باشا رأيه فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان فقال انه فيماعدا ثلاث أو أربع نقط فانالبيانالمذكور يبدو كأنما قد كتب فى السفارة البريطانية. وانها لعجيبة ان يقول النحاس باشا فى بيانه انه مطمئن ، بينما الانجليز أنفسهم يسمون ما حدث « كارثة » ويصفون الحالة بأنها خطيرة وجرائد اليوم تقول نقلا عن جرائد لندن ان الزحف الالمانى لو أوقف يكون هبة من الله .. ومع ذلك فان النحاس باشا يقول انه مطمئن .

***

ولم يقل النحاس باشا فى أول الأمر لحسنين أكثر مما جاء فى البيان الذى ألقاه أمام مجلسى البرلمان وهو أن الحالة مطمئنة وأن الانجليز سوف يدافعون عن مصر .. الى آخر مدى .. ولقد حاول حسنين ان يعرف من النحاس باشا حدود « هذا المدى » وهل هو يقف مثلا عند مرسىمطروح ؟ ام ان الدفاع « الى آخر مدى » معناه أن الحرب سوف تجرى فى داخل البلاد ..؟ .

ولكن النحاس باشا رفض المناقشة فى امكان وقوع هذا الاحتمال .. وهنا يقول حسنين رحمه الله .. « قلت له : نفرض .. لا قدر الله .. لا سمح الله .. يعنى لو دخل الالمان مرسى مطروح أو... لو زحفوا بعدها ..! »

ولكن النحاس باشا قال مش ممكن ..

وعاد حسنين باشا يقول « يعنى لا سمح الله .. لا قدر الله .. وربنا ما يقدر .. انما يعنى لو حصل ... »

فقال النحاس باشا « يمكن نخلى المدنيين ساعتها يتركون المدن الى القرى .. »

يعنى الحرب تدخل مصر .. وهذا هو الخراب .

***

وكان حسنين يروى لى تفاصيل هذا الحديث وهو منفعل وحائر فى فهم عقلية النحاس باشا ، وكيف انه اصبح آلة فى يد الانجليز ، وقد تحدث حسنين طويلا فى هذا المعنى وكان مما قاله .. « النحاس باشا فى يد الانجليز خالص » لانه يعرف انه لو كان الامر بيد البلد لما بقى فى رياسة الوزارة خمس دقائق ..

ثم انتقل حسنين بالحديث الى الشائعات التى تقول بأن الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية لا يريد أن يحارب ، وقارن بين موقفهم اليوم وموقف الجنود الايطاليين أيام الجنرال ويفل أيام كان جنود بريطانيا تحارب بشجاعة ، وجنود ايطاليا يهربون .. وها هى ذى الآية قد انعكست .. فاصبح الانجليز يهربون .. وجنود ايطاليا والمانيا وراءهم .. ثم قال ان طيارا انجليزيا كان زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث حتى اعترف له بأن هناك امرا مريبا فى استسلام حصن طبرق الحصين فقد قال :

There is something fishy وأن هذا الشىء المريب - كما قال حسنين - هو أن الجيش البريطانى رفض أن يقاوم وسلم للالمان من غير قتال ومضى حسنين يقول :

- فاذا كانت هذه هى الحالة فكيف يكون النحاس مطمئنا كما يقول ..؟ بل لعل روميل على علم بحقيقة الحالة وانهيار معنوية الجيش البريطانى ولهذا السبب نراه يسرع فى زحفه حتى لايعطى الانجليز فرصة لجمع جموعهم ولم شملهم .. وقد لا يبعد أن يدخل على - فى اى وقت - فى مكتبى ضابط المانى يرفع يده بالتحية ويقول : هيل هتلر ..؟

ومضى حسنين «باشا» فى حديثه فقال فى معرض التدليل على خطورة الحالة التى يصر النحاس باشا على وصفها بأنها «مطمئنة» قال ان هناك خطا قد انشىء بين امريكا ومصر لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى وقد افتتحه مستر روزفلت بارسال صورة له مع محمود «بك» حسن وزير مصر المفوض فى واشنجتون وقد نشرت الصحف المصرية الصورة المذكورة .. وروى بعدها

ان ترسل القاهرة ردها على هذه التحية الى واشنجطن بارسال صورة الملك فاروق مع مستر كيرك وزير امريكا المفوض فيالقاهرة

ثم قال حسنين :

ـ ووقفت منذ أيام فى احدى الحفلات أتحدث مع مستر كيرك فى مسائل عادية فقلت له اننى زرت أمريكا منـــذ سنوات .. وتعرفت برجالها وقلت لهم يومئذ ان امريكا سوف تأخذ فى يوم مكانها فى قيادة العالم والمدنية الحديثة واننى لسعيد لأن نبوءتى قد تحققت .. وكنت اظن ان مستر كيرك سوف يسر بكلامى هذا أو يعلق عليه بشىء ما ولكن الرجل ظل شارد الذهن ينظر الى بعينين « فارغتين » وكانه لا يسمع حرفا مما اقول .. ذلك لانه كان يدرك خطورة الحالة ومدى الكارثة التى حلت بجيش الحلفاء فى الصحراء الغربية .. بينما أنا لم أكن قد أدركت بعد هـــذه الحقيقة ومع ذلك فان النحاس يقول ان الحالة (مطمئنة) ..

وعلا صوت حسنين وهو يقول :

ـ بأه دى بلد .. البلد كلها تهتز علشان النحاس اختلف مع مـــكرم .. ومفيش حديث فى البلد كلها الا عن خلاف مـــكرم والنحاس ، بينما الالمان على ابواب البلد والبلد مهددة بالخراب اذا قرر الانجليز المقاومة فى دلتا النيل وريف مصر ..

***

ثم عاد حسنين وتحدث عن عقلية النحاس «باشا» فقال انه قابله فى اليوم التالى لسقوط طبرق فى أيدى الالمان وكان ينتظر أن يحدثه النحاس «باشا» عن هـــذه الـــكارثة المروعة التى وقعت بالانجليز وفتحت امام الالمان الطريق الى الاسكندرية .. ولكـــن النحاس باشا سأله عن براءات رتبة الباشوية للوزراء ولماذا لم يرسلها الديوان حتى الآن ..؟ وقال له حسنين ان البـــراءات ارسلت فعلا ولكن النحاس انكر وصولها ، فأكد له حسنين انها أرسلت يوم كذا ، وهنا استدعى النحاس «باشا» الدكتور محمد صلاح الدين وسأله فى هذا فقال صلاح الدين ان البراءات قـــد

وصلت حقيقة .. وضحك النحـــاس «باشا» وقال لحسنين .
« شوف ازاى أنا مش عارف ..؟ البراءات عندى ومش عارف .. وكنت كلمت الملك عنها ... حتى ونكت معاه وقلت له أيوه خلوها عندكم علشان أضـــحك على الوزراء وأغيظهم واقول لهم البراءات مش جاية وانتم مش باشوات » .

ثم تحدث حسنين عن دقة وحرج مركزه وكيف انه يخشى أن يقال عنه « طابور خامس » ومن ثم يعرض مركز الملك للخطر اذا ذهب مثلاوطلب من السفيرالبريطانى ضمانات على عدم جر الحرب الى القاهرة ودلتا النيل .. أو اطلبمنهتفسيرات لعبارة «المقاومة الى آخر مدى » كذلك اذا أشار على الملك بدعوة زعماء البـــلد واستشارتهم فى الموقف فانه يخشى أن يقـول الانجليز ان فاروق قد بدأ يستعد لتأليف حكومة مماثلة للمحور ..

وهز حسنين كتفيه وقال انه يحاول أن يجس نبض الزعماء فاجتمع مع بعضهم وتحدث معهم فى الموقف وخطورته وصـواب الحصول على ضمانات بعدم تعريض البلد للخراب ولكن احدا من الزعماء ــ ولا النحاس نفسه ــ يقبل ان يخطو هذه الخطوة فيقابل السفير البريطانى ويحدثه فى هذا الموضوع ، لأنهم جميعا يخافون من غضب الانجليز وشكوكهم ، او غضب الالمان وانتقامهم ..

ثم قال بانفعال :

ــ ودينى وما أملك لقد تحققت من أن البلد دى كلها مفيش فيها رجل واحد .. واقسم بربى لو الحالة صفيت وربنا انقـذ البلد وأعطانى الملك « كارت بلانش » فى تأليف الوزارة فاننى لن أختار ولا واحدا من هذا الطقم أبدا .. بل سوف اعمل وزارة من الشباب .. وانا متأكد انهم لو غلطوا فان غلطاتهم تبقى ارحـم بكثير من حضرات الزعماء الكبار ..

ثم قال بمرارة :

ــ زعماء ايه ياشيخ ..؟ دول مفيش فيهم ولا راجل واحد ..
وفهمت من حديثه ــ تلميحا واستنتاجا ــ انالنحاس « باشا »

***

وقد تورط الى ابعد حد فى تأييد الانجليز والدعوة والدعاية لهم ليس بالرجل الذى يمكن ان يتفاهم معه الالمان اذا دخلوا البلد .. أو الرجل الذى يمكنه أن ينقذ ما يمكن انقـاذه .. وان واجب النحاس « باشا » اذن هو ان يتخلى من تلقاء نفسه عن الحكم حتى يخلى السبيل لقيام وزارة أخرى لم يتورط رئيسها وأعضاؤها مع الانجليز الى هذا الحد .. ومن ثم يمكنها الى حد ما أن تتفاهم مع الالمان ثم قال ـ ولا أدرى هل هذا هو رأيه شـخصيا أم رأى فاروق وقد اقتبسه فى حديثه ـ قال : اننا شعب مستعبد فأين هى الوزارة التى تستطيع ان تودع الانجـليز اذا خرجـوا .. وتستطيع أن تستقبل الالمان اذا دخلوا ..؟ وتقول للانجليز .. وداعا يا أسيادى .. ثم تقول للالمان .. أهلا وسهلا يا أسيادى .

قال : يجب اعداد هذه الوزارة ..

***

قلت له : لقد عرضت عليـك رئاسـة الوزارة ثلاث مرات ورفضتها . ولكننى أظن أن واجبك الآن أن تتولى الحكم وساعتها تقدر تكلم الانجليز وتتفاهم معهم على عدم خراب البلد .

قال : ان الانجليز يتهموننى بأن سياستى « ماكيافيلية » فلن يطمئنوا الى . ان واجبى هو أن أبقى الى جانب الملك ..

قلت : ما انت برضه جنب الملك وانت رئيس وزارة ..؟

ولكنه ـ ومن غير أن يتكلم كثيرا ـ راوغ فى الرد . وقدرت انه اما انه خائف مشفق من المسئولية . واما اننى اصبت الهدف من غير قصد وكانت منى رمية من غير رام .. أى أنه قد فكر فعلا وقدر هذا الاحتمال وهو أن يتولى رئاسة الوزارة ولكنه لا يريد أن يقولها لى الآن .

.. أو احتمال ثالث وهو أن رئاسته للوزارة لا تفيد الملك فى شىء لأنه منسوب أو محسوب على الملك فكل خطوة منه سوف تفسر عند الانجليز بانها ايعاز من فاروق .. وانه يمهد لدخول الالمان .. أو انه على الاقل يعمل بتصرفاته وخطواته هذه على نشر الفزع والقلق وروح الهزيمة فى البلد ..

واراد حسنين ــ رحمه الله ان يتخلص من الحديث فى هــذا الموضوع وقد أحس بالحرج ، فقال :

ــ وهناك أمر عندما أفكر فيه ترتجف ركبتاى ، وهو أن الانجليز اذا اضطروا الى الانسحاب من مصر فقد يأخذون معهم الملك ..

قلت : هذا أمر محتمل جدا .. ويبقى زى الملك بطرس ملك يوغوسلافيا وجورج الثانى ملك اليونان وساعتها يتخذه الانجليز مادة للدعاية ويقولون انه انضم اليهم وترك مصر هاربا من طغيان الالمان .. ويذيعون بيانات ونداءات باسمه .

ثم قلت : ولماذا لا يفكر الملك فى الهرب ساعة الخطر .. ثم يعود الى مصر بعــد دخول الالمان ..؟

قال : مش ممكن لان الملك تحت الرقابة الشديدة ..

قلت : وهل بلغ الأمر الى هذا الحد ..؟

قال : نعم .. للاسف لا يجد احدا يطمئن اليه .. حتي ولا حكومته لانها ضالعة مع الانجليز . ثم قال : ونفــرض ان الملك استطاع الهرب . ثم حدثت بعدها معجزة وأمكن للانجليز صــد زحف جيوش روميل يبقى مركز الملك فاروق ايه بعد ان هرب ؟ لن يستطيع العودة الى مصر ، ان الصعوبة هى فى تحديد اليوم او الموقف الذى يصح للمرء أن يقول فيه ان كل أمل للانجــليز فى كسب المعركة قد ضاع ، وانهم لا بد أن يخرجوا من مصر .. وان هذه هى الساعة ، او هذا هو اليوم ، كيف نحدده ..؟

قلت : يوم يجتاز الالمان خطوط مرسى مطروح ..

قال : كلا .. فلو فرضنا واستولى الالمان على مرسى مطروح فان الانجليز ينوون مواصلة الدفاع .. ومنه تدمير خزان اسوان وقناطر محمد على لكى يغرقوا أراضى الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تغوص فيه دبابات الالمان ..

قلت : كلام فارغ .. مرسى مطروح اذا ضاعت .. ضاع كل شىء . ولا بد يومئذ من انسحابهم ودخول الالمان .

قال : يعنى راية الخطر .. الراية الحمراء هى سقوط مرسى مطروح ..؟

قلت نعم .. دون شك ..

وسكت حسنين يفكر قليلا ..

وقلت : ومن يعرف .. اذا تمكنوا من حمل الملك معهم قسرا ، فربما صحبوا معهم أيضا النحاس ووزراءه لتكوين حكومة مصر « الشرعية أو الحرة » خارج مصر مثل حكومات بولنده والنرويج وهولندة .. الى آخره ..

قال .. صحيح ..

***

وانهارت تماما مقاومة الانجليز فى الصحراء الغربية ، وسقطت خطوط دفاعهم الواحد بعد الآخر وكان الجنود الالمان يجـدون مشقة فى اللحاق بالجنود البريطانيين بسبب سرعة انسحابهم .

وسقطت مرسى مطروح فى ايدى الالمان ..

وتقدمت بعدها قوات المحور .. ثم توقفت بسبب نفاد الوقود أو البترول الذى لا غنى عنه فى حرب الدبابات ... وكان توقفها عند « عنق الزجاجة » الذى اختاره البريطانيون خطا لدفاعهم الأخير قبل الاسكندرية ..

وكان « عنق الزجاجـة » ـ أو خط الدفاع ـ يمتـد ما بين البحر عند محطة العلمين ومنخفض القطارة ويبعـد عن المكس ـ احدى ضواحي الاسكندرية ـ بنحو أربعين كيلومترا .

وبدأ أهالى الاسكندرية يسمعون دوى المدافع وهى تطرق أبواب دلتا النيل .. وساد الذعر والرعب والفزع وخصوصا بين يهود مصر الذين اسرعوا الى بضائعهم المكدسة فى المخازن يعرضـونها للبيع بأرخص الاسعار .. وكان المارة فى شارع جامع شركس بالقاهره يشاهدون يومئذ عشرات منهم يحاصرون قنصلية بريطانيا ليحاولوا الحصول على « فيزا » أو اذن بدخول فلسطين أو جنوب افريقيا .

كانت بحق أيام الذعر والفزع وكان من الصعب أن يصدق أحد ان شيئا ما سوف يوقف الزحف الالمانى ويحـول دون دخولهـم الاسكندرية والقاهرة .

للهم الا اذا وقعت معجزة .. ولكن سلطات الحلفاء أنفسهم لم تكن فيما يظهر تؤمن أو حتى ترجو يومئذ وقوع هذه المعجزة .. فقد كان المارة فى ميدان قصر الدوبارة والشوارع المحيطـة به يرون اعمدة الدخان تتصاعد من مداخن السفارة البريطانية والسفارة الامريكية وبعض المبانى والدور والعمـــارات التى كانت تشغلها ادارات مختلفة تابعة لقيادة الجيش البريطانى ..

وكانت أعمدة الدخان تتصاعد ليلا ونهارا .. أياما متوالية .. وعرف سكان القاهرة ان رجال السفارتين والقيادة البريطانيـة يحرقون أوراقهم السرية استعدادا لمغادرة القاهرة ..

وسافر بعض كبـــار الماليين والادباء والصحفيين ممـن كانوا يحملون يومئذ على هتلر والنازية .. أو كانت لهم علاقات بمجهود بريطانيا الحربى .. سافروا الى اسوان ومنها الى الخرطوم ..

وقابلت ذات صباح الاستاذ محمود أبو الفتح وسألنى ..

ـ راح تودى فلوسك فين ..؟

قلت : فلوسى كلها أحملها فى جيبى ..

وابتسم وقال انه ارسل « فلوسه » الى جنوب افريقيا . وفى مساء نفس اليوم وكنت فى جريدة الاهرام أسأل عن آخر الاخبار سألنى رئيس التحرير الاستاذ أنطون الجميل « باشا » ماذا يفعل بأمواله المودعة فى البنوك ..؟

وقلت له ان محمود ابو الفتح ارســـل أمواله الى جنـوب افريقيا ... وابتسم رحمه الله بمرارة وقال :

ـ وهو يعنى جنوب افريقيا اللى مأمون ومضمون ..

وكان الاستاذ انطون الجميل يعتقـد أنه اذا سقطت مصر فى ايدى الالمان فلن يقف بعدئذ شىء فى طريقهم ، بل سوف يكتسحون وادى النيل الى جنوب افريقيا ، ويشقون طريقهم شرقا كما يشق السكين طريقها فى قالب الزبد عبر فلسطين ولبنان وسوريا والعراق

وقص على المرحوم الاستاذ توفيق دوس باشا المحامى ورئيس مجلس ادارة شركة الفنادق المصرية .. قال :

ـ وذات صباح دق جرس التليفون فى مكتبى واذا بالمتكلم أحد رجال السفارة البريطانية وطلب منى باسم السفارة واسم القيادة البريطانية ان اعمل فى ظرف ٢٤ ساعة لا اكثر على فتح واعداد فندق ونتر بلاس بالاقصر . وكان الفندق المذكور مغلقا يومئذ لاننا فى الصيف ـ شهر يوليه ـ والفندق لا يفتح إلا فى موسم الشتاء.

وقلت للمتحدث باسم السفارة والقيادة ان هذا مستحيل .. لانه يجب أولا جمع عشرات الخدم والسفرجية والطهاة الى آخره .. لتنظيف الفندق واعداده .. ولكن المتحدث قاطعنى قائلاً أن لا ضرورة لشيء من هذا ، بل لا ضرورة لوجود أى خدم أو سفرجيه على الاطلاق .. لان البنات سوف يقمن بتنظيف الفندق وخدمة انفسهم بأنفسهم .. بل وطهى طعامهن .. والمهم هو فتح الفندق فورا لأن قطارا خاصا يغادر القاهرة مساء اليوم وهو يحمل خمسمائة من فتيات « الانسا » والمجندات البريطانيات الى الاقصر .. ومنها ـ اذا لزم الامر ـ الى الخرطوم ..

قال توفيق دوس باشا :

ثم ضحك محدثى من السفارة البريطانية وهو يقول : ولعلك توافق على أنه من غير المرغوب فيه أن نترك وراءنا فى القاهرة كل هذه المتعة وأسباب السرور غنيمة للجنود الالمان ..

***

وفتيات « الانسا » فرقة كانت مخصصة للترفيه عن الجنود البريطانيين فكانت تقيم لهم فى مختلف المعسكرات الغناء والموسيقى والتمثيل ..

اذن فقد كان الخطر خطرا حقيقيا .. لا مبالغة فيه .. وهاهى ذى السلطات العليا التى تعرف الحقائق تحرق أوراقها .. وتسرع وترسل الفتيات البريطانيات المجندات بعيدا عن القاهره ـ الميئوس من انقاذها ـ الى الاقصر منطقة الامان ولو الى حين ..

ثم انتشرت اشاعة تبين فيما بعد انها خبر صحيح .. وفحواها ان السلطات البريطانية العسكرية طلبت بالحاح من الحكومة

المصرية اغراق غرب الدلتا أو مديرية البحيرة وما الى جنوبها ..
لكى تحول هذه الاراضى الى بحر من الطين تغوص فيه دبابات الجيش الالمانى وعربات النقل وسياراته ومدرعاته ومصفحاته .. وتعرقل زحف روميل على دلتا النيل ..

وبدات الوف من المهاجرين تفد على القاهرة من الاسكندرية والبحيرة وشمال الدلتا .. وارسل الضابط المصرى قائد منطقة الاسكندرية خطابا سريا الى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة .. يسألها فيه عما يجب عليه عمله فى حالة دخول قوات المحور من الالمان والايطاليين .. هل يجب عليه أن يقاوم هو وجنوده ..؟ ام يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته ..؟

وعرض الخطاب أو السؤال المذكور على وزير الحربية يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا ، فقال :

ــ ما تردوش عليه ..

ولكن قائد الاسكندرية عاد وارسل بعد يومين رسالة سريه اخرى كتب عليها « مستعجل جدا » ويكرر فيها نفس السؤال ويلح فى الجواب ..

ولما عرضت هذه الرسالة الثانية على وزير الحربية صاح ..

ــ انقلوا ابن ... ده من اسكندرية وارسلوه حتة تانية وابعتوا واحد تانى محله .. هوه عاوز يودينى فى داهية ..

ذلك أن حمدى باشا رحمه الله كان يخشى اذا أمر قائد الاسكندرية بالمقاومة ثم دخل الالمان .. ان يحاكمه الالمان امام مجلس عسكرى .. واذا أمره بالاستسلام للالمان ثم نجح الانجليز فى صد الالمان .. أن يحاكمه الانجليز بتهمة الخيانة ..

ومن هنا رفض أن يرد على رسالة قائد منطقة الاسكندرية ..

وفى هذا الجو من التوتر والفزع .. اجتمع مجلس الوزراء برياسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس باشا وقال رفعته فى بداية الاجتماع انه رأى بسبب خطورة الحالة وتطورها السريع أن يدعو المجلس للنظر فيما يجب عليه اتخاذه لتأمين سلامة البلاد ..

بينما كان « رفعتـــه » يؤكد منـــذ أيام قلائل أن الحـاله « مطمئنة » ..! وبعد أن تناقش الوزراء طويلا فى الموقف وقدروا جميع الاحتمالات قرروا أن يرسل مجلس الوزراء خطابا بامضاء « رفعة » رئيس الحكومة الى الماريشال روميل ..

وعهدوا الى الاستاذ نجيب الهلالى «باشا» بوضع صيغة الخطاب المذكور . وكتب الاستاذ الوزير الاديب الخطاب المذكور ـ وقد تكون صورة من هذا الخطاب التاريخى محفوظة فى سجلات مجلس الوزراء .

وقد جاء فى الخطاب ، أن مصر دولة غير محاربة وأن جميع الاجراءات العسكرية التى اتخذتها السلطات العسكرية البريطانيه فى مصر قد تمت كرها أو على غير رغبة من الحكومة المصرية .

وأن مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتستمسك به . وان حكومة مصر قد اتخـذت الآن جميـع الاجـراءات لحفظ الأمن والحيلولة دون وقوع أية اضطرابات .

***

وهذه هى خلاصة الخطاب المذكور كما استقيتها من اوثق المصادر .

واتفق رأى مجلس الوزراء على أن يكون رسولهم الذى يحمل هذا الخطا الى الماريشال روميل هو محافظ الاسكندرية ، وكان يومئذ عبد الخالق حسونة « باشا » الامين العام ـ الآن ـ لمجلس جامعة الدول العربية .

ونزولا على حكم «البروتوكول» والعرف والتقاليد ، وتقديرا لخطورة الحالة وخطورة المهمة قرر المجلس أن يعهد الى أكبر أعضائه سنا وأقدمهم عهدا بالمنصب الوزارى وهو عثمان محرم «باشا» بالاتصال بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا .. ليبلغه خبر المهمة الجليلة الخطيرة التى يعهد بها اليه مجلس الوزراء ..!

واتصل عثمان محرم باشا بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا وابلغه قرار مجلس الوزراء وقال ان خطاب رفعـة النحاس باشا الى الماريشال روميل سوف يرسل اليه مع رسول خاص.

ولابد أن السيد عبد الخالق حسونة فغر فاه دهشة وهو يتلقى

تفاصيل هذه المهمة العجيبة التى يكلفه بها مجلس الوزراء .

ولكنه السبيل للوصول الى الماريشال روميل وتسليمه خطاب رئيس الحكومة ..؟

واجاب عثمان محرم باشا :

ـ تركب يا أخى سيارتك وتخرج بها الى أن تقابل روميل وهو قادم فى طريقه الى الاسكندرية ..

وهنا لم يستطع السيد عبد الخالق حسونة أن يخفى السخريه من لهجته وهو يسأل أو يتساءل :

ـ هل حصلتم يا معالى الباشا من الجيش الانجليزى على تصريح لى بالمرور بسيارتى ..؟

وسكت معالى الباشا الوزير ..

وعاد محافظ الاسكندرية يقول :

ـ ان بينى وبين الوصول الى الجيش الالمانى قوات الجيش البريطانى المنتشرة على طول الخط ، وهناك كذلك أسلاك شائكة وحقول الغام .. ثم ليس من الضرورى أن يكون الماريشال روميل موجودا فى مقدمة جيشه ، فقد يكون فى مقر قيادته فى المؤخره وراء الخطوط ... وسوف يلزمنى فى هذه الحالة جواز أمان من القيادة الالمانية بخلاف جواز المرور والأمان من القيادة البريطانيه .. فهل فكرتم فى هذا كله يا معالى الباشا ..؟

وضاق صدر عثمان محرم باشا بكل هذه الاسئلة وهذه الاعتراضات التى اثارها محافظ الاسكندرية والتى لم تكن موضع بحث أو مناقشة فى مجلس الوزراء ، لأن أحدا من أصحاب الرفعة والمعالى الوزراء لم يخطر بباله أن مقابلة روميل ستكون بمثل هذه الصعوبة !!

ضاق صدر معاليه فقال :

ـ على كل حال الخطاب جاى لك .. واحفظه عندك لحد ما تقابل روميل وتسلمه له يدا بيد ..

وعاد محافظ الاسكندرية يسأل :

ولكن أقابل روميل ازاى ..؟

وأجاب وزير الاشغال ..

ـ لما يدخل الاسكندرية .. روح قابله واعطى له الجواب ..

وهكذا انتهت هذه المحادثة التاريخية العجيبة ..

ولحسن حظ السيد عبد الخالق حسونة .. وسوء حظ التاريخ .. لم يدخل روميل الاسكندرية ويتسلم الخطاب الممهور بامضاء السيد مصطفى النحاس ..

***

وانقل هنا من مذكراتى المكتوبة .. فى مساء السبت ٢٧ يونية سنة ١٩٤٢ ..

كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقنا على أن نتقابل فى «جروبى» الساعة الثامنة مساء ، ولكنه عاد وكلمنى فى منتصف الساعة السابعة واقترح أن تكون المقابلة فى داره فى نفس الميعاد .

وكانت هذه اول مرة ادخل فيها داره الفخمة فى جاردن سيتى.

وسألنى عما اذا كنت سمعت بخطاب مكرم باشا فقلت لا .. لم أسمع شيئا .. قال ان مكرم باشا ارسل الى النحاس باشا أول أمس خطابا منه ومن عشرين نائبا يطلب فيه عقد الهيئة الوفدية فى صباح يوم الاثنين « بعد غد ٢٩ يونية » للنظر والمناقشة فى المسائل الآتية :

١ ـ الموقف الحربى الحالى ..

٢ ـ الاستثناءات التى لا تزال الوزارة سادرة فيها .

٣ ـ التصريحات بتصدير بعض المواد الاولية التى ترخص بها الوزارة لبعض انصارها والمحسوبين عليها ..

٤ ـ مراقبة دار مكرم عبيد والحصار المضروب حولها .

٥ ـ تحديد مركز مكرم باشا فى الوفد ومنصب سكرتير الوفد ، وهذا بسبب تصريحات النحاس باشا فى اجتماعات عديدة أعلن فيها ان مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد.

***

ثم قال فؤاد سراج الدين باشا ان النحاس باشا قال بعد أن قرا

خطاب مكرم انه لن يرد عليه وانه ـ اى فؤاد باشا ـ وافقه على رأيه ... ولكن النحاس باشا عدل عن رأيه وارسل الدكتور محمد صلاح الدين لكى يبلغ رد النحاس وهو ..

ان النحاس باشا يطلب من الذين أرسلوا هذا الخطاب أن يقابلوه لكى يعرف منهم شخصيا الاسباب التى يريدون من اجلها عقد الهيئة الوفدية ..

ثم .. عن (١) .. غير ممكن أن يقول النحاس باشا عن الموقف الحربى أكثر مما قاله فى مجلس النواب ..

عن (٢) .. لقد أبديت يا مكرم باشا رأيك فى الاستثناءات وأبديت أنا رأيى . وأيدنى الوزراء فى رأيى . وهناك استجواب مقدم وسوف ينظر فى يوم الاثنين ويمكنك يومئذ أن تقول كل ما تريده اثناء مناقشة الاستجواب فى مجلس النواب .

وعن (٣) ... غير صحيح ..

وعن (٤) ... غير صحيح ..

وأما عن (٥) ... فانك يا مكرم لست سكرتيرا للوفد لأنك لم تعد سكرتيرا للوفد .. وبناء عليه ارفض طلب عقد الهيئة الوفدية

ثم قال فؤاد سراج الدين تعليقا على خطاب مكرم ..

ـ ان مكرم كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن يوافق على دعوة الهيئة الوفدية للاجتماع فى صباح بعد غد الاثنين للمناقشة فى المسائل التى ذكرها هو وأصحابه فى الخطاب ومنها مسألة الاستثناءات التى قدم عنها استجوابات حدد لنظره جلسة نفس اليوم الاثنين ولكن مكرم أراد أن يقوم بمناورة بارعة يستبق بها الحوادث ويبرر موقفه فى هذه الجلسة القادمة لأن فى نيته أن يهاجم النحاس باشا ويحمل على الوزارة فى الجلسة المذكورة ، ولكنه يشفق من عتاب العاتبين ولوم اللائمين ومن أن يقال له « كيف ـ وانت لاتزال عضوا فى الوفد والهيئة الوفدية ـ كيف تهاجم رئيس الهيئة ورئيسك وتحمل على وزارة الهيئة التى تنتمى اليها ..؟ » ومن هنا ارسل خطابه لكى يمكنه أن يقول للعاتبين وللائمين (لقد حاولت أن أناقش

مصطفى باشا فى هذه المسائل فى الهيئة الوفدية اى فى اجتماع عائلى فيما بيننا ولكنــــه رفض .. فلا تلوموني اذن اذا تكلمت علانية فى جلسة مجلس النواب » .

هذه هى مناورة مكرم البارعة .. لأنه كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن يوافق على عقد الهيئة الوفدية .

***

وكنت ذكرت رأى الاستاذ فؤاد سراج الدين وهو أنه كان يرى أن من الاصوب فصل مكرم عبيد من الوفد «الآن» أثناء وجـود النحاس باشا فى رياسة الوزارة وفى يده سلطات الرقابة المفروضة على النشر والصحافة خير من السكوت عليه ، اذ قد يضطر الوفد فيما بعد الى فصله ..وقديكون النحاس باشا يومئـــذ خارج الحكم ولا ســــلطان له على الرقابة ولا سلطة له فى منــع نشر ما لا يرضيه اذا حمل عليه مكرم فى الصحف.

ولقد عاد فؤاد باشا هـذا المساء ــ مساء ٢٧ يونيــة ــ الى نفس الموضوع ونفس المعنى فقال :

ــ ان مكرم لايزال عضوا فى هيئة الوفد ، ولهذا السبب فان مهاجمته أو الحملة عليه ليست ممكنة الآن ، بل ان اعضاء الهيئة الوفدية والوفديين جميعا الموالين المخلصين للنحاس باشا يمسكون بأعصابهم والسنتهم ولا يسمحون لأنفسهم بالحملة عليه احتراما منهم لعضويته فى الوفد والهيئة الوفدية ولكن يوم يعلن فصل مكرم من الوفد فان المانع يزول وتنطلق ألسنة الجميع ضد مكرم عبيد ..

وانتهى فؤاد سراج الدين من الحديث عن خطاب مكرم عبيد..

***

وكنت أصغى اليه وأنا اعجب كيف يمكن لرجال مصر المسئولين أن يشغلوا أنفسهم بأمر الخلاف بين النحاس ومكرم .. وجيوش روميل تطرق أبواب مصر .. ودلتا النيل مهددة بالخراب ..؟

وقلت لفؤاد باشا اننى زرت حسنين « رئيس الديوان الملكى » هذا الصباح ووجدته مشغول البال على ابنه هشام الذى اجريت له أول أمس عملية المصران الاعور ، واننى فهمت من حديث حسنين

ان كل من فى القصر ــ من الملك الى أصــغر فرد فى الحاشــية ــ جميعهم خائفون جزعون قلقون من تطور الموقف الحربى من سيىء الى أسوأ ،وانهم جميعا يتساءلون عن نوايا الانجـليز وخططهم والى اى مدى ينوون الدفاع والمقاومة ..؟ هل يذهبون فى هذا المدى الى حد تقل الحرب الى دلتا النيل معتمدين كما قال أحد نقادهم العسكريين على فروع النيل وقنواته فى تعطيل زحف الالمان .

ثم سألته لم لا يطلب النحاس باشا مقابلة الملك شخصيا لكى يبلغه آخر تطورات الحالة ويطمئنه ان كان عند رفعته أسباب تدعو الى الاطمئنان ..؟ ووافقنى فؤاد باشا على رأيى وقال انه يحبــــذ مقابلة النحاس للملك وانه اذا كان النحاس لم يطلب حتى اليــوم مقابلة فاروق . وذلك لأنه كان يخشى أن يرفض فاروق مقابلتــه او يسوف فيها كما سبق أن حدث ..

ثم قال انه سيقابل النحاس باشا الآن لأنهم مدعوون عنــــد الاستاذ حسن يس لتناول العشاء وسوف يقول لرفعته ان هذا هو رأيى من غير أن يدخل فى التفاصيل ..

***

وتركت فؤاد سراج الدين وعدت الى دارى . ومنهــــا سألت بالتليفون عن حسنين باشا فقيل لى انه لم يعد بعد .

وكلمنى هو بالتليفون فى منتصف الساعة الحادية عشرة مساء ورويت له ما دار بين فؤاد باشا وبينى ، واننى اقترحت ان يطلب النحاس باشا مقابلة الملك .. الى آخره .. الى آخره ..

وقال حسنين ... عال خالص .

وشكرنى بحرارة .

***

واصبحنا يوم الاحد ٢٨ يونيه ..

وكلمت صبرى أبو علم باشا فى مسألة تخص احــد الزملاء الصحفيين وكان الزميل المذكور وسطنى فيها لدى صبرى أبو علم باشا رحمه الله .

وعرفت من صبرى باشا أثناء الحديث أن «رفعة الرئيس» موجود الآن مع جلالة الملك ، وأن رفعته كان «التمس» المقابلة هذا الصباح فأجيب طلبه فى الحال ، واستقبله فاروق فى نفس الصباح ..

***

وكلمت حسنين فى مكتبه بالقصر وسألته عن الحالة فقال :

ـ أيوه .. وصاحبك هنا ـ يقصد النحاس باشا ـ لكن اظن فات الوقت لأن الاخبار وحشة .. وبعدين اقول لك ..

و « الاخبار الوحشة » التى كان يشير اليها لابد أن تكون أخبار الموقعة الحربية الدائرة عند مرسى مطروح .

ولم يكن فى امكان حسنين ان يفسر اكثر من ذلك بالتليفون ، لأن موظفى تليفونات قصر عابدين ـ كما كان قال لى هو بنفسه ـ كانوا ينصتون للأحاديث وينقلوا الاخبار التى يسمعونها ..؟

***

ثم عاد حسنين وكلمنى بالتليفون فى ساعة متأخرة من المساء وكنت فى دارى ، وقال ان النحاس لم يطلع الملك فى مقابلة الصباح على شىء جديد .. وانه وان تكن الاشاعات مزعجة .. الا ان أخبار « اخواننا » هنا مطمئنة ..

ولم يزد على هذا ، وكعادتى معه لم ألح فى الاستفسار أو طلب المزيد من التفاصيل ولا اعرف من هم الذين يقصدهم «باخواننا» ؟ هل يقصد الانجليز .. ام يقصد النحاس باشا ووزراءه ...؟

ولم يكن فى نيتى أن أخرج هذا المساء . ولكنى ذهبت الى جريدة الاهرام لكى أسأل عن آخر الاخبار الواردة من جبهة القتال .. وقابلت فى مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمى والسيدة قرينته ..

وقالت السيدة أو على الأصح سألتنى ما اذا كنت سمعت ان فلانا قد طلق زوجته فلانه ..؟

وفلان هذا كان من نجوم السينما وأبناء الذوات وقد توفاه الله منذ سنوات .. أما فلانة فلا تزال على قيد الحياة ، قلت اننى

اسمع شيئا عن هذا الطلاق ..

قالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمى ان فلانة هذه هي الآن « صديقة » الجنرال ريتشى قائد الجيوش البريطانية فى الصحراء الغربية ... وأن الجنرال لم يسافر الى الميدان بل يدير المعركه بالتليفون . والى جانبه صديقته فلانة المذكورة ..

وقال المرحوم محمود عزمى :

ــ على كل حال الثابت أن الجنرال ريتشى كان يزور الاسكندرية مرة فى كل اسبوع وينزل بفندق بوريفاج حيث كانت تقابله فلانة المذكورة ..

وقلت أنا ان الاشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها غير صحيح

ثم سألت الدكتور محمود عزمى عن رأيه فى الحالة وفى دفاع الانجليز فقال ان الانجليز ينوون الدفاع عن مصر الى آخر رمق وان خطتهم وخطوط دفاعهم هى :

١ ــ مرسى مطروح

٢ ــ الضبعة

٣ ــ الخطاطبة (فى مديرية البحيرة)

٤ ــ من الاهرام الى الزمالك

٥ ــ قناة السويس

قلت : والاسكندرية .. والقاهرة ..؟

قال : لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار .

قلت : على أى حال اذا كانت هذه هى خطة الانجليز فانها تعنى خراب مصر ..

قالت السيدة حرم محمود عزمى :

ــ نعم الدفاع شبرا شبرا كما فعل الروس فى مدينة سباستبول

***

وانقل عن مذكراتى بتاريخ ٢٩ يونيه ١٩٤٢ ..

الحالة تزداد خطورة . واشاعات مزعجة تملأ البلد ..

وسمعت اليوم من مصادر مختلفة ان الانجليز استطاعوا ان يردوا

موات المحور عند مرسى مطروح وان يرغموها على التقهقر مسافة عشر كيلومترات وأن يأخذوا منها خمسة عشر الف أسير .

ثم أعلنت وكالات الانباء فى المساء أن شيئا من هذا لم يحدث . وان الذى حدث فعلا هو سقوط مرسى مطروح فى أيدى قوات المحور من الالمان .

ومررت بجريدة الاهرام ودخلت غرفة رئيس التحرير الاستاذ انطون الجميل . وكان بين الموجودين الاستاذ توفيق اليازجى « المعروف بميوله المحورية .. » وكان الحديث بينهم عما عسى أن يفعل الملك فاروق وهل هو يحاول الهرب من مصر خوفا من أن يرغمه الانجليز على الخروج معهم عند انسحابهم ؟

وقلت للحاضرين ما أعرفه وهو أن الانجليز أقاموا حول الملك مراقبة شديدة دقيقة حتى لا يكاد ينتقل من قصر الى قصر الا وعندهم الخبر ..

وكان الاستاذ توفيق اليازجى يبتسم ابتسامة هادئة ناعمة .. وقالت سيدة من الموجودين ان الامبراطورية البريطانية قد شاخت ودب الانحلال فى عظامها تماما مثل روما فى آخر عهدها بالمجد والسلطان .. فقد كانت روما عندما أشرفت على نهايتها ، كانت تحارب بأبناء جميع أمم الارض الا أبناء روما ، وكذلك الحال اليوم مع بريطانيا التى تخوض المعارك وتحارب بجنود من استراليا ونيوزيلنده والهند وبورما وجنوب افريقيا وفلسطين بل ولبنان « وكان فريق من ابنائه قد التحق بقوات دى جول الحرة » .. ولكنك تبحث عن جنود الانجليز فلا تجدهم .

***

وحدثت مساء اليوم فى مجلس النواب فضيحة .. ولاأعنى ان الاستثناءات كانت فضيحة .. وهى قد كانت كذلك .. ولكننى اقصد أن نظرها والمناقشة فيها فى هذا اليوم وهذه الظروف بالذات هى التى كانت فضيحة .. فبينما الجيوش تتطاحن على أبواب مصر ، ودوى المدافع والقنابل يسمع بوضوح فى الاسكندرية

وطائرات جيوش المحور تحلق فوق الاراضى المصرية .. أصر رئيس الوزراء النحاس باشا عند افتتاح جلسة مجلس النواب على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها رغم ان اصحاب هذه الاستجوابات طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحالة وتقديرا منها لخطورة الموقف ..

ولكن « رفعة الرئيس » اصر على نظرها ..

وقامت «خناقة» حامية بينه وبين مكرم عبيد.. واعلن النحاس باشا فى الجلسة امام النواب ان مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد .

٣٠ يونيه ١٩٤٢

وكان للاقاويل والاشاعات التى ينشرها فى القاهرة المهاجرون القادمون من الاسكندرية والبحيرة..أثرها فى الجمهور فقد انتشر الذعر بين سكان القاهرة .

وكلمت النحاس باشا بالتليفون وتحدثت اليه عن جلسة امس وأبديت رابى فى الطريقة التى نشرت بها جريدة « المصرى » ما دار فى الجلسة المذكورة .

ثم سألته عن الحالة .. فقال انها مطمئنة وليس فيها ما يدعو للذعر والقلق .

وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وعرفت منه انه لم يكن فى نية الانجليز ان يدافعوا عن مرسى مطروح وان قرار التخلى عنها والانسحاب منها كان معروفا للوزراء منذ اربعة ايام .. وان خط دفاع الانجليز هو عند العلمين « وقد كتبتها فى مذكراتى بالالف «العالمين » لاننى لم اكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل ..»

وعرفت فى المساء من الاستاذ انطون الجميل ان قوات المحور قد اجتازت مرسى مطروح وجاوزت فوكه والضبعة .. وامست امام العلمين .

***

اول يوليه ١٩٤٢

الذعر شديد .. والاشاعات كثيرة ..

والجمهور يحاصر محال البقالة ومواد التموين لكي يشترى منها حاجته ويخزنها للطوارىء .. واضطر محل بقالة « الاباس » فى شارع قصر النيل أن يغلق أبوابه بسبب شدة الزحام .

ونفدت في يومين اثنين جميع الدراجات والبسكليتات من محال بيعها في القاهرة فقد اقبل الجمهور على شرائها بسبب اشاعة تقول ان الانجليز سوف يحرقون مستودعات البنزين قبل انسحابهم حتى لا تقع فى ايدى الالمان .. ومعنى هذا انه سوف يستحيل استعمال السيارات في الانتقال ..

***

ومن اشاعات اليوم ان الانجليز طلبوا من الملك الانتقال الى فلسطين .. بل الى اسيوط .. بل الى السودان ومعه الوزارة .. اشاعات كثيرة مختلفة .

ولكن هناك خبرا أكيدا واحدا هو ان الانجليز رفضوا ان يعلنوا ان القاهرة مدينة مفتوحة .. وكنت سمعت هذا الخبر من احدى اذاعات راديو برلين منذ يومين .

ومعنى هذا انهم سيدافعون عن القاهرة وسيدور القتال فى القاهرة من حى الى حى . ومن شارع الى شارع بل ومن عمارة الى عمارة .. وسمعت كذلك ان الانجليز نصبوا اوكار المدافع على طول شارع الهرم . وبعض اوكار المدافع هذه قد اقيم خلف بعض الدور والفيلات فى الشارع المذكور .

وكانت النتيجة ان هجرها اصحابها .. الى مساكن اخرى فى القاهرة او فى الريف .

***

وذاع اليوم ان مسيو كابسيس الوزير المفوض لحكومة اليونان الحرة قد غادر مصر هربا من قوات المحور .

وكذلك مسيو جاكيه وزير بلجيكا المفوض .. ثم عدت وسمعت انهما لم يهربا بل اعدا فقط جوازات سفرهما .

وذاع فى المساء ان قوات الاحتلال قد وصلت الى العامرية والمكس

..وان شركة مصر للطيران قد اوقفت سفر طائراتها الى الاسكندرية وان مستر كازى وزير الدولة فى الشرق الاوسط غادر مصر ..

عقد البرلمان بمجلسيه ـ مجلس الشيوخ ومجلس النواب ـ جلسة سرية اعلن فيها النحاس باشا :

١ ـ مصر حصلت على غطاء الذهب .

٢ ـ فى كل بلد مؤونة تكفيها لمدة شهر واحد .

٣ ـ الانجليز رفضوا الموافقة على جعل القاهرة مدينة مفتوحة. لكن الوزارة اتخذت كافة الاجراءات وقامت بجميع اللازم لتأمين المدنيين وحمايتهم .

٤ ـ كذب رفعته الاشاعات الخاصة بانتقال الملك والحكومة الى اى بلد آخر .

***

واقف هنا قليلا ـ واترك مذكراتى ـ واروى حديثا قصيرا سمعته من امين عثمان باشا بعد ذلك بعام او نحو ذلك.. اى فى عام ١٩٤٣ .

وكان المرض قد اشتد على رفعة النحاس باشا فى عام ١٩٤٣ حتى خيف على حياته وزارنى ذات يوم صديق لى كان يومئذ مديرا لمكتب امين عثمان وزير المالية وقال لى ان امين باشا يهمه ان يعرف رأيى فيمن سوف يتولى زعامة الوفد بعد النحاس باشا. اذا اصابه مكروه لا سمح الله..وان امين باشا يريد ان يزورنى ويتحدث الى فى هذا الموضوع .

وزارنى فعلا امين عثمان فى مكتبى بمجلة آخر ساعة ولكنه لم يعرض فى حديثه لموضوع الزعامة ورئاسة الوفد والى من تؤول بعد النحاس باشا .

ولعله كان عرف رأيى مما كنت قلته لصديقى مدير مكتبه . بل جلس يتحدث عن العام الماضى وحوادثه وازماته ـ عام ١٩٤٢ ـ وايام العلمين .. وكان مما قاله ـ وهو مايخالف قول النحاس باشا امام مجلس البرلمان ـ ان الانجليز طلبوا فعلا من النحاس باشا مغادرة مصر .

قال امين عثمان «باشا» : ان السفير البريطانى مايلز لامبسون زار النحاس باشا ايام اشتداد الخطر وقال له ان الحكومة البريطانية تنصح لحكومة جلالة ملك مصر بالانتقال الى الخرطوم.. خصوصا ان السودان ارض مصرية (كذا !) فلن يضيرها فى شيء امام الشعب ان تنتقل من جزء من مصر الى جزء آخر من مصر ..

ومضى المرحوم امين عثمان فى روايته يقول : ان النحاس باشا استطاع ان يتخلص بلباقة من هذا الاحراج اذ قال للسفير انه وأعضاء الوزارة رهن مشيئة الملك فاذا قرر جلالته مغادرة مصر الى السودان فانهم سوف ينتقلون معه .. واذا قرر البقاء فى مصر فانهم باقون معه .

... وكان النحاس باشا قد اتفق سرا مع فاروق على البقاء وعدم مغادرة البلاد .

***

هذه رواية المرحوم امين عثمان.. وانا اصدقها .. بل لعل اتفاق النحاس مع فاروق على البقاء فى مصر وعدم الهرب.. لعله يفسر سر الخطاب العجيب الذى امر النحاس باشا باعداده.. وارساله الى المارشال روميل مؤكدا فيه ان مصر لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل .. وانه وزملاءه كانوا مكرهين مرغمين على التعاون مع الانجليز ؟..

وأعود الآن الى مذكراتى .. وانقل منها :

يوم ٢ يولية ١٩٤٢

خف الذعر قليلا فى الصباح.. ثم عاد واشتد فى المساء.. فقد اذاعت محطات الاذاعة فى برلين وروما وانقرة « وكانت تركيا يومئذ محورية تشيد بانتصارات هتلر ثم عادت وانقلبت عليه وامست امريكانية بريطانية » .

اذاعت المحطات المذكورة ان قوات المحور اخترقت استحكامات العلمين وانها تطارد الجيش البريطانى فى انحاء الدلتا .

ثم نفت شركة روتر الخبر المذكور ..

***

وعرف اليوم ان السفير البريطانى قابل الملك ..وانه طلب من جلالته مغادرة القاهرة .. ولكن الى اين ؟..

تم قابل السفير النحاس باشا وطالت المقابلة اربع ساعات وانعقد بعدها مجلس الوزراء ودام الاجتماع الى الساعة الواحدة صباحا..

وسمعنا فى نفس المساء ان النحاس باشا هائج ساخط على الانجليز لانهم لم يفوا بعهودهم ووعودهم له ومنها مثلا عدم تدمير المنشآت مثل القناطر الخيرية والكبارى ومستودعات البترول .الى آخره..

وكان رفعته اعلن فى الجلسة السرية التى عقدها البرلمان انه اخذ وعدا بذلك من الانجليز ولكن يبدو ان السفير مايلز لامبسون عاد وراوغ فى الوعود التى كان اعطاها ولهذا السبب هاج النحاس وثار.

***

ومررت فى السهر بجريدة الاهرام جريا على عادتى فى الايام الاخيرة .. وبينما نحن نتحدث فى الحالة دخل احمد الالفى عطية وقطع علينا حديثنا لكى يسألنا :

ـ انا طول عمرى محسوبكم..ترجمتها ايه باللغة الالمانى ؟..

وضحكنا.وقال انه كان كتب خطابا مفتوحا الى هتلر ونشرته «الاهرام»..وكان خطابا قليل الادب .. وانه نادم الآن وهل ينفع الندم . .

وكان النحاس باشا دعانى لمقابلته فى الساعة العاشرة مساء فى دار فؤاد سراج الدين بجاردن سيتى .. ولكنى لم اذهب بسبب طول اجتماع الوزراء.وقد دامت الجلسة الى الساعة الاولى صباحا.

وعرفنا اليوم ان ذهب مصر لا يزال فى البنك الاهلى.. مع ان النحاس باشا كان أعلن فى جلسة البرلمان ان ذهب مصر فى أيد مصرية وحراسة مصرية ..

« هذا ما وجدته مسجلا فى مذكراتى.ولا اذكر اليوم ماذا كنت اقصد بالبنك الاهلى ؟ هل البنك الموجود بشارع قصر النيل بالقاهرة .. أم مركز البنك الاهلى القائم فى لندن ..؟ »

***

وعرفنا كذلك ان الجنود البريطانية هى التى تتولى حراسة القناطر الخيرية ابتداء من اليوم .. لماذا ؟ .. لا بد ان الغرض هو نسفها وتدميرها عند انسحابهم لكى يغرقوا دلتا النيل او يحيلوها الى بحر من الوحول ..

***

وانقل عن مذكراتى بتاريخ ٣ يولية ١٩٤٢ :

كنت انوى السفر اليوم الى راس البر .. وقد اعددت فعلا حقيبتى .. ثم كلمت وزير التجارة الاستاذ محمود سليمان غنام بالتليفون وسألته عن « الحالة » فقال انها « وحشة » وان الانجليز انما تولوا حراسة القناطر الخيرية لكى يدلوا سياراتهم التى تمر هناك على الطريق ..!!

لا بد انه يعتقد انى ساذج ابله حتى اصدق مثل هذا التفسير ..

وكلمت زميله وزير التموين الاستاذ احمد حمزة فقال : « الحالة وحشة » وربنا يلطف ولما سألته عن سبب حراسة الجنود للقناطر الخيرية قال انهم يتولون حراستها لكى يقاوموا جنود « الباراشوت » ـ المظلات ـ الالمان فى حالة ما اذا حاول هذا السلاح الاستيلاء على المنشآت المصرية .. لان جنود الجيش المصرى مشغولون الان بحفظ الامن فى الاقاليم .

ومضى الاستاذ احمد حمزة يقول :

ـ هذا من جهة . ومن جهة اخرى فانه اذا هبط جنود المظلات وقاومهم الجيش المصرى اشتبكت مصر فى حرب مع دولتى المحور . ولهذا السبب رأى الانجليز ان يتولوا حراسة القناطر الخيرية بانفسهم ..

انتهى كلام الوزير . .ومعناه ان الانجليز يشفقون من اشتباك مصر فى حرب مع المانيا . .ويحرصون على تجنيب مصر خطر دخول الحرب ضد المانيا .

ولكن من الذى يصدق هذا الكلام ..؟ .وهل قبل وزراؤنا هذا السبب وصدقوه ..؟

ثم كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون فطلب مني ان امر عليه .. ومررت عليه ودار بيننا حديث طويل الخصه فيما يأتي :

قلت له ان الملك يود ان ينحى النحاس «باشا» عن رياسة الوزارة لكى يتولاها من هو أقدر منه على التفاهم مع الالمان ولكنه يخشى ان ينتقم منـــه الانجليز لأنه نحى « رجلهم » عن الحكم ، فهـل فكر النحاس فى تأليف وزارة قومية قادرة على مواجهة الموقف ؟ أو فكر فى التنحى من تلقاء نفسه عن الحكم لكى يفسح الطريق أمام سواه من الذين ـ كما يقول الملك ـ لم يتورطوا فى تأييد الانجليز .

وقال فؤاد سراج الدين ان النحاس «باشا» يطلع الملك الآن اولا باول على تطورات الموقف وكل شيء ولا يخفى عنه شيئا ..

اما الوزارة القومية فان رفعته لا يفكر فيها ولا يقبلها ولا يوافق عليها مطلقا لانه يرى ان قبوله لها يناقض ماسبق ان قاله ضدها .

ولقد دار البحث امس فى اجتماع مجلس الوزراء فى دعوة الجبهة الوطنية «وهى الهيئة الممثل فيها زعماء جميع الاحزاب السياسية فى مصر وجماعة المستقلين والتى تولت المفاوضات مع انجلترا فى عام ١٩٣٦ وانتهت الى عقد المعاهدة المعروفة» .. ولكن اعترض على دعوة الجبهة المذكورة بما يأتى :. .

١ ـ فى دعوة الجبهة انتقاص من قدر ومكانة البرلمان القائم . لان دعوتها تعنى ان هذا البرلمان لا يمثل الامة التمثيل الكافى .

٢ ـ جميع اعضاء الجبهة الوطنية موجودون فعلا اما فى مجلس الشيوخ واما فى مجلس النواب ماعدا اربعة او خمسة منهم اسماعيل صدقى واحمد ماهر والنقراشى . وهذان الاخيران لهما ممثلو حزبهما السعدى فى البرلمان ويستطيعون مناقشة الحكومة فى كل شيء .

٣ ـ نفرض ان البرلمان قرر امرا .. وقررت الجبهة امرا آخر ضده فماذا يكون الحل والرأى ؟ .. ومضى فؤاد سراج الدين فى كلامه او فى بيانه فقال :

ان النحاس «باشا» لن يستقيل ولن يتنحى من تلقاء نفسه عن الحكم . واذا شاء الملك فليقله . ولو انهم جميعا يتمنون ترك الحكم

من كل قلوبهم .. أو على الاقل ان يشترك معهم سواهم في تحمل المسئولية .. «وبدل مانبقى ١٤ وزيرا نبقى حتى ١٤٠» .. ولقد قال محمود غنام أمس في اجتماع مجلس الوزراء « ياريت ياالخواننا يريحونا من مسئولية الحكم .. او حتى يعتقلونا .. »

واما لماذا يرفض النحاس باشا ان يستقيل فذلك لانه ظل ثلاثة اعوام أي منذ قيام الحرب يطالب بالحكم للاغلبية — اى له وللوفديين — بحجة ان البلد في ظروف حرب خطيرة وان الاغلبية هي التي يجب ان تتولى الحكم وتمسك بالدفة وتقود السفينة الى بر الامان. فهل اذا جد الجد وحل الخطر يتنحى الربان ويترك السفينة وسط الانواء ويهرب ؟ ..

واستطرد فؤاد سراج الدين يقول انه اذا دخل الالمان مصر فان النحاس « باشا » سوف يقول لهم اننا دولة غير محاربة. وانه انما نفذ المعاهدة التي كان امضاها منذ ست سنوات مع الانجليز وانه بذلك حفظ كلمة مصر وشرف امضائها فهو لم يفعل الا ما يفعله كل سياسي شريف ..

وسوف يقول لهم كذلك انه قاوم كثيرا من المطالب الانجليزية وابى عليهم أن يجر مصر الى الحرب مهما كانت الظروف بعكس على ماهر الذي كان يريد غداة قيام الحرب ان تعلن مصر الحرب ضد المانيا.. والذي وعد الانجليز بعد ذلك بدخول مصر الحرب ضد دولتي المحور « اذا توغلت قوات المحور في الاراضي المصرية مبتدئة ».. وهذا الشرط قد تحقق وبناء عليه كانت مصر قد دخلت الحرب الان ضد دولتي المحور لو كان على ماهر بقى حتى اليوم رئيسا للوزارة .

***

ثم قال انه متعب من العمل وانه لم يستطع امس حضور حفلة قران شقيقه .. بسبب انهماكه في العمل وطول جلسة مجلس الوزراء التي لم تنته الا في الساعة الثانية صباحا .

ولما ذهب بعدها الى « بيت الفرح » وجد ان المصابيح قد اطفئت وكل شيء قد انتهى .

وانه ينام الآن والتليفون الى جانبه ..لان الحالة خطيرة خالص .. ثم نصحنى بان أسحب أموالى من البنوك ..

وضحكت وقلت ان جيب «جاكتتى» يتسع لاموالى كلها وهنا قال :

ــ والله الواحد مش عارف يعمل ايه بفلوسه اللى فى البنوك ،

فأشرت عليه بما كنت سمعته فى حجرة رئيس تحرير الاهرام انطون الجميل وهو انه يحسن باصحاب الاموال « السائلة » ان يشتروا بأموالهم هذه أسهم شركات صناعية او اراضى لانه اذا نجح الانجليز فى صد الالمان ارتفعت قيمة الاسهم .. واذا دخل الالمان مصر هبط سعر الجنيه الاسترلينى ــ والجنيه المصرى..بالتبعية ــ الى الحضيض .. وارتفعت اسعار الاسهم بطبيعة الحال وبنسبة هذا الهبوط .

وهز فؤاد رأسه .. وبدا عليه انه لم يفهـــم هذه النظـــرية الاقتصادية .. ولا أنا .. فهمتها .

***

القى مستر تشرشل فى مجلس العموم خطبة طويلة نقلها البرق الى مصر..حوالى منتصف الليل..وكان مجلس الوزراء مجتمعا فى تلك الساعة ولكن الوزراء لم يطلعوا على الخطبة ولم يسمعوا بما جاء فيها مع ان فى غرفة سكرتيرية الدكتور محمد صلاح الدين جهازا خاصا لنقل برقيات روتر ..

ولو ان تشرشل كان أعلن مثلا عزم بريطانيا على الانسحاب من مصر لما كان وزراؤنا سمعوا بالنبأ .. ولظلوا يتناقشون فى الحالة وهم فى جهل تام بما يدور ..

وجاء فى خطبة تشرشل المذكورة :

أ ــ ان هذه المعركة بدات فى يوم ٢٦ مايو .

٢ ــ كان الانجليز على اتم استعداد . وكانوا ينوون البدء بالهجوم ولكن الالمان سبقوهم بأيام معدودة الى الهجوم .

٣ ــ كانت قوة سلاح الطيران اقوى من قوة سلاح الطيران الالمانى بنسبة ٨ الى ٥ وقوة دباباتهم اقوى من دبابات الالمان بنسبة ٧ الى ٥

ومع ذلك خسروا المعركة وهزموا امام الالمان .

***

والنتيجة ان الالمان لم ينتصروا بسبب تفوقهم فى السلاح او فى العدد .. وانما انتصروا بسبب علو الروح المعنوية عنـدهم .. وبفضل قيادتهم البارعة الحكيمة .

وكانت قيادة الجيش البريطانى فى يد جنرال ريتشى الذى كان يدير المعركة بالتليفون تارة من القاهرة وتارة من الاسكندرية والى جواره صديقته المصرية الحسناء !

وسمعت من الاستاذ انطون الجميل ان تدهور الروح المعنـوية وانعدام النظام فى صفوف جنود بريطانيا كانا بدون شك ــ من اسباب الهزيمة وخسارة المعركة .

وقص على طرائف ومنها :

ــ نقلا عن الاستاذ توفيق دياب ــ وقد اقسم صديقنا الكاتب الكبير على صحة الرواية ــ ان بعض الفلاحين فى مركز منيا القمح اشترى مدفعا رشاشا من الجنود البريطانيين .

ــ نقلا عن الاستاذ مصطفى امين ان جنديا هنديا كان يسير فى الشارع وهو يدفع امامه فردتى « كاوتش » للسيارة وقد عرضهما على صديقنا بدولارين اثنين .

ــ نقلا عن الاستاذ حسين ابو الفتح ان بعض الضباط البريطانيين ابدى استعداده لان يورد له اى عدد يشاء من سيـارات الجيش البريطانى بسعر مائتى جنيه للسيارة الواحدة .

ــ نقلا عن الاستاذ حفنى محمود ان سيارة حربية حضرت مرة من السويس الى القاهرة لكى تشترى ورق ابر و « جلاس وجاتوه » من جروبى .

ــ ان جنود البوليس الحربى البريطانى ــ اثناء طوافهم بالمحال العامة ــ طلبوا من بعض الجنود الذين كانوا يرقصون فى قاعة الرقص بجروبى ان ينصرفوا الى ثكناتهم لان الساعة جاوزت التاسعة مساء ولكنهم رفضوا واستمروا فى الرقص .

وكلمت حسنين باشا بالتليفون وقلت له انني انوى السفر الى راس البر لاستريح فيها بضعة ايام ولكنـه صرخ فى وقال انـت اتجننت ولا ايه ..؟

ثم نصحنى بعدم السفر الان الى ان ينجلى الموقف وقال :

ـ يظهر أن العلمين كمان سقطت فى أيدى الالمان .. والانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير الشامل التام ومنها نسف الكبارى وقد تقطع خطوط المواصلات فى ساعاتمعدودة.. فكيف تسافـر يا سى محمد الى رأس البر ؟ ..

***

عدلت عن السفر الى راس البر ..

ولما كان مسكنى فى الزمالك .. وقد يدمر الانجليز الكبـارى وهكذا تقطع المواصلات بين الجزيرة والقاهرة فقد رايت ان مـن الخطر العودة الى مسكنى ..ومنثم ذهبت بحقائبى الى فندق فى المدينة وحجزت لى غرفة فيه .

***

مررت على جريدة الاهرام وقابلت مصطفى امين الذى قال لى ان مستر كيرك وزير امريكا المفوض ورجال المفـوضية غادروا القاهرة .. وان اشاعة سفر امين باشا عثمان صحيحة لانه صحب أسرته الى فلسطين ، ثم عاد اليوم .

وانه ـ اى مصطفى امين ـ قابل جنرال ستون امس وانستون قال له ان النحاس باشا اعصابه تعبانة .

فقد اجتمع به امس وكان معهما السفيـر مايلز لامبسون ومستشار السفارة سمارت . وقد تكلم السفير ربع ساعة . وتكلم هو ـ اى ستون خمس دقائق ـ وتكلم سمارت دقيقتين ـ امـا النحاس باشا فقد تكلم ثلاث ساعات .

وقال جنرال ستون انتدمير المنشآتاو عدمتدميرها مسالة تبت فيها وزارة الحرب وأن القيادة هنا لا تملك حق اتخاذ قرار فيها .

ثم قال انهم اذا كانوا وعدوا النحاس باشا بشىء ما منذ يومين فان

الامور تتطور من يوم الى يوم . والوعد الذى يعطى فى ضوء حالة ما فى يوم ما قد يجوز نقضه فى ضوء حالة جديدة . .

وقال لى مصطفى امين كذلك ان سفيرنا فى لندن حسن نشأت باشا ارسل تلغرافا يقول فيه انه نظرا لاحتمال دخول قوات المحور مصر وانقطاع الاتصال بينه وبين مصر فانه يطالب بارسال خمسين الف جنيه لتغطية نفقات السفارة لمدة عامين . . وقد ارسل اليه المبلغ المطلوب .

***

وساد الذعر فى الاوساط المالية وهرع الناس الى البنوك يسحبون اموالهم المودعة فيها . ويظهر ان البنك الاهلى تأثر اكثر من سواه وقد لجأ مديره الى وزير المالية ليجد له مخرجا من هذا المأزق . .

وقال لى أحد موظفى وزارة المالية ان وزيرها كامل صدقى باشا اشار على مدير البنك الاهلى — ولكن بصفة غير رسمية — ان يوعز الى بعض موظفى البنك بالانقطاع عن العمل . . او بالتغيب بسبب المرض . . أو حتى بالاضراب عن العمل . . لكى يتخذ من غيابهم وقلة عدد الموظفين الموجودين عذرا يبرر به عدم استطاعته صرف جميع المبالغ المطلوب سحبها من البنك .

***

وانقل عن مذكراتى بتاريخ السبت ٤ يوليو ١٩٤٢ :

قابلت احمد الوكيل صباح اليوم فى «جروبى» وقلت له : « قل لى بأه ايه الاخبار اللى مقالهاش مصطفى باشا للوزراء » . . ؟

فقال : الانجليز طلبوا منه ان ينتقل معهم هو والوزارة ولكنه رفض وقال لهم انه قاعد فى البلد واللى يجرى على البلد يجرى عليه . فتضايق الانجليز منه وبدأوا معه سياسة القريفة .

***

وذهبت الى مكتبى فى « آخر ساعة » فوجدت انطون الجميل ينتظرنى . ورويت له ما سمعته فقال ان الخبر صحيح وان الوزراء الذين تصدوا لنفى الخبر اما انهم كاذبون واما انهم لايعرفون الحقيقة

لان مصطفى النحاس اخفاها عنهم . والحقيقة هى ان السفير البريطانى عرض الامر بلباقة على الملك فاروق فقال له ان الخطر محتمل وان الالمان قد يدخلون مصر وفى هذه الحالة ربما فكر جلالة الملك فى الانتقال الى مكان آخر . فاذا استقر رأى جلالته على فانهم - اى الانجليز - مستعدون لان يقدموا لجلالته جميع التسهيلات ويضعوا خدماتهم تحت تصرفه ولجلالته ان يختار المكان الذى يشاء .. وقد رد فاروق شاكرا ولكنه قال انه لا ينوى مغادرة مصر .

وفاتح السفير البريطانى النحاس باشا فى نفس الموضوع فقال له النحاس .. لا .. لن تخرج الوزارة من مصر . وعلى كل حال فانها تحت امر جلالة الملك وما يريده سوف انفذه .

وهو رد بارع من النحاس باشا لانه اولا اثبت ولاءه واخلاصه للملك .. وثانيا القى المسئولية على الملك فاروق .

ثم تحدثنا - انطون الجميل وانا - عمن عساه يكون « رجل الساعة » الذى يستطيع مواجهة الموقف باخطاره واحتمالاته والذى يمكنه اعداد العدة لكل احتمال .

وقال انطون بك انه يعتقد ان اسماعيل باشا صدقى هو أقدر الزعماء جميعا على مواجهة الموقف وانه « رجل الساعة » لانه اولا معروف بصداقته الطويلة للسياسة الانجليزية ومع الساسة الانجليز .

ولكنه لم يتورط معهم اثناء الحرب .. ولانه ثانيا ابدى نوعا من الميل أو الصداقة لالمانيا فى بداية الحرب .. وهو ما اكسبه ثناء الاذاعة الالمانية دون ان يفقده حسن ظن الانجليز به .

ومضى انطون الجميل يقول انه لو كان اسماعيل صدقى على رأس الحكومة الان لاستطاع ان يجلو الموقف من كل الوجوه ولكن ارسل بصفته رئيس الحكومة المصرية رسالة الى روميل يشرح فيها موقف مصر المستقلة من هذه الحرب ومن الوجهة الدولية ثم يطلب منه ان يحدد موقفه ونوايا حكومته - المانيا - تجاه مصر .

وكان النحاس باشا قد صرح في البرلمان وفى مجالسه وامام أنصاره أكثر من مرة ان الحالة مطمئنة ثم تبين بعد ذلك ان الحالة ليست مرضية ولا هي تدعو الى الاطمئنان . وهذا من وجهة النظر الانجليزية . وظن كثيرون ان النحاس باشا كذب على الامة وخدعها وخدع البرلمان . او على الاقل انه ضحية الانجليز الذين كذبوا عليه وخدعوه . ولكنى بت اعتقد ان الامر ليس كذلك . وان الانجليز لم يكذبوا على النحاس ولم يخدعوه .. وان الحقيقة هي انهم انفسهم كانوا مخدوعين .

وهذه هى الحقيقة كما وضحت من خطبة مستر تشرشل التى قال فيها بصراحة ان السرعة الخاطفة التى زحف بها جنرال روميل افسدت على القيادة البريطانية خططها فقد كان الانجليز يحسبون انهم بانسحابهم مسافة مائة وخمسين ميلا سوف يكسبون اسبوعين او ثلاثة اسابيع يرتاحون فيها ويجمعون قواهم ويعيدون تنظيم قواتهم ثم يعودون ويكرون على قوات روميل .

ولكن روميل دفع قواته وراءهم بسرعة خاطفة ولم يترك لهم يوما واحدا للراحة .. ثم فوجئوا بوجوده امامهم عند العلمين بعد خمسة ايام فقط من بدء انسحابهم .. اى انه استطاع ان ينقل جيشه وجميع معداته واسلحته مسافة مائة وخمسين ميلا فى خمسة ايام ؟

هذا ما اعلنه تشرشل فى خطبته ومن هنا نفهم لماذا كان الانجليز متفائلين ومطمئنين الى الحالة . ولكن تطور الموقف بسرعة زحف روميل .. قلبت خططهم واطمئنانهم رأسا على عقب .. وهنا اضطروا ان يطلعوا النحاس باشا على الحقيقة او على جانب منها وان يصارحوه بأن الحالة ليست مرضية ولا تدعو الى الأطمئنان .. وان الخطر المحتمل هو دخول قوات المحور الاراضى المصرية وكانت نقطة التحول من الاطمئنان الى القلق هى طلبهم من النحاس الخروج معهم هو ووزرائه .

وقد لاحظ كثيرون انه بينما جميع طبقات الشعب حتى أولئك الذين عرفوا بميولهم نحو المحور ـ المانيا وايطاليا ـ فى حالة فزع

وقلق من المستقبل المجهول.. ومن الاخطار التى سوف تتعرض لها مصر فى فترة الانتقال من احتلال بريطانى الى احتلال المانى ايطالى . ومن انسحاب جيوش مدحورة ودخول جيوش ظافرة.. فان بعض المواطنين الشرقيين فرحون لا يخفون شعورهم .. وسر فرحهم ان الفرصة قد حانت اخيرا للتخلص من منافسيهم فى اسواق المال والتجارة والسمسرة فى البورصة .. وهم اليهود ..

ولقد استغل هؤلاء الشرقيون نفسية الذعر والهلع التى اصبح فيها اليهود واشتروا منهم بضائع كثيرة بأسعار لا تزيد كثيرا على سعر التراب .. وبعد ان كانت اسعار بضائع كثيرة بدأت تهبط بسبب كثرة البضائع التى اخرجها اليهود من مخازنهم وطرحوها فى السوق عادت الاسعار وارتفعت من جديد بعد ان انتقلت هذه البضائع الى أيدى اخواننا الشرقيين هؤلاء

أما المصريون ابناء البلد فقد اضاعوا الفرصة وأمضوا الوقت فى تبادل الاخبار والاشاعات والنكات على حساب الانجليز تارة .. وتارة على حساب الالمان .

وفى المساء قابلت مصطفى أمين فى جريدة الاهرام ودار الحديث عما عسى ان يحدث للوزارة اذا دخل الالمان مصر ..

وقلت ان النحاس باشا يرفض ان يستقيل لانه يعد استقالته الآن فرارا من الميدان .. وان الملك لا يريد ان يأخذ على نفسه مسئولية اقالة النحاس باشا لانه يخشى الانجليز فى حالة ما اذا نجحوا فى وقف زحف الالمان وردوهم عن مصر.. كذلك لا اظن ان الملك فى حالة دخول الالمان سوف يختار من تلقاء نفسه على ماهر باشا رئيسا للوزارة لانه سوف يؤيد بهذا الاختيار صحة ماشاع عنه وهو انه — فاروق — ضالع مع الايطاليين والالمانيين.. وقد يحاسبه الانجليز على هذا اذا قدر لهم النصر وعادوا وطردوا الالمان من مصر .. ولهذه الاسباب كلها اصبحت ارى رأى انطون الجميل وهو ان الملك سوف يختار اسماعيل صدقى باشا رئيسا للوزارة بعد دخول الالمان .

ولكن مصطفى امين لم يوافقنى على هذا الرأى. وقال — بل واكد

.. ان على ماهر هو رئيس الوزارة القادمة وان الامر متفق عليه منذ اسابيع وان التصريح المشترك الذى اذاعته سلطات الاذاعة فى برلين وروما وبارى واعلنت فيه ان قوات المحور ـ المانيا وايطاليا ـ التى تدخل مصر سوف تدخل لكى تحرر مصر من استعمار بريطانيا وتعطينا استقلالنا كاملا وانه ليس عند المانيا او ايطاليا اية نية للانتقاص من استقلالنا .

وقال مصطفى امين ان هذا التصريح الذى اشتركت فى صياغته واعلانه حكومتا المانيا وايطاليا قد تم بفضل مساعى مراد سيد احمد باشا الصديق الحميم لعلى ماهر باشا والذى يقيم منذ بداية الحرب فى مدينة جنيف فى سويسرا «وكان سعادته وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب وقد طلبت منه الحكومة ان يعود الى مصر ولكنه رفض العودة وآثر ان يقيم فى أوروبا متنقلا بين ايطاليا وسويسرا والمانيا ... »

ثم قال مصطفى امين ان على ماهر باشا ثائر هائج فى المعتقل وانه يقول انه عندما يتولى الحكم سوف يشنق مصطفى النحاس .. وفى هذا يقول : « ولن احاكمه امام محكمة عسكرية بل سوف احاكمه امام محكمة مشكلة من مستشارى النقض والابرام . . وتهمته الخيانة العظمى » .. ثم يصرخ ـ وكان رفعته مريضا بأسنانه ـ يصرخ « اسنانى .. أسنانى يا عالم .. بس ابن ... حابسنى ليه » .

***

وكان فريق من الرأى العام يعطف يومئذ على على ماهر باشا ويعد اعتقاله عملا غير قانونى .. وان النحاس باشا اعتقله نزولا على ارادة الانجليز .

والواقع ان السلطات البريطانية كانت طلبت من كل حكومة مصرية تولت الحكم بعد يونيه ١٩٤٠ اعتقال على ماهر باشا بسبب ميوله المحورية ونشاطه ونشاط بعض اصدقائه العدائى ضد الحلفاء .. وقد تقدمت بهذا الطلب فى وزارة حسن صبرى باشا .. وفى وزارة حسين سرى باشا . . ولكن حسن صبرى وحسين سرى رفضا ان

يعنقلا على ماهر ..واستطاع الاثنان في كل مرة ان يسويا الامـر وان يقنعا على ماهر باشا بمغادرة القاهرة والاقامة فى قصره الاخضر فى الريف .. ولكن رفعته كان يعود دائما الى القاهرة بعد بضعـة ايام او بضعة اسابيع ..

اما صديقه اللواء صالح حرب باشا فقد عمل بنصيحة الحكومة وترك القاهرة واقام فى اسوان .

***

زرت حسنين باشا فى داره. وبدأت الحديث فقلت اما ان الوزراء يكذبون . واما ان النحاس باشا لا يطلعهم على الحقائق وذلك أن اثنين منهم أكدا لى أنه ليس صحيحا ان الانجليز طلبوا من النحاس باشا انتقال الوزارة معهم الى بلد آخر بينما سمعت من مصـــدر موثوق به صدق اخباره ان الخبر صحيح .. فما هى الحقيقة ؟

وقال حسنين باشا ان الخبر صحيح . وقص على تفاصيل كثيرة ومنها الحديث الذى دار بين الملك فاروق والسفير البريطانى مايلز لامبسون في هذا الموضوع وكيف ان فاروق رفض ان يغادر الاراضى المصرية .. الخ .

ومضى حسنين يقول :

ـ ولما عرض النحاس باشا الموضوع على الملك قال أولا أنه رفض طلب الانجليز وانه قال للسفير ان الوزارة لن تغادر مصر وانهـم « قاعدين » مهما حدث..ثم عاد وقال ثانيا.. « وعلى كل حال لا اريد ان اؤثر على جلالتكم اقل تأثير فيما اذا رأيتم رأيا آخر»..

وتساءل حسنين مامعنى هذا .. ثم أليس النحاس باشا رئيس الحكومة وكبير مستشارى الملك ومن واجبه ان يقول رأيه صريحا واضحا فى مثل هذه المواقف الخطيرة ، فمامعنى تردده وتراجعه .. مع انه سبق الاتفاق مع « رفعته » على عدم خروج الملك والوزراء من مصر ؟..اللهم الا ان يكون رفعته يريد جس نبض الملك و«توقيعه» ليرى هل هو لا يزال مصمما حقيقة على البقاء فى مصر او هو يفكر فى الهرب من الانجليز ومغادرة مصر سرا الى بلد آخر .. ولمصلحة من هذا المكر من جانب النحاس باشا ؟ ..

وهنا قلت لحسنين باشا .. اننى لم افهم أين هو « مــــكر » النحاس باشا ؟

وازداد حسنين حدة وانفعالا وقال :

ـ المكر يا سى محمد فى قوله للملك انه لا يريد ان يؤثر عليه فى حالة ما اذا كان له رأى آخر .. يعنى يا جلالة الملك أنا زى أبوك ..

قل ولا تخبيش على .. اذا كنت عايز تهرب من الانجليـــز وتخرج من البلد قل لى وانا اساعدك . أهو ده المكر يا سيدى . عاوز يعرف علشان يجرى للانجليز ويقول لهم الحقوا .. الملك فاروق راح يهرب من مصر .

وانكرت على حسنين باشا رأيه هذا فى النحاس باشا وقلت له :

ـ مش للدرجة دى يا باشا حرام عليك .

وقال : حرام على ؟ يظهر انك عبيط .. ان النحاس باشا اصبح اليوم فى قبضة الانجليز تماما .. ولقد قاوم فى اول الامر شيئا ما ولكنه انتهى بالاستسلام لهم استسلاما تاما والفضـــل فى ذلك لامين عثمان باشا .

ثم قال حسنين :

ـ حدث مرة فى احدى جلسات مجلس الوزراء وكانت المعارك الحربية بدأت تتطور من سىء الى أسوأ ان قال النحاس باشا للوزراء « يظهر أن الانجليز ينوون عمل « شىء خفيف من التدمير » وصرخ الوزراء وصاخوا فى وجهه كيف ؟ .. وهنا تراجع رفعته وقال ده اللى فهمـــه وجايز يكون غلطان . لكن الوزراء قالوا له « لازم تستدعى بكرة السفير والجنرال ستون وتناقشهما وتأخذ منهما وعدا صريحا بعدم تدمير اى شىء » .

واستطرد حسنين يقول :

ـ وكان فى وسع النحاس باشا ان يذهب الى البرلمان ويواجهه بالحقيقة ويطلعه على كل مايعرفه عن نوايا الانجليز . . اوعلى الاقل لا يكمم البرلمان ولا يخدعه ولا يضلله بالاكاذيب بل يتركه يتكلم ويثور ويحتج .. ويتخذ من ثورة البرلمان سندا له يستند اليه فى

احاديثه ومفاوضاته مع السلطات البريطانية فيقول لها مثلا ان البرلمان وهو من انصار الوفديين ـ هائج ثائر ضده فكيف يحكم ونفس انصاره وشيوخه ونوابه ثائرون ضده .. وكان في وسعه ان يطلب منهم ضمانات مطمئنة يواجه بها البرلمان ويهدىء بها من ثورة البرلمان.
ولكن رفعته لم يفعل بل فعل العكس فقد ذهب الى البرلمان والقى بتصريحات مطمئنة وهو يعلم انها غير صحيحة .. وان الانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير التام ..وعلى اساس هذه التصريحات الكاذبة المطمئنة نال رفعته ثقة البرلمان بينما كانت المصلحة كل المصلحة هى فى أن يخرج من البرلمان مدحورا لكى يستطيع ان يوقف الانجليز عند حدهم . .ولكن يظهر ان امين عثمان سحر النحاس وخدره تماما واصبح يفعل به ما يشاء .

ثم قال حسنين ان بين ما ينوى الانجليز عمله ـ عند انسحابهم ـ اطلاق الماء المالح فى ترعة المحمودية لكى تغرق جميع الاراضى الزراعية الواقعة على ضفتيها . وهذه العملية اذا اريد اصلاح الضرر الناشىء عنها تكلف مصر اربعين مليونا من الجنيهات .

ووصف حسنين باشا مقابلة له مع النحاس وروى الحديث الذى دار بينهما . قال :

ـ قال النحاس باشا ان الانجليز خانوه وكذبوا عليه وحنثوا فى عهودهم معه. وأردت أن استدرجه فى الحديث فقلت له انني استبعد يا رفعة الباشا صحة هذه الاشاعات. وان فى نية الانجليز تدمير كذا وكيت .. ولكنه صاح فى وجهى « بل هى الحقيقة يا حسنين باشا. . التدمير التام والخراب التام ..»

فقلت له : سوف نسجل احتجاجنا ..

ثم سألته : وبعدين ؟

قال : وبعدها يفعل الله بنا ما يشاء .

***

واتهم حسنين باشا وزير الاشغال عثمان محرم بانه امر رجاله سرا بمساعدة الانجليز فى تنفيذ خططهم ؟

. ثم قال حسنين انه لم يأت يوم على مصر كانت فيه محتلة احتلالا تاما كما هي الآن. فقد كان الانجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب فى حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم فى هذا الشأن كانت ترفض دائما. ولكنهم الآن وبموافقة النحاس باشا قد تغلغلوا فى صميم الريف واصبح كل شىء فى مصر فى قبضة يدهم. فاذا أزفت الساعة التى يتبينون فيها انهم خسروا المعركة فانهم سوف يدمرون كل شىء .. وكل شىء الآن تحت ايديهم وفى حراستهم .. وليس لمصر يومئذ ان تعترض لانهم سوف يقولون ان ما تم قد تم بالاتفاق مع رئيس الحكومة .

وقال حسنين انه تحدث مع بعض اصدقائه من الانجليز فى هذا الموضوع فقال لهم « ثقوا اذا دمرتم كل هذا فسوف اكون انا اول من يهب لقتالكم لانكم تكونون قد خربتم بلدى خرابا تاما . واذا دخل الالمان مصر فسوف يهرع كل مصرى لاستقبالهم. وليطلب منهم ان يسمحوا له بالقتال فى صفوفهم ضدكم انتم الذين دمرتم بلده.. واذا قدر لكم ان تعودوا الى مصر فسوف يهب المصريون لصدكم وقتالكم » .

ومضى حسنين يقول انه اذا نفذ الانجليز خططهم فان النتيجة هى خراب الدلتا اى الوجه البحرى . ولقد قال لهم قائد من خيرة قواد الجيش الفرنسى وهو الجنرال كاترو ان كل مايهمهم فى مصر هو قناة السويس .. وان خط الدفاع عن قناة السويس ليس فى الصحراء. بل على ضفاف النيل وفى الدلتا. ذلك لان الدلتا تعد من الوجهة الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها اذ انها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخترقها طولا وعرضا. وبأرضها الهشة الطرية وبقناطرها التى يمكن تدميرها عند الحاجة. تعطل وتعوق سير الجيش الذى يهاجم ويحاول التقدم.. وهكذا تصبح الدلتا ميدانا للمعارك .. ويحل الخراب وويلات الحرب من كر وفر بكل بلدة . وكل قرية فيها ..

وهنا قلت لحسنين باشا :

ــ اذن ليس هناك امل الا فى ثورة تنفجر فى البرلمان ويسوم معها الشعب فيضطر النحاس باشا والانجليز ان يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويترددوا فى هذه الخطة .

قال : ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة أيام قبل ان يضع الانجليز ايديهم على كل شىء . . كان هناك امل فى ان يتمهل الانجليز وان يحجموا عن التدمير او لو ان الجيش المصرى كان هو الذى تولى حراسة المنشآت .. لان الانجليز كانوا يفكرون ساعتها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت والمجازفة بوقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى. اما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك مايخشاه الانجليز لانهم هم الذين يحرسون ويتحكمون فى جميع المنشآت .

وقال حسنين :

ــ لقد قال لى النحاس باشا اثناء حديثى معه : « تصور يا حسنين باشا ان الانجليز عاوزين يدافعوا عن القاهرة .. من النوافذ والبلكونات والسطوح .. بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية .. وانا قلت لهم : وفايدة ده ايه ..؟

وتنهد حسنين وهو يقول :

ــ اذا قدر لك أن تكتب يوما عن هذه الايام فاكتب وقل ان شيوخ البلد ونوابها قيل لهم ان هناك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق ، ويهدد اراضيهم بالغرق ، ويهدد ريف مصر وقرى مصر بالدمار ، ولكنهم سكتوا خوفا على الاربعين جنيها التى تصرف لهم من البرلمان .

ووقفت أتهيأ للخروج . وهنا سألنى حسنين باشا وهو يسير معى الى الباب :

هل تظن ان هناك خطرا على الملك .. ان يأخذه الانجليز معهم رغم انفه ؟ ..

قلت : لا اظن ان الغباوة تصل الى هذا الحد بهم .. ثم ما الفائدة التى تعود عليهم ؟ ..

قال : ليس الخطر فى انه ملك .. ولكن الخطر فى ان مصر وملكها لهما مكانة فى العالم العربى والعالم الاسلامى وقد يخشى الانجليز

من أن يستغل الالمان هذه المكانة ويبنوا عليها دعاية واسعة فى مصلحتهم وضد الانجليز .. ولهذا قد يفكر الانجليز فى أن يأخذوا الملك معهم .. ولو بالقوة لا ليفيدوا منه ولكن لكى يحرموا الالمان منه .. ومن استغلاله فى دعايتهم .

***

وانقل من مذكراتى بتاريخ ٦ يولية ١٩٤٢

عقد مجلس النواب جلسة سرية . وبعد انفضاضها اجتمع الوفد واصدر قرارا بفصل مكرم « باشا » وراغب حنا « بك » من الوفد ومن الهيئة الوفدية .

وقال لى فؤاد سراج الدين انه قرار حكيم وعادل وان الرأى العام يؤيده بل كان يطالب به . وان المعارضة نفسها استهجنت موقف مكرم عبيد باشا فبينما الحرب على أبواب مصر والحالة تزداد خطورة ساعة بعد ساعة .. والمعارضة نفسها تنسى خلافاتها مع الوزارة وتؤيدها فى موقفها فى الدفاع عن البلاد .. يقف مكرم «باشا» فى مجلس النواب يطلب المناقشة فى الاستثناءات وفى سوء استعمال سيارات الحكومة ويقول ان اسبوع البر «مشروع زينب هانم الوكيل» ضريبة من غير قانون . ثم يتهم الوزارة بالتفريط فى حقوق البلاد .

***

عن مذكراتى بتاريخ الثلاثاء ٧ يوليو ١٩٤٢

قابلت فى جريدة الاهرام الاستاذ عبدالحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية . وعند انصرافنا دعانى للركوب معه فى سيارته لأنه يريد أن يحدثنى فى أمر ما .

ولقد تحدث عن حيرته واى موقف ينبغى له ان يتخذ بين صديقه القديم مكرم عبيد وبين زعيمه ورئيسه مصطفى النحاس ؟

وافاض طويلا فى الحديث عن صداقته القوية لمكرم عبيد وكيف ان ضميره غير مستريح وقال ان كثيرين كانوا ينتظرون منه أن يقف بجانب مكرم عبيد باشا وان يؤيده ضد النحاس ولكنه اختار موقف الحياد بين الاثنين .. ودلل على حياده بانه منذ خروج مكرم من

الوزارة لم يزر النحاس باشا فى داره وفى مكتبه وانه اعتذر عن عدم حضور جميع الحفلات التى اقامها الشيوخ والنواب للنحاس باشا وذلك لكيلا يسمع طعنا او سبابا فى صديقه مكرم عبيد .

... وانه انقطع كذلك عن زيارة مكرم باشا حتى لا يسمع اى طعن او سباب فى مصطفى النحاس ..

... وانه منصرف الآن الى تأدية عمله كوزير ليس الا ولا شان له بالخلاف واسباب الخلاف بين النحاس ومكرم .

ثم سألته : ايه فائدة بل أى معنى يكون لاستقالتك ؟ هل تريد قلت : كلا ...

ثم سألته : اية فائدة بل أى معنى يكون لاستقالتك .. هل تريد ان تستقيل تضامنا مع مكرم باشا ولانه خرج من الوزارة ومن الوفد ؟ .. ولكنك قبلت ان تدخل الوزارة بعد ان خرج منها مكرم عبيد .. ثم انت دخلت الوزارة وانت تدرك تماما خطورة الخلاف بين النحاس ومكرم وان الانفجار لا بد ان يقع..ومع ذلك قبلت المنصب ودخلت الوزارة وقبولك معناه انك كنت تنوى البقاء مع مصطفى النحاس حتى ولو خرج مكرم عبيد ..واذا استقلت اليوم فان الناس ستقول انك دخلت الوزارة لكى تحصل على لقب «وزير سابق» ثم تخرج منها فى أول فرصة..وهذا مالايرضاه اصدقاؤك. ونصيحتى ان تبقى فى الوزارة تؤدى ـ كما قلت ـ عملك كوزير ليس الا..ثم ان للنحاس باشا حقا عليك فقد وثق بك واختارك وزيرا معه وانت قبلت فلا « تخلو » به هكذا .

قال : انت غلطان فالنحاس باشا لا يحبنى .. وهو أدخلنى الوزارة لكى يبعدنى عن مكرم .

سألته : ولماذا قبلت المنصب اذن ما دام هذا هو رأيك ؟..

قال بعد تردد .. وبابتسامة باهتة فيها استحياء :

ـ الحقيقة اننى لم اكن اريد دخول الوزارة ولكن بعض من يهمنى أمرهم من اقرب الناس الى الحوا على بقبول المنصب لانهم يريدون أن يرونى وزيرا .

وقال الاستاذ عبد الحميد عبد الحق انه لا يستطيع كسب ثقة او حب النحاس باشا لان النحاس باشا يحب التملق وهو - عبد الحميد - يكره ان يتملق احدا .. ثم قال : ان صبرى ابو علم ومحمود غنام يزوران النحاس باشا دائما ويتملقانه ومن هنا استطاعا ان يكسبا ثقته وحبه ..

ثم قال ان صبرى ابو علم لا يجيد الخطابة كما يجيدها هو .. وان فؤاد سراج الدين لا يعرف كيف يتكلم .. ومثله محمود غنام ؟ اما هو - عبد الحميد عبد الحق - فانه برلمانى متمرن كما اثبت فى مجلس النواب ايام كان زعيما للمعارضة (ما بين ١٩٣٨ و ١٩٤٢) وان فى امكانه ان يعرض فى البرلمان وجهات نظر الوزارة على افضل وجه ولكنه مضرب عن هذا اكراما لخاطر مكرم باشا . كما انه تغيب عمدا عن حضور جلسات البرلمان التى كان يتوقع فيها اصطداما بين النحاس ومكرم .

واوصلنى بسيارته الى مسكنى . وقال وانا اغادر السيارة :

- فكر كمان وابقى قل لى اعمل أيه ؟ .

ويظهر ان النحاس باشا اصبح يخاف او يغار على رجاله من الملك فاروق . فقد قابلت «رفعته» اليوم فى مكتبه برياسة مجلس الوزراء لكى أشكو اليه من عنت الرقابة .. وقبل ان ادخل عليه جلس معى الاستاذ ابراهيم فرج وتحدثت اليه فى موضوع الرقابة وكيف ان بين الاخبار التى منعت الرقابة نشرها خبرا عن «عطف جلالة الملك على وزير التجارة الاستاذ محمود غنام » .

وهنا ابتسم ابراهيم فرج وقال ان النحاس باشا نفسه هو الذى امر بمنع نشر الخبر المذكور .

وابديت دهشتى وسالته لماذا ؟

وتردد طويلا ثم قال كلاما ملفوفا غامضا ولكنى فهمت منه أن النحاس باشا غير راض تماما عن محمود غنام والححت على ابراهيم فرج ان يطلعنى عن السبب .

واخيرا قالَ انه لما ذهب محمود غنام وقابل الملك فاروقَ لين فم البذة

فروض الشكر على تعيينه وكيلا لوزارة الداخلية أستبقاه الملك في حضرته ثلاثة ارباع الساعة وذكرت الصحف ان الاستاذ غنام كان موضع عطف الملك .

وسكت ...

قلت : وماذا فى هذا ..؟

قال : ان مصطفى النحاس اصبح يشك فى كل شيء ويتوجس شرا من كل شيء بعد خلافه مع مكرم باشا . وما قيل وما نشر يومئذ عن عطفه على مكرم باشا ثم ماحدث بعد ذلك وكيف كتب مكرم باشا فى الاهرام مقالا رفع فيه الملك الى السماء .

ولهذا السبب اصبح مصطفى باشا يخاف من تأثير هذا العطف الملكي على رجاله .. وهو لا يريد ان يخسر محمود غنام كما خسر من قبله مكرم عبيد .

وضحك الاستاذ ابراهيم فرج وضحكت معه ..

ولكن النحاس باشا عاد بعد ذلك وعين محمود غنام وزيرا للتجارة لا حبا ولا ثقة فيه .. ولكن لكى يبعده عن مكرم عبيد .

تماما كما فعل مع عبد الحميد عبد الحق .

***

قابلت فى ميدان سليمان باشا مستر يابيير الملحق بادارة النشر والصحافة بالسفارة البريطانية وبعد تبادل التحية انطلق يتكلم ضد النحاس باشا وزينب هانم بنفس اللهجة التى يتكلم بها واحد من خصوم الوفد .. وأفاض فى الحديث عن فضائح اقارب النحاس واصهاره واستغلالهم لنفوذه فى الحصول على امتيازات وعقد صفقات ثم قال :

ـ لماذا لا يشلح الوفديون النحاس باشا من زعامة الوفد ؟ ولماذا لا يعود أحمد ماهر وأصحابه الى الوفد وينتخبون أحمد ماهر رئيسا للوفد . .

ثم قال انه يسلم بأن مكرم عبيد لا يستطيع أن يجمع حوله كلمة الامة ولكن احمد ماهر يستطيع وان النحاس باشا اخذ يفقد نفوذه

وسألته هل هذا هو رأيه الشخصى او رأى السفارة ..

ونظر الى طويلا ثم هز كتفيه..وسار فى طريقه.. وأثناء حديثه معى كانت رائحة الخمر تفوح من فمه .

***

كلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له اننى أسافر اليوم الى رأس البر ورجوته اذا تطور الموقف الى أسوأ واصبحت الحالة خطيرة حقيقة او خيف من تدمير المواصـــلات ان يكلمنى بالتليفون فى رأس البر .

ولكنه قال : لا .. بلاش الكلام فى التليفون سوف أرسل لك فى هذه الحالة تلغرافا بامضاء جميل اقول لك فيه « احضر حـــالا بسبب القضية » وانت تفهم ..

وسافرت بالسيارة الى رأس البر .

« نقلا عن مذكراتى بتاريخ الاثنين ٢٠ يوليه »

كنت كلمت حسنين باشا بالتليفون من رأس البر لكى اسأله عن تطورات الموقف وسألنى هو متى اعود الى القاهرة وفهمت من لهجته ان عنده شيئا يريد ان يقوله لى وعدت امس من رأس البر وكلمته بالتليفون صباح اليوم فدعانى لمقابلته فورا .

وقابلته فى داره وبقيت معه نحو ساعة .

وبدأ حديثه معى بالانجليزية بسبب وجود احد الخدم معنا فى حجرة الاستقبال فقال ما معناه ان الانجليز قد لعبوا اوراقهـــم بمهارة .. وعرفوا كيف يلعبونها .

ثم مضى يقول انهم لم يكونوا يستطيعون ان يحصلوا من أى رئيس وزارة مهما كان ضالعا معهم على اكثر مما حصلوا عليه من مصطفى النحاس . وتبدو مهارتهم فى انهم حصلوا من النحاس باشا على كل ما يريدون وفى نفس الوقت جعلوه يعتقد انه هو الذى « دحلبهم » ومكر بهم وحصل منهم على مايريد..او على الاقل لم يعطهم شيئا.

واستطرد حسنين يقول :

ـ وهكذا اذا قدر لهم ان ينتصروا على الالمان فانهم سوف يمكنهم

ان يقسموا للنحاس بالطلاق «كذا» على انهم لم يفكروا ابدا فى القيام بأى تدمير بوادى النيل. اما اذا قدرت عليهم الهزيمة فانهم سوف يكونون فى حل من تدمير كل مايريدون بحجة الضرورات العسكرية وكذلك بحجة انهم قد اتفقوا على ذلك مع رئيس الحكومة مصطفى النحاس.. او على الاقل بحجة انهم لم يعدوه بشىء مخالف اى لم يتفقوا معه على عدم التدمير .

ويومها سوف يقول النحاس ان الانجليز قد خانوا كلمتهم معه وحنثوا بوعدهم له . . ولكن ما الفائدة ؟

ثم مضى يقول :

ولقد كان المفهوم ان دفاعهم ينتهى عند العلمين اى عند الحدود. ولكنهم استطاعوا ان « يجرجروا » النحاس الى الحديث فى الدفاع عن الاسكندرية والقاهرة والدلتا وقناة السويس.. وهذا هو الخطر وهنا بدت مهارتهم .. ثم قال :

ــ ولم يفاتحوا الملك مرة اخرى فى امر مغادرة البلاد. ولكن مادام فى نيتهم الدفاع عن القاهرة ورفض الموافقة على اعلانها مدينة مفتوحة فانه سوف يكفى ان تسقط قنبلة المانية فى ميدان عابدين او على مقربة من قصر القبة لكى يقولوا يومئذ للملك ــ ومعهم حق ــ ان هناك خطرا على «حياته الغالية» فيجب ان يبتعد عن موطن الخطر. اى عن القاهرة . وسوف يشتركون معه فى اختيار المكان الامين الذى يحسن به ان يلجأ اليه .

ثم قال حسنين وهو يضحك :

ــ وفى يوم ٢ يوليه كانت العلمين على وشك السقوط فى أيدى الالمان. بل لقد اذاع الالمان يومها انهم اخترقوا الخطوط وانهم يطاردون الانجليز فى اتجاه دلتا النيل .. ويومها كاد النحاس يوشك ان يغمى عليه ولكن الله سلم « وعبارة يغمى عليه من عندى انا اما العبارة المدونة فى مذكراتى والتى استعملها المرحوم حسنين باشا فى حديثه فان الحياء يحول دون نشرها » .

واستمر حسنين باشا يقول وهو لا يزال يضحك :

ـ ست ساعات فقط وكان النحاس «اغمى عليه» ولكن الله سلم فقد قال له الانجليز فى المساء ان الحالة خطرة جدا ولكنه تجلد طول الليل وتماسك. فلما اصبح الصباح قالوا له ان الحالة اقل خطورة نوعا ما .. فاطمأن ولم « يغم عليه » .. ولكنه اطلق لسانه يومها فى الانجليز فقال انهم كذبوا عليه واخفوا حقيقة الحالة .. وظل لسانه مفلوتا ضدهم الى أن عاد أمين عثمان من فلسطين وكان سافر اليها مع زوجته التى تركها هناك. وبعودة امين عثمان عاد نفوذ الانجليز من جديد على رقعة النحاس باشا .. الذى عاد واطمأن واستكان الى الانجليز .

ثم قال حسنين ان تصرفات الانجليز لا تبعث على الاطمئنان والا لو كانوا واثقين من قوة مراكزهم وخطوط دفاعهم فى العلمين فلماذا طلبوا اخلاء الاسكندرية ؟.. واخلاؤها سوف يتم قريبا .

ثم قال :

ـ لقد سمعت عن أحد كبار ضباطهم وكان صديقا وزميلا لى أيام الدراسة فى اكسفورد ان عندهم اوامر سرية تقضى بترحيل جميع البريطانيين المدنيين وخروجهم فورا من الاسكندرية والقاهرة متى وصل الالمان الى نقطة معينة لم يذكرها لى طبعا صديقى الضابط المذكور .

ثم قال :

ـ وقد قابلنى هذا الضابط منذ ثلاثة أيام وقال لى « وأنا أترجم هنا عن الانجليزية » : « راقب الموقف بدقة وامعان أثناء العشرة أو الخمسة عشر يوما القادمة .. فقد يحدث شىء ما فجأة ويجب ان تكون مستعدا » .

ومضى حسنين يقول :

ـ ان الانجليز تلقوا امدادات من الطائرات ومن الاسلحة الاخرى بقدر كاف لا بأس به .. ماعدا الدبابات وهذا هو السبب فى عجزهم عن القيام بأى هجوم وكان احد ضباطهم قال لى يوم اشتداد الخطر على العلمين « فى ٢ يوليه » انه اذا استطاع الجيش الثامن البريطانى

ان يصمد اسبوعا واحدا فانهم سوف يكرون بعد ذلك ويشنون هجوما على الالمان . ولقد مر اسبوع واسبوعان ودخلنا فى الاسبوع الثالث ولم يهجموا .. فما السبب الا انهم غير مستعدين !

***

وبعد ...

هذه هى الايام الخطيرة المليئة بالاحداث والاحتمالات التى مرت بمصر فى صيف عام ١٩٤٢ واحسب اننى وفيتها حقها من الوصف. واعطيت صورة صادقة لحالة الفوضى والذعر التى تخبطت فيها الوزارة القائمة بالحكم يومئذ ..

ولقد تمت المعجزة واستطاع الجيش الثامن ان يصمد امام الالمان خلال بقية الصيف .. ثم شن مونتجمرى هجومه فى الخريف « أكتوبر — نوفمبر » وحصل الحلفاء على أول انتصار لهم ذى قيمة فى الحرب العالمية الأخيرة .

ويومئذ — ولاول مرة — امر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية بأن تقرع كنائس إنجلترا وسكوتلانده أجراسها احتفالا بهذا النصر العظيم ..

ويعد المؤرخون معركة العلمين نقطة التحول فى الحرب الاخيرة .. تحول النصر والحظ من الالمان الى الانجليز وحلفائهم الروس والامريكان .

حـرب الدعاية

انتهت الحرب فى اوروبا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، وكنت يومئذ فى انقره « تركيا » . وعدت الى مصر ثم غادرتها فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٦ الى أوربا وزرت فرنسا وايطاليا وسويسرا والنمسا والمانيا . وطالت رحلتى هذه نحو تسعة شهور وفى باريس فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ تناولت العشاء مع صديقة قديمة وهى طبيبة فرنسية من اصل برازيلى وزوجها الموسيقار وهو فرنسى الجنسية اسبانى الاصل ..

وقد تناولت العشاء فى مطعم اسبانى كان افتتح حديثا فى شارع فيكتور هيجو « باريس » .. واسم المطعم «ايبريا» وهو فى حجم بطاقة البريد .. وأما بار المطعم ففى حجم طابع البريد .. وفى المطعم المذكور نحو عشر موائد ليس الا .. وفى صدره منصة مرتفعة بضعة اقدام وهى المسرح ومساحته مع المبالغة متران فى متر .

ومن هنا فان مطعم « أيبريا » لا يتسع الا لعدد محدود جدا من الزبائن هواة الطعام الأسبانى والرقص الاسبانى .

ومن هنا كذلك كانت اسعار الطعام فيه تبلغ ثلاثة اضعاف امثالها فى اى مطعم آخر فى باريس واصحاب المطعم فريق من نجوم اسبانيا فى الرقص والغناء .

وتناولنا طعامنا وكان من لحم الدجاج المخلوط بالارز والطماطم والجبن والشطة والفلفل الاحمر وبهارات اخرى ! هذا بينما كان يتوالى على المسرح الوان من الرقص والغناء وكان فى هذا الغناء ما يشبه الى حد كبير اغانى الصعيد وحزنها الدفين العميق .

وقال صاحبى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية .. قال مازحا :

ـ انظروا ايها العرب . .ماذا فعلتم باوروبا ؟..مشيرا الى الرقص والغناء وكلاهما لا يزال يحمل الطابع العربى الاصيل .

قلت : ماذا فعلنا ؟ لقد اعطينا اسبانيا فنا جميلا رفيعا .. عاش وما زال يعيش حتى اليوم بعد اثنى عشر قرنا ..

قال : كذلك أثينا وروما .

قلت : وأين هو أثر الفن الاغريقى اوفن روما.. هل تجد لهما اثرا اليوم على مسارح لندن وباريس او واشنجطون ؟ ولكن هذا الرقص والغناء العربى الاسبانى تلقاه فى عواصم العالم ويعجب به الناس فى كل مكان . اما فنك الاغريقى او الرومانى فلم يبق لهما اثر الا فى المتاحف وقاعات المحاضرات .

وجرنا الحديث الى الغناء فى مصر.والى ام كلثوم وعبد الوهاب. وكان صديقى الموسيقار المذكور قد زار مصر أثناء الحرب مع جنود الجنرال ديجول . وكان يعمل فى أقلام المخابرات .

وقص على هذه الحكاية التى سمعتها يومئذ لاول مرة . قال : ومعلوماته التى يرويها هنا مستقاة كما قال من زملائه فى اقلام المخابرات البريطانية ـ قال انه عندما لاح شبح الحرب فى صيف عام ١٩٣٩ لاحظ رجال المخابرات البريطانية فى الشرق الاوسط ان وكلاء المحور ـ المانيا وايطاليا ـ راحوا يجمعون من الاسواق فى القاهرة وتل ابيب ويافا والقدس وبيروت ودمشق وحلب .. الخ جميع الاسطوانات العربية وخصوصا اسطوانات عبد الوهاب وام كلثوم .

وهنا فطن رجال المخابرات البريطانية الى أن المحور يستعد لحرب الدعاية..ونشطوا هم كذلك الى شراء هذه الاسطوانات .. وكان سباقا حارا بين الفريقين .

ومضى صديقى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية.. مضى يقول :

ـ وسر هذه الدعاية هو أن الدعاية الالمانية او البريطانية سوف تضمن استماع البلدان العربية لها اذا هى بدات باغنية لعبد الوهاب

ثم قال :

ـ واقبل عام ١٩٤٢ وبدأ روميل هجومه فى يناير واستخلص مدينة بنغازى من البريطانيين. .ثم توالت هجماته وتتابعت هزائم البريطانيين. .وسقطت طبرق.. وانطلق روميل والفيلق الافريقى صوب دلتا النيل .. ولعلك ـ وانت صحفى مصرى ـ ادرى منى بالاجراءات التى كانت السلطات البريطانية تنوى اتخاذها وتنفيذها فى حالة اضطرارها الى الانسحاب من مصر الى فلسطين والسودان. ولكن هناك اجراء واحدا لم يذع سره حتى اليوم .

وسكت لحظة وهو يبتسم لكى يرى وقع كلامه فى نفسى .

قلت : ارغام الحكومة المصرية على الخروج مع البريطانيين من مصر لكى تقوم فى الخارج « حكومة مصر الحرة » ؟

قال .. كلا .. فان البريطانيين لم يلحوا كثيرا فى هذا الشأن. ولكن وزارة الاستعلامات البريطانية ألحت فى أمر واحد وامرت رجالها فى مصر باتخاذ هـذا التدبير مهما كان الثمن ومهما كانت العقبات .

وسكت مرة أخرى ثم قال : خروج ام كلثوم وعبد الوهاب من مصر بالرضا او بالاكراه .

وبدت الدهشة على وجهى ثم ضحكت .. وفهم هـو مـن ضحكى اننى اشك فى روايته فقال بلهجة كلها جد .

ـ صدقنى هى الحقيقة ما اقول .. لقد كان فى نية السلطات البريطانية اذا ما اضطرت الى الانسحاب من مصر ان تأخذ معها ـ طوعا او كرها ـ عبد الوهاب وأم كلثـوم لانها كانت تخشى ان تستغلهما الدعاية الالمانية الى ابعد حدود الاستغلال. ولقد كان يكفى أن يعلن راديو القـاهرة التى يحتلها الالمان .. ان أم كلثوم او عبدالوهاب سوف يغنى هذا المساء لكى تنصت العالم العربى كله الى اذاعة راديو القاهرة الذى يسيطر عليه الالمان . وهذا هـو الخطر فى حرب الدعاية .

قلت : ولكن من كان يضمن ان ام كلثوم وعبد الوهاب سـوف

يوافقان على الغناء ؟

إبتسم صديقى الفرنسى وقال :

ــ محال أن تكون جاداً فى سؤالك هذا .. والا فانت لا تعرف النازيين .. لقد كان امرا ممكنا جدا ان يجلس عبد الوهاب وامامه ميكروفون الاذاعة .. ووراءه يقف جندى المانى « ينخزه » بطرف السونكى اذا توقف عن الغناء ! !

***

ومن فرنسا ذهبت الى ايطاليا وزرت ميلانو وفلورنسا وروما.

ولم يكن من السهل ان احمل القوم فى ايطاليا على ان يتحدثوا الى ــ الصحفى المصرى ــ بصراحــة عما كان سيحدث لمصر لــو نجحت جيوش المحور فى دخول مصر فى صيف ١٩٤٢ .

ولكن كان من السهل أن يتحدثوا بمنتهى الصراحة وبكثير من مرارة خيبة الامل عن سير الحرب وتطورها لو كان غزو مصر قد نجح وتمكنت جيوش المحور من اختراق استحكامات العلمين فى يوليه او فى سبتمبر ١٩٤٢ .. وكان روميل قام بهجومه الاول فى أول يوليه .. ثم شن هجومه الثانى والاخير فى شهــــر سبتمبر .. وبعدها فقد القائد الالمانى عامل المباداة .. الى أن فاجأه القائد البريطانى مونتجمرى بالهجوم بعد شهر واحد .. اى فى اكتوبر من نفس العام .

قال القوم فى روما لو ان روميل كان نجح فى الوصــول الى الاسكندرية ودلتا النيل والقاهرة لكانت الحرب قد انتهت بانتصار دول المحور بعد عام واحد اى فى عام ١٩٤٣ ذلك انه كان مقررا طبقا للخطة العامة التى وضعتها اركان الحرب المشتركة من الايطاليين والالمان ان ينفصل قسم من الجيوش المحورية ويذهب جنوبا الى صعيد مصر والسودان والحبشة . ويسترد اريتريا والصومال ... الخ وهدفه الاخير الوصول الى جنوب افريقيا وتطهير « القارة السوداء » ــ اى افريقيــا ــ من البريطــانيين وانشاء قواعد للغواصات الالمانية والايطالية فى موانىء افريقيا الجنوبية والشرقية

.. والعمل على قطع طريق بحار الجنوب أى طريق راس الرجاء الصالح ـ الى الهند واستراليا . وهذا طبعا بعد أن يكون طريق قنال السويس قد أقفل هو أيضا فى وجه الاسطول البريطانى .

ومعنى هذا خنق مواصلات بريطانيا مع استـــراليا والشرق الاقصى والهند وبورما اللتين كانتا يومئذ تحت التاج البريطانى .

كانت هذه مهمة الجيش الذى ينفصل عن جسم جيوش المحور الرئيسية. ويقيت مهمة الجيش الرئيسى .. كانت مهمة هذا الجيش أولا القضاء على مقاومة البريطانيين فى دلتا النيل. وكانوا يقدرون صعوبة هذه المهمة بسبب اضطرارهم للهجوم اثناء فيضان النيل وتعدد قنوات شبك الرى فى الدلتا واستفادة الانجليــز منها فى دفاعهم و «تعويق» زحف المحور. ولكنهم كانوا واثقين من طرد البريطانيين تماما من الدلتا وقناة السويس مع حلول الخريف .

وبعدها كانت مهمة هذا الجيش الرئيسى ان ينطلق عبر قنـاة السويس الى فلسطين ـ التى كما يؤكدون كانت ستسقط فى لمحة عين ـ ومن بعدها سوريا ولبنان والعراق .

وكان المحور يعتمد الى حد كبير على « صداقة العرب » وعلى انتفاضهم وقيامهم بثورات فى مؤخرة البريطانيين. تعرقل حركتهم وتعوق انسحابهم .

ولا أريد أن اسهب هنا فى وصف خطة المحور ولا فى الاحاطة بتطورات الحرب وسيرها لو كان روميل قد نجح فى غزو مصر .

واكتفى بان أذكر فى عبارات وجيزة بعض التطورات الحاسمة فى سير الحرب التى كان مقدرا ان تقع :

١ ـ الوصول الى ايران وقطع خط امداد وتمـوين روسيا بالذخائر والمهمات وهو الخط الذى انشأه الامريكيون والبريطانيون من خليج العجم الى القوقاز .

٢ ـ انضمام تركيا الى المانيا وايطاليا ضد الحلفاء. هذا امر كان مقطوعا به . فقد أبدت تركيا منذ اليوم الاول للحـرب . ابدت صداقتها لالمانيا .. وراحت تنتظر « الوقت المناسب » لكى تدخل

الحرب الى جانب المانيا .. وقد فسر فون بابن سفير المانيا يومئذ فى انقرة عبارة «الوقت المناسب» هذه فى احد تقاريره السرية فقال : ان الاتراك ما زالوا - حتى عام ١٩٤٢ - غير واثقين من انتصار المانيا . وانهم يفضلون ان يتريثوا قبل ان ينحازوا الى جانبها خوفا من سوء المصير ومن ان يصيبهم ما أصابهم فى الحرب السابقة «بعد هزيمة المانيا فى عام ١٩١٨ » .. ولكن نجاح جيوش المحور فى دخول مصر وطرد البريطانيين منها ومن فلسطين وسوريا ولبنان والعراق .. ثم الوصول الى ايران .. كل هذا كان كفيلا باقناع الاتراك بأن «الوقت المناسب» قد حان .. وكان دخول تركيا الحرب بعد قطع خط تموين روسيا من الجنوب - كان كفيلا بقلب ميزان المعركة فى الجبهة الشرقية ضد روسيا . ولقد كانت الجيوش الروسية تعانى يومئذ من الشدائد فى القوقاز .. وفى محاصرة ستالينجراد وموسكو ولننجراد .

٣ - القيام بحركة كماشة من الجنوب الشرقى والغرب ضد الجيوش الحمراء .. الى آخره ..

اهذا لم يكن كثيرا ان يؤمل المحور فى النصر النهائى ووضع حد للحرب فى عام ١٩٤٣ .

***

كان موسولينى يطمع فى دخول الاسكندرية والقاهرة فى موكب يرد التاريخ القهقرى الى عصر امجاد روما ومواكب قوادها الغزاة وعودتهم من ميادين القتال معقودة حول رؤوسهم اكاليل الغار .

وهنا عكف «الدوتشى» على وضع نظام وترتيب «موكب النصر» الذى سوف يسير على راسه فى شوارع الاسكندرية والقاهرة .

واصدر اوامره ان يرسل جواده الاصيل الابيض اللون الى بنى غازى ومنها الى العلمين لكى يمتطيه الدوتشى فى اليوم الموعود .

ووقفت طيارة حربية خاصة على قدم الاستعداد فى مطار روما لكى تحمل موسولينى - عند الساعة المرتقبة - الى ابواب الاسكندرية حيث ينتظره موكب النصر وجواده الابيض الاصيل .

حتى قائمة الطعام .. الذى سيقدم فى المأدبة الكبرى أعدها الدونشى بنفسه .

وكان فى نيته ان يقيم مأدبة عشاء وحفلة ساهرة فى الاسكندرية ومأدبة اخرى وحفلة ساهرة فى القاهرة .

وقد تم الاتفاق بينه وبين السلطات الالمانية على أن يكون فندق مينا هاوس هو مقر القيادة الايطالية فى القاهرة .

وكانت قائمة الطعام الذى سيقدم فى ميناهاوس فى أول يوم يصل فيه موسولينى وقواده الغزاة كما يلى :

حساء سمك النيل

دجاج الفيوم

حمل مشوى على الطريقة البدوية

وحلوى الف ليلة

وفاكهة الموسم « بطيخ وعنب ومانجو »

قهوة شرقية

والى هذا الحد كانت الآمال كبيرة والثقة فى النصر لا ريب فيها .

النهـــاية

وانتقل الآن الى الفصل الاخير من حياة احمد محمد حسنين ..

كان حسنين باشا يعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ لطمة اصابته هو بالذات .. لطمة لكرامته ولسياسته ولطمة لواجبه نحو العرش ونحو مصر .

واقسم حسنين يومها على أن يثأر لنفسه وللبلاد من رجلين عدهما مسئولين عن هذه اللطمة وهما مايلز لامبسون سفير بريطانيا ، ومصطفى النحاس رئيس الوفد .. ورئيس الوزراء ولقد حاول حسنين باشا فى عام ١٩٤٣ ان يقيل مصطفى النحاس ووزارته ولكن الانجليز لم يمكنوه .. فقد بادر يومئذ السفير البريطانى فى مصر وانذر فاروق ان الحكومة البريطانية تعلنه ان لا تغيير فى الوزارة No Change وفى الاوضاع القائمة فعلا .

وكانت حجة الانجليز يومئذ انهم وحلفاءهم قادمون على فتح جبهة جديدة فى جنوب اوروبا — او بطن اوروبا السفلى — حسب تعبير ونستون تشرشل .

جبهة جديدة ينفذون منها الى قلعة هتلر فى وسط اوروبا .. ومن هنا فانهم اى الانجليز لا يسمحون باى تغيير فى مصر مخافة وقوع رد فعل او قلقلة خلف خطوطهم .. اى فى مصر .

***

واستكان حسنين وتظاهر بالرضا والتسليم ...

ولكنه لم يسكت بل أقام يراقب سير الحوادث ويتحين الفرص .

وانتهت معركة افريقيا باندحار الجيوش الالمانية واسر مئات الالوف منها فى تونس والجزائر ومراكش .. ولا ادخل فى التفاصيل .

ونقل الحلفاء — بريطانيا وامريكا — جيوشهم من افريقيا الى جزيرة

صقلية .. ومن هذه الى ايطاليا ..

واستسلمت ايطاليا فى سبتمبر من نفس العام ١٩٤٣ وفى يونيه ١٩٤٤ انزل الحلفاء جنودهم فى نورماندى بشمال فرنسا .

وبدا تحرير القارة .. ودك قلعة هتلر من الجنوب والشرق والغرب . ودخل الحلفاء باريس فى اغسطس .

وكانت الجيوش الروسية قد حررت دول البلطيق وجزءا من بولنده وزحفت نحو النمسا الى آخره الى آخره .

وكما قلت ليس فى نيتى ان ادخل فى التفاصيل ، ولكن .. بدا يومئذ واضحا كل الوضوح ان نصر الحلفاء امر مؤكد .. وان الحرب قد دخلت فى دورها الاخير وان الحلفاء يمسكون بزمام الموقف .. وان البريطانيين لم يعد امامهم — او وراءهم فى مصر — ما يخشون منه على سير الحرب .

وانتهز حسنين الفرصة وواتاه الحظ ان مايلز لامبسون سافر فى اجازة قصيرة الى جنوب افريقيا .

وضرب حسنين ضربته المفاجئة وكانت مسرحية مثيرة ... ومن فصولها :

تعليمات سرية الى الدكتور احمد ماهر بالا يغادر داره فى يوم الاحد ٨ اكتوبر بل يبقى فيها ينتظر رسالة من « جلالة » الملك فاروق ، واوامر سرية الى حكمدار بوليس القاهرة ومدير ادارة الامن العام بأن تكون قوات الامن على استعداد لحفظ النظام وقمع اية حركة تقوم للاخلال بالامن والنظام !

وكانت هذه الاوامر السرية صادرة مباشرة من السراى لان السراى كانت مصدر جميع السلطات .

جرى كل هذا والوزراء ورئيسهم — وكانوا فى رمل الاسكندرية — لا يعرفون شيئا .. وثلاثة او اربعة فقط من الصحفيين من خصوم الوفد هم الذين كانوا على علم بما يعده ويدبره احمد محمد حسنين رئيس الديوان .

***

وفى صباح يوم الاحد ٨ اكتوبر ١٩٤٤ استقل حسن بك يوسف وكيل الديوان الملكى قطار الصباح من الاسكندرية الى القاهرة .. ودخل عربة البولمان فوجد امامه محرم باشا وزير الاشغال فابتسم وحياه ولكنه جلس الى مائدة بعيدة عن المائدة التى كان يجلس اليها وزير الاشغال .

ولعله — حسن بك يوسف — خشى ان يقرأ عثمان محرم باشا شيئا ما فى وجهه.. شيئا ما يكشف سر سفره فى الصباح الباكر الى القاهرة.. ذلك ان وكيل الديوان كان يحمل فى جيبه امرا ملكيا صادرا الى الدكتور احمد ماهر بتشكيل الوزارة .

وامرا ملكيا آخر الى مصطفى النحاس باقالة الوزارة.. ووصل حسن يوسف الى القاهرة وانهى مهمته فيها ثم عاد بالسيارة الى الاسكندرية ..

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر نفس اليوم الاحد ٨ اكتوبر.. وحسب التعليمات والاوامر وطبقا للخطة المسرحية التى وضعها حسنين باشا .

غادر الدكتور أحمد ماهر داره ، الى دار رياسة مجلس الوزراء وصعد توا الى غرفة رئيس الوزراء وامر السعاة والحجاب ان يفتحوا امامه الابواب .. واعلنهم انه رئيس الوزارة الجديدة .

وفى نفس اللحظة — وطبقا للاوامر والتعليمات فتح المعتقل ابوابه وخرج منه مكرم عبيد .

خرج من المعتقل وذهب مباشرة الى وزارة المالية التى عين وزيرا لها فى الوزارة الجديدة .

وفى نفس الساعة — الساعة الخامسة — كان حسن يوسف يصعد الى الطابق الثانى بفندق سيسل بالاسكندرية حيث كان يقيم مصطفى النحاس ، ويسلم رفعته خطاب الاقالة وكان أمين عثمان قد اقبل على فندق سيسل لزيارة مصطفى النحاس.. فقيل له ان الوزارة اقيلت وكانت فى يده سلسلة ذهبية يعبث بها ويلفها على اصابعه ثم يعود ويفردها.. وتوقف فى طريقه وسقطت السلسلة

من يده ولكنه خرج وارسل برقية الى احمد حسنين يقول له فيها ــ بالغة الانجليزية ــ « أهنئك لقد ربحت الجولة الاخيرة » .

ذلك لانها كانت حربا او مباراة بين الرجلين .. رجل الانجليز .. امين عثمان ورجل القصر .. احمد حسنين .

وكانت المباراة حول مصطفى النحاس هل يبقى رئيسا للوزارة كما يريد الانجليز ؟ ام يخرج كما يريد القصر وقد انتصر رجل القصر احمد حسنين .

***

وامشي سريعا بين الحوادث .. الى ان اصـــل الى عام ١٩٤٦ وكانت الوزارة البريطانية يومئذ من حزب العمال . وكان وزير الخارجية ارنست بيفن .

وعرف حسنين كيف يوجه صديقه عبدالفتاح عمرو سفير مصر في لندن الى استغلال صداقته مع مستر بيفن .. وكان ان استدعت وزارة الخارجية البريطانية سفيرها مايلز لامبسون من مصر .

وهكذا بر حسنين بوعده او بقسمه وثأر لنفسه من الرجلين .. مايلز لامبسون ومصطفى النحاس .

ثم لقى منيته بعد ذلك باسبوعين اثنين . وكان موته ــ رحمه الله مفاجأة مثيرة كما كانت حياته سلسلة من المفاجآت المثيرة .

***

وكان امضى سهرة يوم الاحد ١٧ فبراير ١٩٤٦ في مسكني مع بعض الأصدقاء ومنهم ام كلثوم .. وغنت ام كلثوم سلوا قلبى . وحمل حسنين مقعدا صغيرا جلس فيه بين يدى ام كلثوم وكان ينصت لها بكل جوارحه . وامتدت السهرة حتى مطلع الفجر .. يوم الاثنين وشيعته الى باب المصعد وكانت هذه آخر مرة اراه فيها .

وفي يوم الثلاثاء ١٩ فبراير كان حسنين مدعوا لتناول الغداء عند اسرة صديقة في المطرية .. ولكن تراكم الاعمال ابقاه في مكتبه بقصر عابدين الى الساعة الثالثة بعد الظهر . ورأى رحمه الله انه تأخر كثيرا عن الموعد فاعتذر لاصحاب الدعوة بالتليفون .

واستقل سيارته عائدا الى داره بالدقي وكانت السماء تمطر. وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل في طريقها الى الدقى اقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة.. وانزلقت عجلات السيارة البريطانية بفعل المطر .. ولفت اللورى نصف لفة على الكوبرى وصدمت سيارة حسنين من الخلف صدمة شديدة ..

وسمع سائق السيارة صوت حسنين باشا خلفه وهو يقول : « ياساتر .. ياساتر يارب ..

والتفت السائق خلفه فرأى الدم يسيل من فم حسنين باشا.. واوقف السائق السيارة ونزل منها يصيح ويطلب المساعدة .. ومرت مصادفة في نفس اللحظة سيارة وزير الزراعة احمد عبد الغفار باشا صديق حسنين وزميله أيام الدراسة فى أوكسفورد .

واسرع احمد عبد الغفار وحمل صديقه الى مستشفى الانجلو امريكان القريب من مكان الحادث .

ولكن حسنين كان اسلم الروح .. فنقلوه الى داره .

***

وطار الخبر الى القصر.. واسرع فاروق ـ وكان يرتدى بيجامة وفوقها «روب دى شامبر» وفى قدميه شبشب ـ اسرع بملابسه هذه واستقل احدى سياراته الى دار حسنين فى الدقى .

ووقف فاروق لحظة امام جثمان حسنين .. رائده واستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه ..

ثم قال : « مسكين يا حسنين » وسأل بعدها عن مفاتيح مكتب حسنين .. وتناولها ودخل غرفة المكتب واغلق وراءه الباب .. وكان فاروق يبحث عن اية مذكرات يكون حسنين قد كتبها .. وعن عقد زواجه بامه الملكة نازلى .. وعن اية اوراق هامة اخرى قد يكون تركها وراءه .

***

وبعد وفاة حسنين باسبوعين او ثلاثة اسابيع ذهب فاروق يزور امه نازلى فى قصرها الذى ورثته عن ابيها فى الدقى ..ودخل عليها

فى قاعة القصر الكبرى .. وتسمرت قدماه عند الباب .
فقد رأى امامه فى صدر القاعة صورة لاحمد محمد حسنين بالحجم الطبيعى وقد جللت بالسواد ..

وأمام الصورة ـ وعلىالارض ـ جلستامه«الملكة»نازلى وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر وجميعهن متشحات بالسواد.
وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخـا يتلون الاوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم .

توقف فاروق لحظة عند باب القاعة .. وقد عقدت الدهشة لسانه . ثم مشى الى حيث كانت تجلس امه وقال لها وهو يشير بيده الى الصورة والى السيدات والمشايخ :
قال : ايه دهكله ؟.. وعلشان ايه ده كله .. مات .. خلاص مات .. فلزوم ده ايه ؟

وانتفضت نازلى واقفة علىقدميها وانفجرت فى ابنهاتصيح :
ـ ده ؟. ده اللى عملك راجل..ده اللى حافظ على عرشك..
بكرة راح تشوف يجرى لك ايه .. بعد موت حسنين .
الى آخره .. الى آخره ..
وهز فاروق كتفيه ساخرا وانصرف .

***

وان هى الا اسابيع معدودة حتى غادرتنازلى مصر الىأوروبا للعلاج والراحة كما زعمت .

ولكنها غادرت مصر وفى نيتها الا تعود .. وكان منها ما يذكره القراء .. وكان كذلك ما كان من فاروق .. وكيف استهتر الى أبعد حدود الاستهتار وطغى وبغى..ثمكانت الثورة التىطوحت به وحطمت عرشه .
ولعله تذكر يومئذ وهو يوقع وثيقة تنازله عن العرش قول امه « بكرة تشوف راح يجرى لك ايه بعد موت حسنين » .

الفهـــــرس

هذا الكتاب

هذا الكتاب «مصر ما قبل الثورة» وثيقة للتاريخ من كاتب لم يكن مجرد شاهد صحفى على مرحلة من حياة مصر . . بل كان بموقعه الهام فى الصحافة المصرية وبصلاته الواسعة الوثيقة بمراكز صنع الأحداث السياسية أحد الذين يعرفون الخلفيات التى تقف وراء المواقف والأحداث .

فى هذا الكتاب يحدثنا الصحفى الأشهر محمد التابعى عن مرحلة من تاريخ مصر قبل ثورة يوليو ابتداء